الأستاذ نجيب زبيب

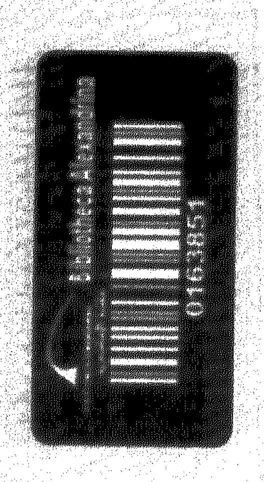
الموسوعة العامة لتاريخ
المغرب و الأندلس

تقديم سعادة المستشار

احمد ابن سودة

الجزء الخامس

دار الأمير



الموسوعة العامة
لتـــاريخ

المغـرب و الأندلـس

الأستاذ نجيب زبيب

الموسوعة العامة
لتـــاريخ

المغرب و الاندلس

تقديم سعادة المستشار
احمد إبن سـودة

الجزء الخامس

دار الأميـر

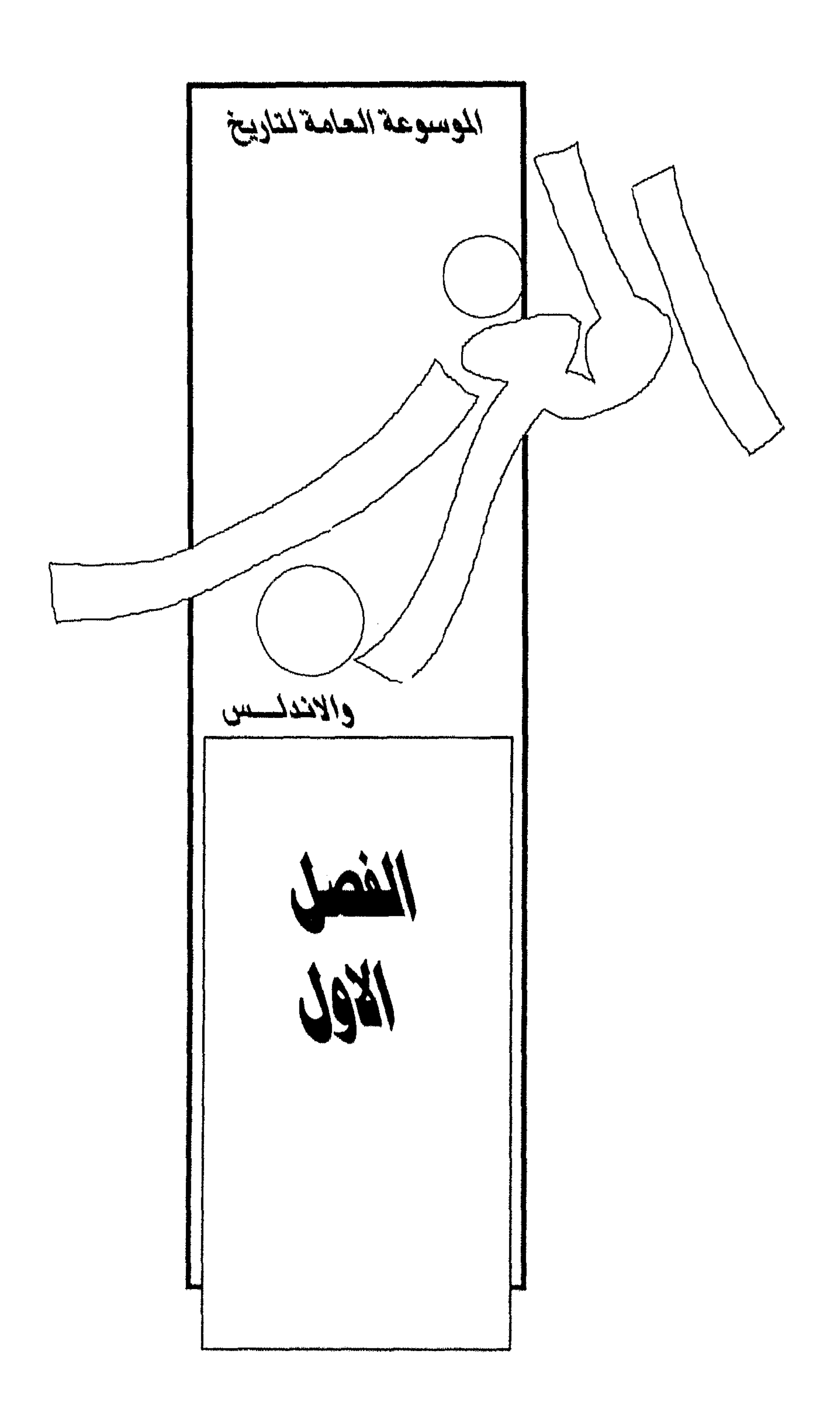
الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م



الباب الأول



صاحب الجلالة محمد الخامس



الفصل الاول

الملك محمد الخامس بطل استقلال المغرب

١٩٢٧ ـ ١٩٦١

اعتلى العرش المغربي بعد والده السلطان يوسف بن الحسن الأول ـ الذي توفي في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٧، ومما يؤثر عن السلطان يوسف بأنه طرد من القصر الملكي المقيم العام الفرنسي تيودور ستيغ بعد مناقشة حادة، وطلب جلالته من الحكومة الفرنسية استبداله بمقيم آخر، لأنه مشبع بعقلية الحكم المباشر التي كان يمارسها كحاكم عام في الجزائر.

وفي اليوم التالي من وفاة السلطان يوسف وكان يوما غائما ماطراً اجتمع كبار الأعيان في مدينة فاس للتشاور خلف الأبواب المغلقة في موضوع انتخاب السلطان الجديد، وفقاً للتقاليد المغربية المرعية الاجراء.

وكان الاجتماع قد عقد في «المخزن» بحضور علماء جامعة القرويين والوزراء وقضاة الشرع في فاس والاشراف من الأسرة الملكية، بينما وقف في الأروقة جماعة من الموظفين الفرنسيين ورجال الجيش، وعلى مسافة منهم وقفت الجوقة الموسيقية النحاسية التابعة للمجموعة الثالثة من الفرقة

الأجنبية «المختلطة». بينما راح قائد الجوقة يصوّب نظراته الحادة نحو المبنى الرئيسي منتظراً الاشارة لعزف النوطة الأولى من النشيد الوطني. والحقيقة تقال أنه لم يكن ثمة شيء مجهولاً خلف تلك الأبواب المغلقة، لأن اختيار السلطان الجديد كان قد تقرر قبل اجتماع «المخزن» ولم يبقَ الا صيغة البيعة الجديدة التي ستضفي على السلطان الجديد شرعية منصبه.

وعندما تم الاتفاق نهائيا خرج المجتمعون إلى الفضاء وتقدم الوزير الأكبر محمد المقري وقال بصوت هادىء.. أن مرشح «المخزن» هو سيدي محمد الابن الثالث للسلطان المتوفي.

بعد ذلك بساعات حضر أعيان البلاد والضباط والموظفون الفرنسيون والوزراء وقناصل الدول الأجنبية الممثلة في المغرب للمثول أمام السلطان الجديد الذي كان بانتظارهم وقد جلس على طنافس جميلة، ملتفاً ببرنس رسمي.

وكان السلطان الجديد في السادسة عشرة من عمره، أي أنه كان أصغر من أخويه ولم يكن هو نفسه يأمل في أن يعتلي العرش متقدماً أخويه الأكبرين. وقيل في وصف جلالته أنه كان نحيلا مسنون الوجه ذا جبهة عريضة بارزة تدل على تمعن في التفكير وعينين نجلاوين عميقتي الغور لا تخلو نظراتهما من حزن دفين، وشفتين رقيقتين تخفيان وراءهما صمتاً بليغاً، وقوة ارادة وتصميم.

وقبل اختياره سلطاناً على المغرب كان يؤثر العزلة، والصمت حريصاً على واجباته الدينية وتلقي دروسه في اللغة والفقه وتعاليم القرآن الكريم وكان نظام تربيته دقيقاً جداً وقيل بأن الاختيار وقع عليه لأنه كان محبوباً من الجميع ملماً بدقائق الأمور واسع الثقافة ميالاً نحو الهدوء والجنوح نحو

السلام، وقد تظاهر بعد انتخابه بالهدوء حتى لا يكون بينه وبين المقيم العام خلاف على الشكليات والمظاهر، ولكنه كما لاحظ المقربون منه، كانت لا تفوته فائتة حريصاً على القيام بالواجبات المنوطة به، فكان يقرأ كل وثيقة تقدم إليه بعناية وإمعان باحثاً محتوياتها مع وزرائه.

ولقد حاول مربيه الجزائري أن يصرف اهتمامه عن قضايا وطنه والقضايا العربية والدولية، وأحداث العصر، بتوجيه ذهنه ومداركه نحو الكتب الدينية والفقهية واللغوية العتيقة التي كان يختارها مربيه لتعليمه وإرشاده، ولكن الأمير اليافع كان يعيش حاضر بلاده الخاضعة للحماية الأجنبية، وحاضر والده المكبل بقيود الحمايتين الفرنسية والاسبانية وحاضر الثورات التي سبق أن اشتعلت في البلاد.

الوضع الداخلي في اسبانيا

لم تكن اسبانيا مهتمة كثيرا في مَنْ سيتولى العرش المغربي، فتركت كل ذلك الاهتمام للسلطات الفرنسية على اعتقاد أن الوريث الشرعي سيكون كما يريده الاستعمار الفرنسي، أداة طيعة في يد المقيم العام.

كذلك فقد كانت اسبانيا غارقة في ثورتها الداخلية بين الملكيين الاسبان والجمهوريين وبين الديمقراطيين والشيوعيين من جهة والفاشيين الذين سيطروا على البلاد من الجهة الأخرى.

وكانت تلك الثورات العقائدية قد استنزفت ما تبقى من ثروة البلاد، ولكن الوضع ازداد سوءاً حتى أنه شمل جميع المرافق الاقتصادية.

ولو أن الثورة الاسبانية حدثت قبل عام واحد أو عامين على الأقل لتمكن الأمير عبد الكريم من اجلاء القوات الاسبانية عن شمال بلاده ليتفرغ إلى محاربة الفرنسيين ولكن الأمور جرت على عكس ما يريد. . على كل فقد

كانت الثورة الاسبانية والحرب التي نشبت بين الفاشستيين والشيوعيين، بمثابة انتقام طبيعي عادل على ما ارتكبه الاسبان من جرائم وآثام على أرض المغرب.

فرنسا والحرب العالمية الثانية

ثم ما لبث ذلك الانتقام أن أحاق بالفرنسيين بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وكانت فرنسا هي البادئة باعلان الحرب على المانيا ثم تبعتها بريطانيا وهكذا اشتعلت نار الحريق الذي راح يلتهم دول أوروبا الاستعمارية.

وبالرغم من أن فرنسا كانت تظن أن بلادها منيعة وراء حصون «ماجينو» ولكن تلك المناعة ـ كما يبدو ـ كانت موجودة في التقارير الرسمية فقط، فلما دارت الحرب فوق الطبيعة كان أول ما انهار في فرنسا هو «خط ماجينو» أمام الهجوم الالماني المدرع الذي قاده الجنرال رومل، فاستسلم مليون ونصف مليون جندي فرنسي بعد فترة قصيرة من اندلاع الحرب.

وبسرعة مذهلة لم تكن متوقعة سقطت باريس ودخلها هتلر والجيوش الهتلرية وهي تمشي مشية الأوزة العسكرية في تيه وخيلاء. واضطرت حكومة باريس إلى مغادرة العاصمة والتقهقر إلى بوردو، ثم استقر رأيها مع الماريشال بيتان على اتخاذ فيشي مقراً للحكومة الفرنسية الجديدة.

اللهم لا شماتة! لأن الاستعمار اينما كان وفي أي دولة ظهر، كان لا بد من سقوطه وانهزامه وتحمل تبعات جرائمه التي ارتكبها في القارات الأربع: الأمريكتين وآسيا وأفريقيا، ولعل الشاعر العربي كان صادقاً حين قال:

وما من يَدٍ الا يد الله فوقها ... وما ظالمٍ الا سيبلى بأظلم

وكان من الطبيعي أن يهرب الجنرال ديغول إلى لندن، كما هربت الجيوش البريطانية والجيوش الأوروبية الأخرى من مرفأ «دنكرك» إلى الشواطىء البريطانية.

وفي لندن شكل ديغول نواة الحكومة الفرنسية في المنفى فأصبح لفرنسا حكومتان: حكومة فيشي، وحكومة ديغول، وكل حكومة منهما كانت تعمل ضد الآخرى وتزعم بأنها الحكومة الفرنسية الوارثة للامبراطورية الاستعمارية الفرنسية وتحاول مد نفوذها إلى شمالي أفريقيا.

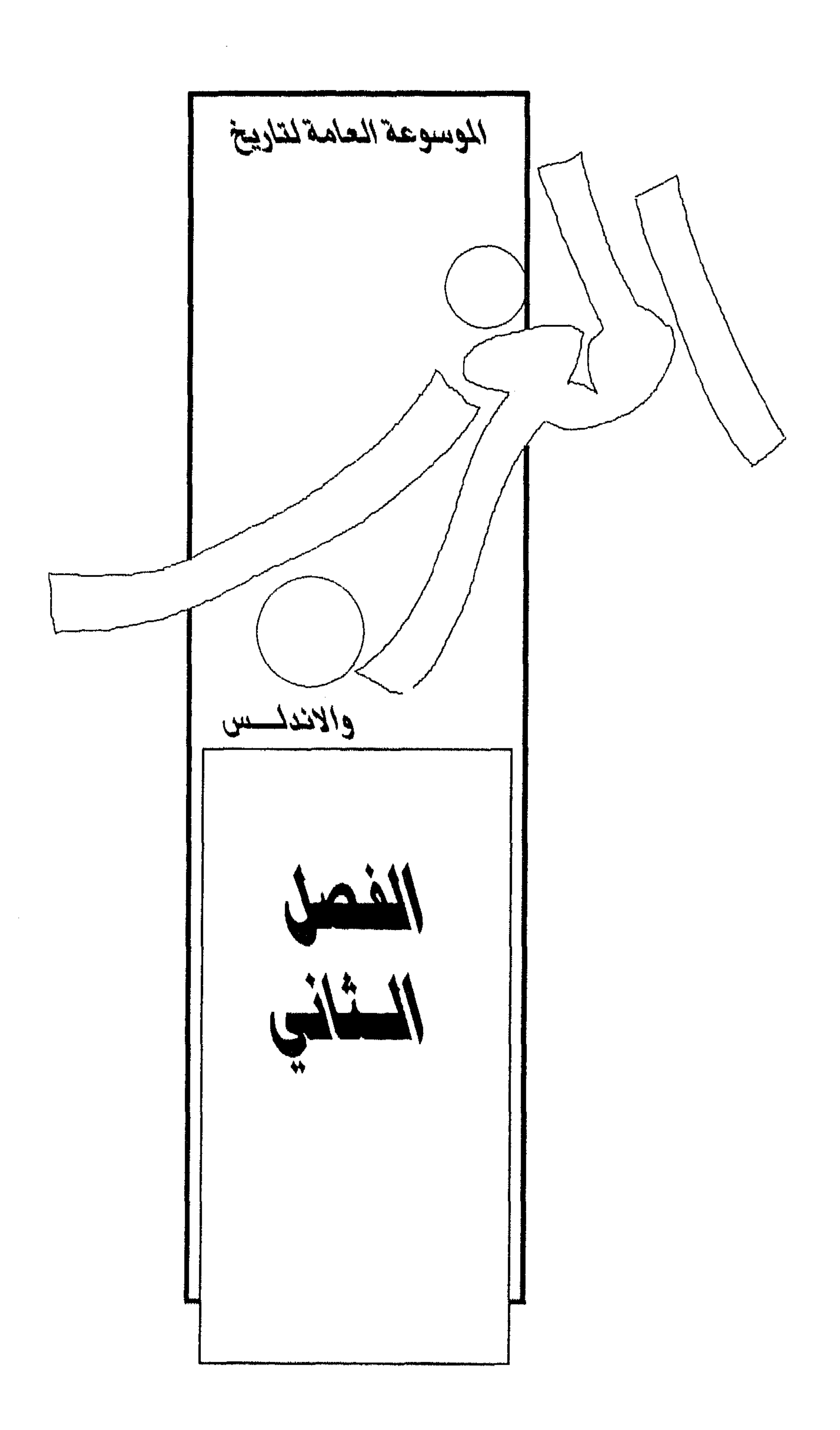
الشمال الأفريقي خلال الحرب العالمية الثانية

ونتيجة لخضوع السلطات الفرنسية في شمالي أفريقيا إلى حكومة الماريشال بيتان. ولنفوذ هيئة الهدنة الالمانية النازية فإن دول المغرب، والجزائر، وتونس، راحت كل واحدة منها تعمل من أجل الحصول على استقلالها بأي ثمن كان..

ففي الجزائر أصدر نخبة من رجالها «بياناً» طالبوا فيه باستقلال الجزائر فسمي الحزب الذي نشأ على الأثر باسم حزب «البيان» في حين انتفض المغرب انتفاضة شبه ثورية مطالباً بالاستقلال والتحرر وقد اقترنت هذه الانتفاضة بأسماء علال الفاسي والحاج أحمد بلفريج وغيرهما، وكان ذلك بدء ظهور حزب الاستقلال المغربي الذي برز على مسرح الأحداث متعاوناً مع جلالة الملك محمد الخامس الذي برهن على أنه خير سند للاستقلال، وأعظم مشجع للخوض في معارك السياسة، لأخذ الحق الوطني بقوة المثابرة والتضحية والاصرار والتعاضد والاتحاد.

وكان الفرنسيون المشرفون على سياسة المغرب قد خدعوا بحسن تهذيب الملك ودماثةِ خلقه وحيائه الفطري، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن

جلالته يخفي وراء هذه الآداب الأصيلة والسجايا الكريمة رجلاً لا تلين له قناة وصخرة عاتية لا يؤثر فيها التهديد والوعيد والتآمر.


الموسوعة العامة لتاريخ
والانـدلـــس
الفصل
الــثاني

حالة المغرب عند تولي محمد الخامس العرش

عندما تولى جلالته مهام الحكومة كان «المخزن» أي الحكومة المغربية في حالة يرثى لها ـ يضم بضعة وزراء عينتهم فرنسا أو عينهم السلطان يوسف قبل موته بضغط من المقيم العام وبعض القضاة وعدد من الكتاب الذين يشقشقون باللغة الفرنسية بما في ذلك (الصدر الأعظم) الحاج محمد المقري نفسه، في حين كان المقيم الفرنسي قد أحاط نفسه بجهاز فرنسي يحكم المغرب كما يسيطر على «المخزن» بحجة تأمين راحة السلطان وسلامته، هذا بالاضافة إلى موظف فرنسي يشرف على أعمال «المخزن» أطلق عليه على سبيل التمويه والمكر الديبلوماسي العريق اسم «مستشار الحكومة الشريفية» وذلك خلافا لنصوص معاهدة الحماية التي كانت تخول السلطان حكم المغرب والمخزن والادارة المغربية . .

ولكن متى كان الأوروبيون المستعمرون يتقيدون بعهودهم ومعاهداتهم واتفاقاتهم ويحترمون كلمتهم . .

لقد كانت كل صغيرة وكبيرة خاضعة للادارة الفرنسية علانية وليس من

وراء ستار، وكان الجواسيس الفرنسيون وعملاؤهم المغاربة منبثين في كل مكان في طول البلاد وعرضها، وفي قصر السلطان بصورة خاصة.

وقد وجد الملك محمد الخامس بعد توليه العرش أن دوره في الحكم لا يزيد على توقيع المراسيم التي يرفعها إليه المقيم العام.. دون استشارته فهو والحالة هذه ـ أي المقيم العام ممثّل السلطان لدىٰ الدول الأجنبيّة بمعنىٰ أنّه وزير خارجية السلطان ـ ووزير دفاعه ووزير داخليته.. والآمر الناهي في الدولة.

وفي يوم تنصيبه أعلن جلالته للشعب بكلمات تلمّح ولا تصرِّح لأن التصريح كان محرماً على الملك بأمر من الحكومة الفرنسية المستعمرة.

«أن الشعب المغربي ينتظر منا مجهوداً مستمراً، لا من أجل تنمية سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له أيضاً الانتفاع من تطور فكري يكون متلائماً مع احترام عقيدته ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة».

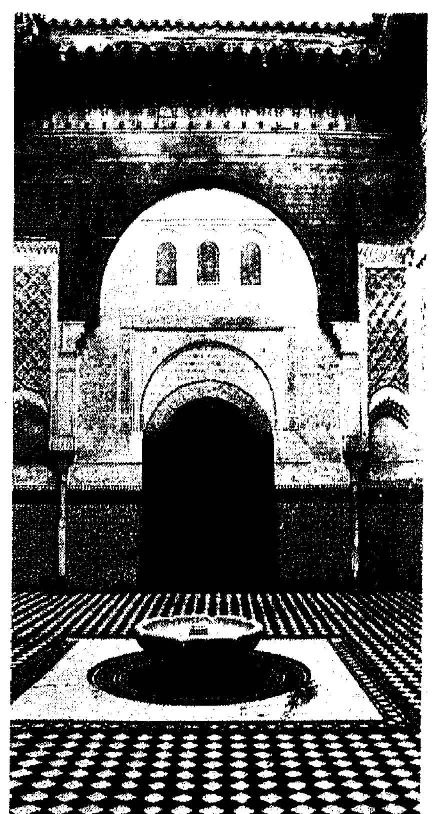
ولما استقبل جلالته ـ فيما بعد ـ الاستاذ علال الفاسي لأول مرة في القصر الملكي بصفته ممثلاً للحركة الوطنية. وفي جلسة خاصة قال له مصرحاً: «أن ما ضاع من حقوقنا ناشىء عن عدم معرفة من مضى من المسؤولين للأساليب التي يجب أن تتبع ومنذ الآن لن يضيع للبلاد حق، بل سأعمل على استرجاع كل ما ضاع».

الوعي المغربي الجديد

ومرة أخرى دبت الحياة في القصر الملكي في عهد الملك محمد الخامس، بعد أن خبا جمرها المتقد طيلة حكم السلطان يوسف السابق.. فأزال جلالته الرماد وأحيا الجمر فالتهب بالوطنية الصادقة، والعزيمة التي لا

تخمد، والايمان المتوقد، والعمل الدائب. والصبر الذي لا يتطرق إليه الملل أو الفتور.

وكانت سياسة السلطان الخارجية، بالاتفاق مع حزب الاستقلال والجمعيات الوطنية التي أشرنا إليها تعتمد على خلق وعي جديد للقضية المغربية في جميع انحاء العالم - لأن أجهزة الحماية كانت تعمل بيقظة وسرعة مدهشة لخنق أي صوت وطني يدعو إلى التحرر من الاستعمار الفرنسي في الداخل فأخذ الطلاب المغاربة في الجامعات والمدارس الخارجية المبادرة وعلى الأخص الطلاب الذين يدرسون في المعاهد الفرنسية في باريس، والبلاد العربية في الشرق الأوسط.



احدى مدارس فاس

محمد الخامس يثور على المقيم الفرنسي

في عام ١٩٤٠، وبعد اندلاع الحرب الكونية الثانية بعام واحد كان السلطان محمد الخامس قد بلغ الثامنة والعشرين من عمره وهو سن النضوج والتفتح، وكانت ظروف الحرب العالمية تحتم عليه أن يبقى على ولائه لفرنسا المهزومة، شرط أن تتقيد بقواعد البرتوكول، واتفاقية الحماية، ومبادىء الشرف، على أساس أنه ـ أي السلطان لم يعد ذلك «الفتى» الذي كان يتلقى الأوامر، على شكل من أشكال الرضى والآباء.

ولما حاول المقيم العام الجنرال نوغيس أن يضع موضع التنفيذ قوانين نورمبرغ ضد اليهود، وهي القوانين التي قبلتها حكومة فيشي رفض السلطان الموافقة عليها، من وجهة انسانية وتحسباً للعواقب والمغبات، وكأن الأقدار أرادت أن تمتحن نضوج السلطان وتفتحه بدءاً من هذه القضية الشائكة. وهكذا انتقل السلطان الشاب من عهد التضييق وفرض الأوامر عليه إلى عهد النفور والآباء وعدم التقيد بأوامر المقيم الفرنسي عليه ورفض تلك الأوامر إذا كانت مخالفة لآرائه.

القضية المغربية على منبر الأمير شكيب ارسلان

وقد وثّق الطلاب المغاربة الذين كانوا يتلقون العلم في أوروبا ومعاهد الشرق الأوسط علاقتهم بالأمير شكيب ارسلان الزعيم والأديب اللبناني الذي كان يدافع عن القضايا العربية من منبره العالي في جنيف فالتفَّ حوله الطلاب يشرحون له مراحل المأساة المغربية مع الاستعمار الفرنسي.

وكان المرحوم شكيب ارسلان يصدر مجلة «الأمة العربية» باللغة الفرنسية في جنيف وقد جعل منها منبرا للدفاع عن القضايا العربية ومنها القضية المغربية، في حين وثق الطلاب علاقتهم مع الجمعيات الدينية

والحركة الوطنية في مصر ولبنان وسوريا وفلسطين والعراق وهذه مجالات لم يكن بوسع فرنسا أن تمد يدها إليها بالقمع والمصادرة . .

وهكذا برزت القضية المغربية على.وجهة الصحف العالمية في كل مكان ـ والصحف البريطانية بصورة خاصة، لأن بريطانيا كانت لا تزال تحيك المؤامرات لمنافستها اللدودة فرنسا. والعداء بين الدولتين قديم رغم محاولة الهيئات السياسية في فرنسا وبريطانيا تغطيته بطبقة من رماد الخداع والتضليل.

الخوف الفرنسي ـ البريطاني ووعد بلفور

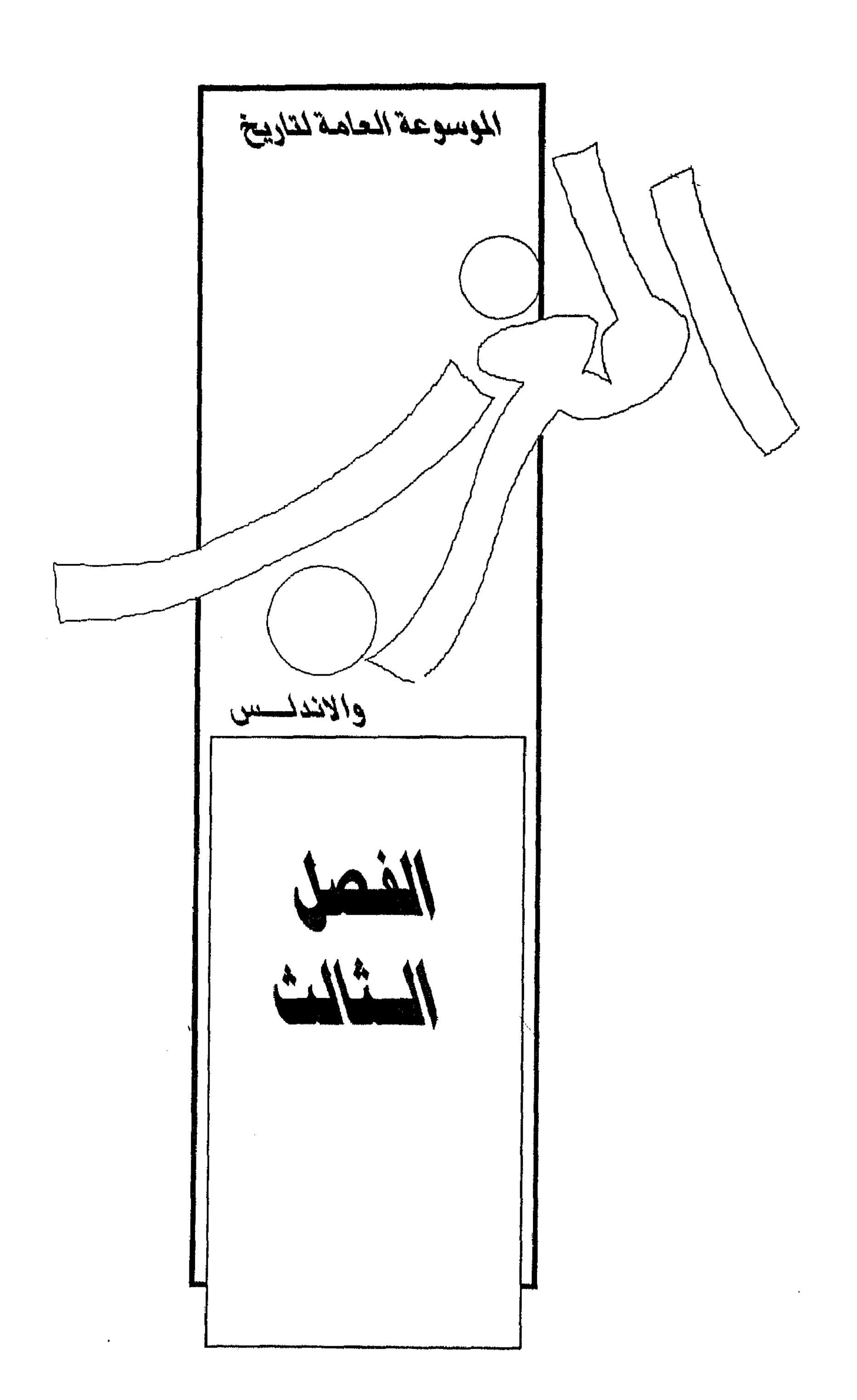
وشعرت فرنسا بالخطر الجديد، خطر حلول الكفاح السياسي المغربي محل الكفاح المسلح المغربي، فقررت بالاتفاق مع المقيم الفرنسي العام في المغرب اللجوء إلى فكرة «فرق تسد» اقتداء بالسياسة البريطانية التي عمدت عام ١٩١٧ إلى الاعتراف «بوعد بلفور»[1] لاعطاء اليهود في فلسطين والعالم «وطناً قومياً» هذه الفكرة وضعت خطوطها الأولى في أواخر القرن

---

(١) وعد بلفور: جرت خلال الحرب العالمية الأولى مفاوضات بين زعماء الصهيونية من جهة وبين الحكومة البريطانية من جهة ثانية حول: «انشاء دولة موالية لبريطانيا تقوم في جوار مصر وقناة السويس» وقد أسفرت تلك المفاوضات عن صدور تصريح بلفور وزير خارجية بريطانيا يومذاك هذا نصه: «أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين». (في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧).

والجدير بالذكر أن اليهود قاموا قبيل صدور هذا الوعد المشؤوم بحملة اعلامية واسعة النطاق للتأثير على الحكومة البريطانية المنتدبة. وقد كشفت تلك الحملة عن أنهم لا يطمعون بفلسطين فحسب بل بشرقي الأردن وشمال الحجاز وجنوب سوريا وجنوب لبنان أيضاً. وقد كان هذا التصريح فاتحة الكوارث على العرب.

التاسع عشر، أي قبل الحرب العالمية الأولى، ولما احتلت بريطانيا فلسطين عام ١٩١٧ وطردت السلطات العثمانية وجميع جنود جيش دولة الرجل المريض من فلسطين وسوريا والعراق، وجدت الظروف مناسبة للاستجابة إلى مطالب الصهيونية العالمية والوفاء بعهودها القديمة لها فوجهت الحكومة البريطانية إلى اللورد بلفور رسالة منحت بموجبها الشعب اليهودي حق إنشاء وطن قومي له في فلسطين بشكل لا يتعارض مع حقوق السكان الفلسطينيين العرب إلى آخره.. وبذلك استطاعت بريطانيا أن تطيل مدة احتلالها لفلسطين من عام ١٩١٧ لغاية أيار عام ١٩٤٨، وذلك بتحقيق فكرة إنشاء مجابهة مستمرة بين عرب فلسطين والمستوطنين اليهود.


الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلــس
الفصل
الثالث

الظهير البربري وخلفياته

وعلى أساس الفكرة البريطانية أصدرت سلطات الحماية الفرنسية في المغرب «الظهير البربري» لعزل السكان المغاربة البربر عن السكان المغاربة العرب. وهي فكرة شيطانية لا تقل عن فكرة «الوطن القومي اليهودي» خبثاً ومكراً وفساداً.

ففي ١٦ مايو «أيار» سنة ١٩٣٠ صدر «الظهير البربري» من سلطات الحماية بدون مرسوم من السلطان وفي ذلك تجاوز لحقوقه بموجب معاهدة الحماية.

وقد وصفه المناضل علال الفاسي بقوله: «أنه تعبير صارخ عن سياسة «فرنسا الهمجية» هذه السياسة التي هي آخر ما اهتدى إليه الفكر الفرنسي للقضاء على مقومات المغرب العربي ودمجه في الحظيرة الفرنسية».

بمعنى أنه يشكل خطراً على وحدة المغرب العربي. ومع ذلك فان صدور الظهير البربري في عام ١٩٣٠ لا يعني أنه وليد الساعة وأنه حدث جديد في السياسة الفرنسية، وذلك لأن «ظهيراً بربرياً» آخر سبق أن أصدره

المـاريشـال ليـوتـي فـي ١٨ سبتمبر عـام ١٩١٣ أي بعـد عـام واحـد مـن فـرض الحماية بحجة احترام التقاليد البربرية. هذا قبل أن يراجع الماريشال ليوتي نفسه فيما بعد وقبل أن تتبلور في عقله فكرة الوجود المغربي على أرضه، وهي الفكرة التي راح يهاجم بها حكومة فرنسا الاستعمارية، التي كانت تعد العدة لضم المغرب إلى فرنسا على اعتبار أنه أرض فرنسية.

الماريشال ليوتي ينتقد سياسة حكومته

وقد أوضح الماريشال فكرته هذه التي تعتبر انقلابا على المشروع الفرنسي الرامي إلى ضم بلاد المغرب إلى فرنسا حين ألقى خطاباً في عام ١٩١٦ قال فيه:



الجنرال ليوتي

«لقد وجدنا في هذه البلاد دولة وشعبا واضحي المعالم، فأكثر المنظمات «أي المؤسسات الوطنية» القائمة كانت راسخة، وكانت تمثل شيئاً حقيقيا، فلم يكن ثمة نظام سياسي واضح فحسب، بل كان هناك نظام قضائي هام».

وكما قال في مناسبة أخرى: «كلما ازدادت معرفتي بأهل هذه البلاد، وكلما طالت إقامتي فيها، ازداد اقتناعي بعظمة هذه الأمة، فبينما كنا نجد في الأجزاء الأخرى من شمال أفريقيا مجتمعاً متقوض البناء، بسبب الفوضى

السابقة وانعدام القوة، ولكننا وجدنا هنا.«في المغرب» امبراطورية قائمة مكينة والفضل في ذلك يعود إلى قوة دائمة وطدها واقع تتابع الأسر المستمر، والحفاظ على المؤسسات الأساسية بالرغم من الثورات»(١) .

«أن الاحترام الزائف» الذي ترمي إليه السلطات الفرنسية أخذت أبعاده تتجلى عندما تبين بأن تلك السلطات كانت تريد تمزيق وحدة الشّعب المغربي، والتفريق بين العرب والبربر تبعاً للسياسة الاستعمارية التي أصبحت تعتنق فكرة «فرق تسد» وذلك تمهيداً لتقسيم المغرب إلى مغربين: عربي وبربري وسعياً وراء «تنصير البربر».

قال اندريه آدم من موظفي الادارة المغربية السابقين: «أننا لا نتعامل مع عنصر واحد، بل مع بضعة عناصر فهناك شعب يتكلم لغة بربرية وهم من السود ويقطنون الواحات الصحراوية وما هو أمام الصحراء».

اللّهجات البربرية

ثم يستشهد السيد آدم بعالم اللغات السامية «مرسيل كوين» الذي يصنف البربرية مع اللغات الحامية ـ السامية، التي تشمل اللغات السامية «خاصة العربية والعبرية، والمصرية القديمة والليبية البربرية ولغة الأحباش الكونشيين في أثيوبيا»(٢) .

بمعنى أن اندريه آدم ينفي وجود أي فجوة بين العرب والبربر مؤكداً ذلك بقوله: أن مظهر الوعي العنصري أو القومي هو أن يكون متمتعاً بثقافة ما مكتوبة بلغة واحدة يستطيع الناس بواسطتها التعبير عن افكارهم وأحاسيسهم شفوياً وكتابة ويستطرد قائلا: واللهجات البربرية لهجات كلام فقط، أي أن

(١) روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٥ نقلاً عن كتاب: Les berbères, in Ecrits de paris. April 1953.

البربرية لهجة محلية يتكلم بها ولكنها لا تكتب، وأكثر الوثائق التي عثر عليها بين البربر كانت مكتوبة بالعربية، أما الأدب البربري الصحيح ـ القصص، والأغاني والشعر ـ فهو أدب شفوي يحفظ في الصدور، وينتهي السيد اندريه آدم بمثل هذه الاكتشافات إلى مثل الرأي الذي انتهى إليه علماء اللغة والانتروبولوجيا ـ من بريطانيين وفرنسيين والمان وأمريكيين وغيرهم ـ «بأن البربرية ليست لغة ثقافة» والحقيقة أنه يؤكد أن ليس ثمة «لغة مشتركة يمكنها أن تربط الجماعات المختلفة المتكلمة بالبربرية»(١) .

ثم أن القول بأن هناك لغات بربرية بقدر ما هنالك من قبائل لا يعدو النكتة بطبيعة الحال ولكن بربر المغرب يستعملون عددا من اللهجات المتميزة القليلة التشابه فقبائل شلوح في الأطلس الأعلى يتكلمون لهجة «التشيليت» والايمازيرون في الأطلس الأوسط وتفيلالت يتكلمون التمازرت، وزناته في البادية الشرقية، يتكلمون الزناتية، وكل جماعة من هذه القبائل تستعمل لهجة واحدة تنقسم إلى وحدات أصغر والفروق الجذرية لا تتجاوز اختلاف اللغط فقط، وهذه اللهجات وتباينها موجودة في اللغة الانكليزية، فسكان لندن يتكلمون لهجة انكليزية راقية، تختلف عن انكليزية سكان مقاطعة ويلز، والسكان الاسكوتلانديين في الشمال، وانكليزية الايرلنديين في ايرلندا، وذلك على غرار اللهجات العربية وتباينها في سوريا، والعراق، والحجاز ونجد واليمن، بالاضافة إلى لهجات البدو والاعراب وسكان المحميات.

وهنا يقول اندريه آدم: أنه بالرغم من الزعم القائل بوحدة اللغة عند البربر وما يترتب على ذلك من عداوة للسان العربي، فاننا نجد في النهاية ـ «أن اللغة العربية هي لغة الثقافة لدى البربر وأن البربري المتعلم هو الذي

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة.

يقرأ العربية ويكتبها[1] ـ.

وقد جاء في الاحصاءات التالية المأخوذة عن التقديرات الفرنسية لعام ١٩٤٩ صورة واضحة للوضع تقول بأن ٢٩ في المئة من السكان يتكلمون اللغة البربرية فقط، و١٤ في المئة لغتهم الأصلية بربرية، ولكنهم يجيدون العربية و٦٤ في المئة لغتهم الرئيسيه هي العربية غير أنهم يلمون بعض الالمام بالبربرية.

كان الماريشال ليوتي يعتبر أن له رسالة في المغرب «وهي رسالة غير استعمارية» رسالته هذه تبلورت عندما نضج وعيه الانساني وعندما غض النظر عن فكرة «الظهير» الذي أصدره عام ١٩١٣، وكان المغرب بالنسبة إليه أرضا بكراً حثه واجبه على أن يجعلها أرضا خصبة غنية ـ بأن يضفي عليها كل الثراء الذي يمكن أن يتجمع من مزيج سريع للحضارة الفرنسية مع امكانات البلاد المنطوية عليها. «أي أنه أراد أن ينقل الحضارة الفرنسية إلى المغرب، لا أن يضم المغرب إلى فرنسا» أو كما وصف ذلك أحد أصدقائه بلغة رومانتيكية على أنها «زواج بينه وبين المغرب».

وما أسرع ما كانت تستثار غيرته «على المغرب» وغضبه لدى أقل إشارة إلى التدخل في شؤونه «أي شؤون المغرب» والحادثة التالية تظهر مدى هذه الغيرة: «في أوائل الحرب العالمية الأولى حين قام كليمنصو بحملة عنيفة. على ليوتي، متهماً إياه بأنه كان يستغل منصبه في المغرب لتحقيق أطماعه الشخصية» فكان رد الفعل عند ليوتي آنياً وعنيفاً، إذ كتب رسالة نارية إلى الحكومة الفرنسية في باريس، وصم فيها كليمنصو «بأنه شخصية ذات صيت قبيح» وختم رسالته النارية بقوله: يجب أن تكون سلطتي هنا فوق أي

---

(١) صفحة ١٠٥ ـ ١٠٦ المصدر نفسه.

تساؤل».

والجدير بالذكر أن كليمنصو هو صانع النصر الفرنسي في الحرب العالمية الأولى...

وكان ليوتي هو الشخص الفذ الذي سيستيقظ المغرب من كبوته على يديه خلافا لبعض خلفائه في المغرب، فقد قال في إحدى المناسبات: «يجب الا ننسى أننا في بلاد ابن خلدون الذي هبط فاس وله من العمر عشرون سنة، واننا في أرض ابن رشد واحفادهما الذين لا يقلون عنهما شأناً»[1].

وكان الماريشال ليوتي يمقت أي إجراء أو تدبير يفهم منه أن المغرب يحكم حكماً مباشراً، أو أي اجراء يقصد منه انتقاص السيادة المغربية، وقد أعلن أن العاملين في الادارة يجب عليهم أن يقوموا بدور المرشد لا الحاكم - وقد قاوم ما وسعته المقاومة ادخال نظام الحكم المباشر، ورفض أن يفتح أبواب الادارة لصف من الضباط الفرنسيين، ولم يسمح بادخال عناصر العمال الفرنسيين على نحو ما حدث في الجزائر، وكان يرى فيما يحدث في الجزائر وتونس نذيراً فلم يرد أن يطغى المستعمرون على المغرب[2].

ماذا بعد الظهير البربري؟

وبعد صدور «الظهير البربري» عام ١٩٣٠ عمت المغرب موجة عامة من السخط والاستنكار. فقالت الحركة الوطنية: أن هذا «الظهير» يخرج قسماً مهما من المغاربة المسلمين عن القضاء الشرعي ويحوّل جانباً من

(١) روم لاندو: المرجع السابق ص١١٤ يضيف روم لاندو في التعليق قائلاً: «لقد كان ليوتي مقتنعاً بأن مساوىء استيطان الفرنسيين للمغرب يفوق حسناته بدرجة كبيرة.
(٢) المصدر نفسه من رسالة ليوتي الى كاترو صفحة ٧٧ من الرسالة.

المسائل القضائية في مناطق البربر إلى المحاكم الفرنسية، كخطوة أولى نحو تنصير البربر، وهذا سعي لجعل المغرب اندلسا ثانية وهو في الوقت نفسه يخرق معاهدة الحماية ويناقضها.

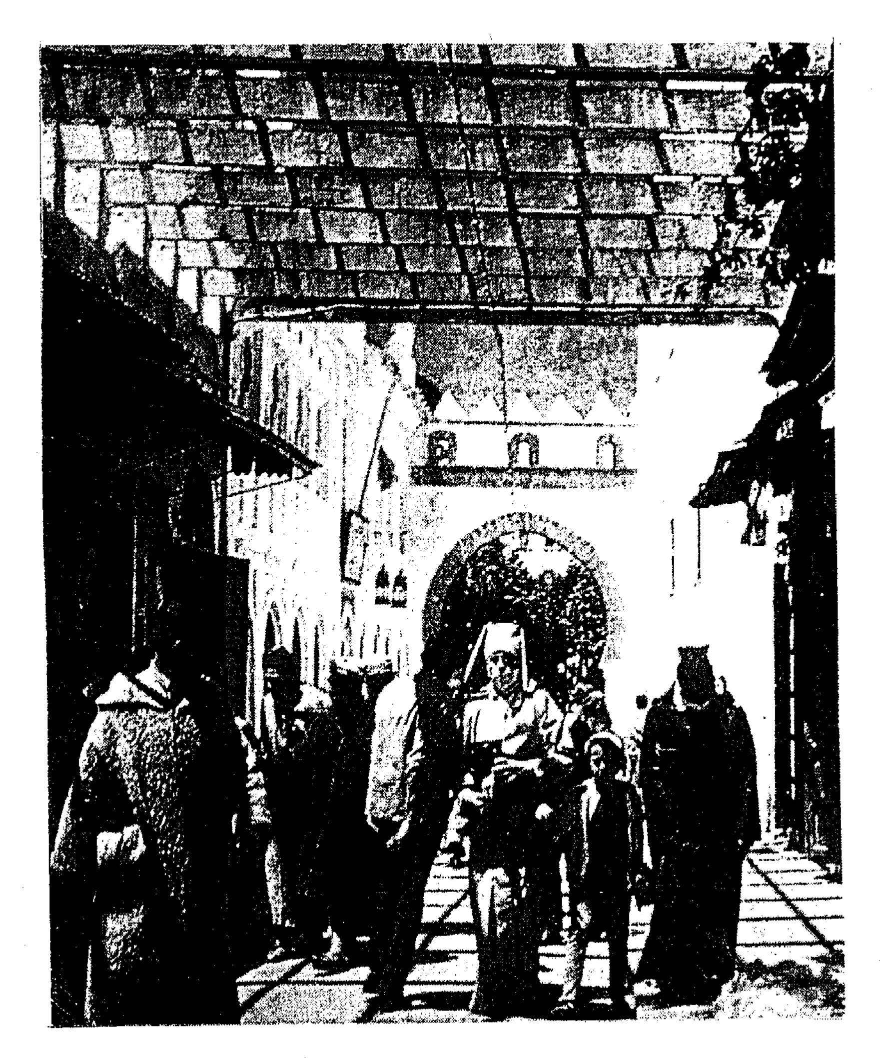
وشددت الحركة الوطنية على الخطر المباشر الذي يهدد العروبة والاسلام في المغرب، وأشارت إلى مقال نشرته جريدة الحزب الاشتراكي الفرنسي «نشر قبل عام من صدور الظهير البربري بعنوان «عاصفة على المغرب» تحدثت فيه عن خطاب ألقاه نائب كنيسة الرباط في مؤتمر المبشرين الذي عقد في «لورد» في السنة نفسها «١٩٣٠» وقال فيه: «ستقوم في المغرب أعظم حملة قام بها المبشرون لتنصير برابرة الجبال».

ومن ناحية ثانية فإن الأوساط الكاثوليكية في المغرب ولا سيما التي تحيط بالقاصد الرسولي ـ كما أكد المؤرخ ليب» كانت تقول: «أن تمسك البربر بأعراقهم دليل على سطحية اسلامهم، وأن قليلاً من الجهد كاف لتنصيرهم» وقد نشروا آراءهم هذه في جريدة «المغرب الكاثوليكية» التي كان يصدرها القاصد الرسولي فيه.

الأمير شكيب ارسلان في تطوان

لم تقتصر مقاومة «الظهير البربري» على المغرب وحده بل تعدته إلى جميع الأقطار العربية والاسلامية، فتحرك الأزهر في القاهرة، عندما أرسل شيخ الأزهر برقية استنكار إلى الملك فؤاد طالباً إليه التدخل وعمت المظاهرات العواصم العربية نصرة للمغرب ودفاعاً عن الاسلام، وأسهم الأمير شكيب ارسلان بالحملة الواسعة من جنيف وساعده في ذلك السيدان محمد الحسن الوزاني وأحمد بلفريج، ثم زار الأمير شكيب مدينة تطوان وألقى فيها خطباً نارية خلال الأيام العشرة التي قضاها في المدينة، وطالب

الحكومات العربية بأن ترفع القضية إلى «عصبة الأمم» وأن توجه احتجاجاتها إلى الحكومة الفرنسية وإلى برلمانها ومجلس شيوخها. وحث على مقاطعة البضائع الفرنسية، لأن المقاطعة الاقتصادية سلاح مؤثر ولغة يفهمها



قيسارية في مدينة تطوان

المستعمرون. وقامت قيامة الطلبة المغاربة في فرنسا وانضم إليهم الطلبة العرب في سائر أنحاء البلاد العربية.

وكان الملك محمد الخامس يتابع «الهجمة العربية» على الاستعمار الفرنسي بتلهف وتترقرق في عينيه دموع الفرح ـ وهكذا تجاوب العالم العربي والاسلامي مع المغرب.

الطلبة المغاربة يفضحون المستعمرين

وأقام طلاب المغرب في فرنسا مع طلاب الجزائر وتونس رابطة قومية عربية لمناهضة الاستعمار الفرنسي فعقدوا العديد من المؤتمرات السنوية في عواصم المغرب الكبير في فاس ومراكش والجزائر وتونس وطرابلس.

وفي عام ١٩٣١ بدأت الحركة الطلابية المغربية تتصل بالأحزاب الاشتراكية والأحزاب الديمقراطية الفرنسية إلى جانب كفاح المغرب، ثم أصدرت الحركة الطلابية عام ١٩٣٢ «مجلة المغرب» الشهرية في باريس، وأسندت مهام تحريرها والاشراف عليها إلى السادة: محمد الحسن الوزاني، وأحمد بلفريج ومحمد اليزيدي، وعمر عبد الجليل، وعبد اللطيف صبحي. وأسهم في تحريرها بعض الكتاب الاشتراكيين الفرنسيين ثم عين رئيسا لتحريرها المحامي الفرنسي الاشتراكي روبير جان لونكي.

حركات التحرر المغربية

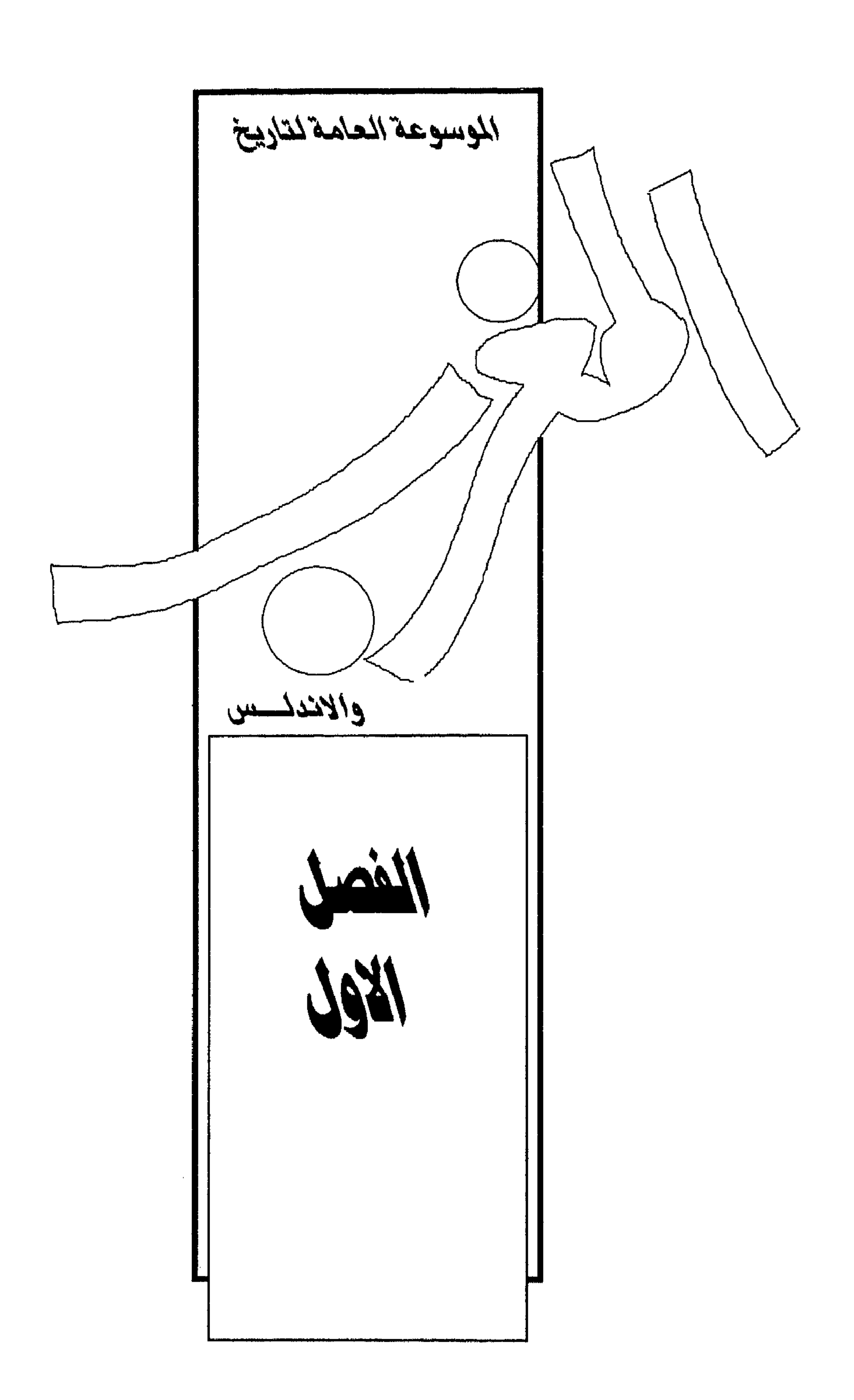
وتألفت على الأثر «جمعية أنصار المغرب» من شخصيات اشتراكية وديمقراطية وشيوعية فرنسية.. ولكن الوطنيين ـ الذين رحبوا بجهود هذه الجمعية الجديدة ظلوا منها على حذر لأنها كانت تضم عناصر يهودية وصهيونية تتعاون مع الحكومة الفرنسية وسلطات الحماية في المغرب.

وهكذا أيضاً تألفت كتلة العمل الوطني عام ١٩٣٢ وهي التي كانت تدعى من قبل «الحركة الوطنية المغربية» على اعتبار أن سلطات الحماية كانت تمنع تأليف الأحزاب.

وسرعان ما أقبل جلالة الملك محمد الخامس على دعم «كتلة العمل الوطني» فأصدر أمراً ملكيا بإيقاف كل مظاهرات «طرق العيساوية» و«الحمدوشية» وغيرها من الطرق التي كانت تحابي سلطات الحماية، ناهيك عن أنها كانت «طرق» تقوم على نشر البدع والشعوذات بما يتنافى مع تعاليم الاسلام الصحيح.

الباب الثاني




الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الاول

خلفاء الماريشال ليوتي في المغرب

في سنة ١٩٢٤ في عهد السلطان يوسف والد السلطان محمد الخامس تولت حكومة ادوار هريو السلطة في فرنسا فشعر الماريشال ليوتي بأن أيامه في الحكم قد شارفت على نهايتها، وأنه قد يقصى عن وظيفته في المغرب بدون إنذار، لأن رئيس الوزراء الفرنسي الجديد ـ ادوار هريو ـ كان يناصبه العداء بالاضافة إلى أحزاب اليمين وأحزاب اليسار، وكان ليوتي قد بلغ السبعين من عمره ـ ففكر بالاعتزال ولكنه دعي إلى الخدمة من جديد، لا كإداري بل كجندي، لأن الحرب التي فجرها الأمير عبد الكريم في القطاع الذي تحتله اسبانيا كانت تهدد بالامتداد والتوسع إلى منطقة الاحتلال الفرنسية.

الماريشال بيتان

ولما سقطت حكومة ادوار هريو عام ١٩٢٥، خلفتها حكومة بانليفيه، وهنا ألحَّ ليوتي على السلطات الفرنسية بأن تبعث إلى المغرب جنرالاً يتولى تحت اشرافه القيادة الحربية مقترحاً ارسال الجنرال ويغان أو الجنرال غورو،

أو الجنرال غيوم، فرفض اقتراحه. وأرسلت الحكومة الفرنسية المارشال بيتان في ١٧ تموز «يوليو» فعقد كل من المارشال ليوتي والمرشال بيتان الفرنسيان والمرشال بريمودي ريفيرا الاسباني، اجتماعاً ليضعوا امكاناتهم معا والخطط الحربية لاخضاع بطل الريف الأمير عبد الكريم الخطّابي، وهكذا اقتضى الانتصار على المحارب الريفي عمل ثلاثة مارشالات وأربعين جنرالاً ونصف مليون من الجنود الفرنسيين والاسبان.



بريمو دي ريفيرا

الطيارون الأميركان في خدمة الفرنسيين

ومن أحداث هذه المرحلة الأخيرة من تلك الحرب الدموية اشتراك قدماء الطيارين الأمريكيين ـ من محاربي الحرب العالمية الأولى بالقتال في صفوف الفرنسيين. والأفظع من ذلك كله هو أن وحدة المتطوعين هؤلاء من الأمريكيين أطلق عليها إسم «الحرس الجوي الشريفي» لأن القوانين الفرنسية كانت لا تسمح لأجنبي أن ينضم إلى صفوف القوات المحاربة الفرنسية، باستثناء «الفرقة الأجنبية» لذلك كانت فكرة تسمية فرقة الطيارين المتطوعين من الأمريكيين «بالحرس الجوي الشريفي» بدعة فرنسية ـ أمريكية مثيرة للسخرية في المجتمعات الأوروبية كافة أما مسألة القاء الطيارين الأمريكيين القنابل والرصاص من رشاشاتهم على القرى المغربية الخالية من وسائل

الدفاع، خصوصاً وأن شعب القرى المغربية لم يكن بينه وبين الولايات المتحدة أية خصومة فإنه لأمر شديد الغرابة:

وقد ادعى الأمريكيون أنهم كانوا يقاتلون عن فرنسا، ولكنهم في الواقع كانوا يقاتلون من أجل بقاء الريف تحت حكم اسبانيا - وهي الدولة التي حاربها الأمريكيون في الجيل السابق، فأخرجوها وطردوها من العالم الجديد طرداً لأن طغيان الاسبان وقسوتهم وفسادهم زكمت أنوف الناس الطيبين برائحتها الكريهة[1].

يقول كارلتون وهو الحجة الكبير في شؤون الريف المغربي: «لولا أن الفرنسيين والاسبان استعملوا الطائرات والدبابات لكان باستطاعة البطل عبد الكريم أن يقاتل الفرنسيين مدة لا نهاية.

الماريشال ستيغ

ولما استسلم الأمير عبد الكريم الخطّابي في ٢٧ أيار ١٩٢٦ كان حكم ليوتي قد أصبح في ذمة التاريخ، ففي ٢٤ أيلول «سبتمبر» سنة ١٩٢٥ قدم ليوتي استقالته فقبلت بعد يومين، فعين خلفاً له تيودور ستيغ أحد رؤساء الوزارة الفرنسية السابقين وهو من جزّاري الجزائر.

وتوفي المارشال ليوتي في فرنسا عام ١٩٣٤، وكان أكثر زواره بعد الاستقالة أصدقاؤه المغاربة ومنهم الملك محمد الخامس الذي زاره قبل وفاته ببضعة أسابيع.

وليس ثمة من يجهل بأن السلطات الفرنسية كانت تحكم باسم شرعية الحماية، وتمارس في الوقت نفسه الادارة المباشرة أي الحكم المباشر. ولم

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٦ نقلاً عن: E - Alexander powell, in Barbary the century company New york 1926 P. 255.

تعترف السلطات الفرنسية بذلك حتى بعد مرور زمن طويل أنها أدخلت «خلسة» نظام الحكم المباشر وفرضته على المغرب. هذا مع العلم بأن المارشال ليوتي نفسه كان قد نبّه مواطنيه إلى اتجاه الأمور نحو الحكم المباشر ـ ففي سنة ١٩٢٠ أعلن ليوتي: «أن حكمنا لهذه البلاد «المغرب» يقوم على مبدأ الحماية، فنحن نعلن هذا المبدأ، والحكومة تردده في كل مناسبة، ولكن أليس ذلك مجرد أسطورة؟ أن الادارة المباشرة تجري في دمائنا سواء كنا موظفين قادمين من فرنسا أو موظفين قادمين من الجزائر.. أننا نتجه شيئاً فشيئاً نحو الادارة المباشرة».

لذلك فإن عملية تسريب الادارة المباشرة إلى المغرب جعلت أكثر مرافق الحياة المغربية احتكاراً «للاقامة العامة» يعنى للمقيم الفرنسي العام وإدارته.

وكان ستيغ المقيم العام الجديد متشبعاً بآراء «المدرسة الجزائرية» إذ كان يعتقد بأن الأساس الوحيد للحكم الأجنبي لأي بلد وراء البحار هو قيامه على استعمار الأوروبيين للأرض.. وكان ليوتي يرى في ذلك خطراً شديداً ولكنه ـ في سنيّ حكمه ـ اضطر تحت ضغط باريس لأن يضع مساحات واسعة من أراضي المغاربة وممتلكاتهم تحت تصرف المستوطنين الفرنسيين، ففي خلال عشر سنوات فقط من الحماية استطاع أن يؤمن لألف فرنسي مستوطن ٤٠٠ ألف هكتار من الأراضي المغربية المغتصبة، وهذه أكبر عملية سلب ونهب للأراضي المغربية جرت في عهد المارشال ليوتي.. وفي عشر سنين فقط. ترى كم صادر المقيمون العامون فيما بعد من أراضي المغرب لاسكان المستوطنين؟!

الماريشالان سانت وبونسو

وحل فيما بعد «لوسيان سانت» محل المقيم العام ستيغ وبعد رحيل لوسيان سانت عام ١٩٣٣ تولى مكانه هنري بونسو. . وكان ستيغ من قبل قد أدخل إلى المغرب «سياسة الاستعمار الجامحة» وثبتها لوسيان سان بتواطئه وسكوته. . وكان على هنري بونسو المقيم الجديد أن يعالجها في ضوء معالجته للحركة القومية التي كانت تتفتق في البلاد.

ففي عام ١٩٣٤ ألقى هنري بونسو خطاباً في نادي «انتراليه» في باريس قال فيه بحضور المارشال ليوتي قبل وفاته بأسابيع: «يجب علينا أن نعطي المغاربة ما هو حق لهم ويجب أن تعود ثقتهم بفرنسا إلى ما كانت عليه».

واعترافه هذا بأن الثقة بفرنسا أصبحت مفقودة في المغرب، اعتبرت مفاجأة لكثير من الحاضرين. . لكن المارشال ليوتي «المستقيل» لم يفاجأ بالأمر. .

وقد فشل هنري بونسو بإعادة الثقة بسبب عجزه عن حل مشكلة أخرى ـ هي مشكلة تزايد عدد الموظفين الفرنسيين في البلاد ـ إذ بلغ ما يخصص لهم من الموازنة المغربية ٦٥ في المئة، فحاول أن يقلل عددهم، وأن يخفض من مرتباتهم الضخمة، وكان اقدامه على هذه المغامرة يعتبر شجاعة فائقة، لأن الموظفين الفرنسيين كانوا قد أصبحوا كتلة سياسية استعمارية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمستعمرين الفرنسيين وهيآتهم.

وحاول هنري بونسو أن يدخل اصلاحات جديدة في صالح المغرب ولكنه فشل ولم يستطع أن يتغلب على «كتلة الموظفين الفرنسيين» في المغرب ومناصريهم في فرنسا.

الماريشالان بريتون ونوغيس

وفي عام ١٩٣٦ استدعي هنري بونسو إلى فرنسا وعين سفيراً في تركيا، قبل أن ينجز الاصلاحات التي كان ينوي ادخالها، فظلت اصلاحاته حبراً على ورق.

وحل محله «مارسيل» بيروتون» ثم الجنرال «نوغيس» وقد حاولا أن يعملا شيئاً في صالح المغرب وقد حاز الجنرال نوغيس ثقة الملك محمد الخامس ورضاه.

صدور صحف يومية مغربية

كان على الجنرال نوغيس أن يدفع ثمن الأخطاء التي اقترفها اسلافه من جهة وأن يواجهه الحركة المغربية الوطنية التي راحت تزداد قوة ووثوقاً من جهة أخرى، ومع ذلك فقد تمكنت الحركة الوطنية من اصدار ثلاث صحف يومية هي: «الأطلس» «والمغرب» و«العمل» بالاضافة إلى صحيفة أسبوعية هي «الوداد» ولكنه حدَّ من حرية هذه الصحف إذ سمح لرؤساء الدوائر من الفرنسيين بأن يكونوا مراقبين عليها.

عيد العرش

كان من أهم الانجازات التي حققتها جريدة «العمل» أو «عمل الشعب» أنها دعت وبقوة إلى تأسيس «عيد العرش» وجعله عيداً وطنياً يحتفل به المغرب في ١٨ نوفمبر من كل عام، وهو يوم ميلاد محمد الخامس الذي أطلقت عليه الصحيفة لقب «الملك» بدلا من لقب سلطان الذي أصبح من مخلفات الماضي.

وكانت الفكرة جيدة لأنها تكرس التعاون الوثيق القائم بين الملك والحركة الوطنية، كما أنها تجيء رداً حاسماً على الفرية التي افترتها سلطات

الحماية ضد المناضل الوطني علال الفاسي، الذي اتهمته ـ بأنه سافر إلى باريس ليأتمر مع الحكومة الفرنسية على إعادة المولى عبد الحفيظ السلطان الأسبق، إلى عرش المغرب. وتكذيباً لتلك الفرية الرخيصة فقد طالبت هيئة تحرير صحيفة «عمل الشعب» بالاحتفال بعيد العرش، ليتاح للشعب المغربي إظهار مدى تعلقه بمليكه والتفافه حوله، وحول نجله الأكبر مولاي الحسن «أمير الأطلس» يومذاك فاستجاب الشعب المغربي بحماسة بالغة للنداء لأنه كان يرى في الملك رمزاً لوحدته وأملاً باستعادة استقلال بلاده ـ هذا بالاضافة إلى لقبه الديني الأسمى «كأمير للمؤمنين».

وهكذا أقيم «عيد العرش» واحتفل الشعب بمليكه احتفالاً رائعاً فأقيمت المهرجانات في المدن والحواضر المغربية، وازدانت الشوارع، وصدحت الموسيقى، ووزعت الأشربة والحلوى على المارة. وأرسل السيد محمد الحسن الوزاني برقية باسم لجنة «عمل الشعب» إلى الملك مهنئاً بالعيد، كما أرسل علماء وطلبة جامعة القرويين في فاس، واتحادات الخريجين ومختلف شرائح الشعب برقيات تهنئة مماثلة.

وكانت السلطات الفرنسية قد سمحت للمناضل علال الفاسي بالعودة من باريس إلى الرباط.. فاستدعاه الملك محمد الخامس إلى مقابلته في القصر الملكي ـ كما ذكرنا ذلك في موضعه.

أفراح الشعب المغربي

وفي الثامن من مايو من عام ١٩٣٤ ازدانت شوارع مدينة فاس لاستقبال العاهل المغربي، في احتفال لم تشهد البلاد له مثيلاً منذ أن فرضت عليها الحماية المغربية، وفي هذا اليوم وزعت صحيفة «عمل الشعب» عدداً خاصاً صدَّرته بصورة الملك محمد وولي عهده الحسن، وبلغ حماس

الشعب في ذلك اليوم ذروته وراح يردد: «فليحررنا سيدنا» «وليساعدنا السلطان».



أفراح الشعب المغربي

سلطات الحماية تفقد صوابها

انقضّت هذه الاحتفالات المدوية على سلطات الحماية انقضاض

الصواعق، وهي لم تكن بحاجة كبيرة لتدرك معنى التقاء الملك بشعبه على الساحة الوطنية، كما ذهلت تلك السلطات عندما شاهدت الشعب يلتف حوله مليكه ويحرسه بدلاً من حرسه. والملك لا يبدي أية ممانعة، بل على العكس فأنه كان يبدو سعيداً جداً. .

وفي اليوم التالي له انفجر الحقد الأغمى لسلطات الحماية المؤلفة من موظفين عنصريين لم يرق لهم ذلك التلاحم الوطني ملكاً وشعباً فطلبوا من الملك اصدار الأمر باعتقال زعماء الحركة الوطنية بحجة صدور هتافات معادية لفرنسا يوم الاستقبال، كما طلبوا منه الامتناع عن صلاة الجمعة في جامع القرويين، والصلاة ـ بعد اليوم ـ في جامع القصر «حرصاً على حياته من اعتداء قد تشنه عليه الجماهير الشعبية، والا فليسمح لهم جلالته بإحاطته بالحرس الفرنسي، وبوضع صفين من جنود الحماية على طريقه أثناء ذهابه إلى المسجد.

الملك محمد الخامس في مواجهة سلطات الحماية

فرد الملك على سلطات الاحتلال في العاشر من مايو «أيار» برفض طلبات وعروض سلطات الحماية، وسارع إلى مغادرة فاس عائداً إلى الرباط، وسارعت سلطات الحماية بدورها باصدار بلاغ زعمت فيه على لسان السلطان «أنه غادر فاس استنكاراً لأعمال «مثيري الشغب» وما بدا منهم من أعمال وعواطف معادية لفرنسا التي يرغب السلطان الحفاظ على صداقتها».

ولكن الملك كذّب كل تلك المزاعم الفرنسية فجاء تكذيبه صفعة مدوية على وجوه سلطات الحماية، فلما وصل زعماء «كتلة العمل الوطني إلى الرباط بادر الملك بدعوتهم إلى القصر الملكي بموجب دعوة رسمية،

وهناك شهدوا اجتماعاً لمجلس الوزراء برئاسة الصدر الأعظم، وحضور رئيس الديوان الملكي الذي أخبرهم باسم جلالته أن الملك لم يخرج غاضباً من فاس، كما أشاعت سلطات الاحتلال ولكنه خرج مغتبطاً وممتناً.

وفي هذا الاجتماع أظهر جميع الوزراء رغبتهم في تحقيق أماني البلاد وقالوا: «أن الجميع يجب أن يتعاونوا على استرجاع السيادة المغربية الأسيرة».

سلطات الحماية تأمر بتعطيل الصحف الوطنية

قامت سلطات الحماية على الفور بتعطيل صحيفة «عمل الشعب» ومنع صحيفة «المغرب» التي تصدر بالفرنسية في باريس من دخول المغرب، كما منعت الصحف الوطنية التي تصدر في منطقة الحماية الاسبانية، من دخول منطقة الحماية الفرنسية.

كتلة العمل الوطني تطالب بالغاء عهد الحماية
مذكرة المطالب الوطنية

جاء جواب «كتلة العمل الوطني سريعا وحاسما إذ وجدت الفرصة سانحة أمامها لترفع إلى جلالة عاهل المغرب مذكرة «بالمطالب الوطنية» أي مطالب الاصلاح... وأرسلت نسخاً عن المذكرة إلى المقيم الفرنسي، ووزارة الخارجية الفرنسية.

كانت مذكرة «برنامج الاصلاحات المغربية» مؤلفة من مقدمة وخمسة عشر فصلاً: والمذكرة لم تطالب بالغاء الحماية ونيل الاستقلال وإنما عددت جملة من المآخذ على سلطات الحماية لخروجها عن روح معاهدة الحماية ونصوصها خروجاً جعل الحماية استعماراً مباشراً، أو ما يشبه الاستعمار المباشر، بدلاً من أن يكون تطبيق الحماية مساعداً على تأمين الراحة

والطمأنينة اللازمتين لتدبير الملك، وتحسين العمران، ومساعدة المغرب على العودة إلى الحياة النشيطة محتفظاً بشخصيته المغربية وفقاً للضمانات الدولية، كأمة لها منزلتها وتاريخها في الماضي والحاضر.

أما فصول الاصلاحات التي تضمنتها المذكرة فهي:

فصل الاصلاح السياسي: وذلك بأن يقتصر دور الحماية على الرقابة وتطوير الادارة المغربية، وأن يحل الوزراء المغاربة محل الدوائر الفرنسية، وأن يجري اختيار الموظفين بطريق المسابقة وإعطاء الأفضلية للمغاربة في حالة التساوي بين المتسابقين، والغاء سياسة القواد الكبار، وتوحيد النظم الادارية، وفصل سلطات الباشوات والقواد، وإنشاء مجلس وطني ثلثه من ممثلي المجالس الوطنية، وثلثاه من نواب منتخبين، وأن تكون صلاحياته تشريعية ومالية واقتصادية، «مع شؤون الميزانية» وتأليف مجالس بلدية منتخبة تقتصر عضويتها على المغاربة «واليهود» ويرأسها موظف مغربي.

كما جاء في المذكرة فصل عن اصلاح القضاء يقضي بإقامة نظام قضائي موحد لجميع المغرب، وإقامة محاكم شرعية، ومحاكم مخزنية وفقاً «لقانون مغربي» مستوحى من الشرع الاسلامي.

وتناول فصل الاصلاحات الاجتماعية: التعليم والصحة والأوقاف وإنشاء وزارة للمعارف ومجلس أعلى يخضع لإشراف جامعة القرويين والمعاهد الدينية. وإصلاح الأوقاف الاسلامية. والنهوض بالاقتصاد المغربي بحماية الصناعة الوطنية من المزاحمة الأجنبية، وانشاء صناعة حديثة وتطوير الصناعة والحرف التقليدية، وتأميم المناجم، والبترول، والمياه المعدنية، والسكك الحديدية، والموانىء ومحطات توليد الطاقة الكهربائية، والبنوك ـ وعلى الأخص بنك الدولة في المغرب وفصله عن بنك

باريس والبلاد المنخفضة.

كما طالبوا بالغاء الاستيطان الرسمي وتوسيع الأساليب الزراعية وتجديدها.

وفي معرض الاصلاح المالي طالبوا بالاقلال من اللجوء إلى الضرائب غير المباشرة، وجباية الضرائب المباشرة بوسائل مشروطة وزيادة الرسوم الجمركية.

وفي حقل الحريات العامة طالبت المذكرة بتأمين حرية التعبير، والغاء العقوبات البدنية كالجلد والتعذيب وأمثالهما، وإلغاء كل عقوبة لا تستند إلى سند قانوني، والسماح بتشكيل الجمعيات والنقابات، واعطاء حرية التنقل للمغاربة داخل حدود المملكة المغربية، والغاء جوازات السفر المفروضة لاستعمالها داخل مناطق الحماية المختلفة.

وأخيراً، طالبت المذكرة بالغاء «الظهير البربري» والسياسة البربرية واعتبار اللغة العربية لغة البلاد الرسمية واحترام علم المغرب ونشيده الوطني وإلغاء لفظة «الصليب» من الأوسمة المغربية.

كل ما فعلته وزارة الخارجية الفرنسية أنها أحالت المذكرة إلى المقيم العام لاعطاء رأيه فيها فنامت في جاروره، في حين ظلت سلطات الحماية تمارس سياستها التقليدية التعسفية.

وفيما كانت «كتلة العمل الوطني» تعمل بجد ونشاط لإنماء قدرتها بحيث تكون فعّالة، تمخضت الانتخابات النيابية الفرنسية في مايو عام ١٩٣٦، عن تطورات مفاجئة إذ أسفرت عن فوز «الجبهة الشعبية» ولأول مرة في تاريخ فرنسا الحديث وبالأكثرية، فشكل الحكومة الجديدة زعيم الحزب الاشتراكي بلوم.

انتصار الجنرال فرانكو في اسبانيا

وبعد شهرين من ذلك التاريخ قاد الجنرال فرانكو من شمال المغرب ثورة على الحكم اليساري في اسبانيا، أوصلته إلى حكم اسبانيا. فاحتج خليفة السلطان على الجنرال فرنكو لأنه قاد ثورته من أرض المغرب.

وقد استقبلت «كتلة العمل الوطني» انتصار فرانكو بالنفور لأن المستوطنين الفرنسيين المعادين لحكم الجبهة الشعبية في فرنسا وجدوا في حكومة فرالكو الفاشية «اليمينية» بريق أمل لهم فراحوا ينظمون نواة ثورة فرنسية تنطلق من مستوطنات الفرنسيين في المغرب، وبالتعاون مع فرانكو ضد نظام الجبهة الشعبية الفرنسية التي يرأس حكومتها بلوم.

فرنسا تلجأ إلى سياسة اللين والمراوغة

وما إن علمت حكومة بلوم بنوايا المستوطنين الفرنسيين في المغرب حتى سارعت إلى الاتصال بـ«كتلة العمل الوطني» وراحت تعمل على استرضائها لتقف من الحكومة الفرنسية موقف التأييد لاحباط مؤامرة المستوطنين الفرنسيين.

المهم هو أن الجنرال نوغيس المقيم الفرنسي في المغرب بدأ يغير سياسته، فأعلن عفواً عاماً سنة ١٩٣٧ عن السجناء السياسيين والمنفيين كما أصدر عفواً عاماً عن بعض الصحف الوطنية المحكوم عليها بالتوقف، ثم سمح ولأل مرة لكتلة العمل الوطني، باستعمال كلمة «حزب» بدلاً من «كتلة» فصدرت من جديد جريدة «العمل الشعبي» اسبوعية باللغة الفرنسية وباشراف محمد الحسن الوزاني وصار إسمها «جريدة حزب العمل المغربي».

حزب العمل المغربي ينظم نفسه

سارع حزب العمل المغربي إلى تنظيم نفسه وإنشاء فروع له جديدة، ثم جرى اقتراع لانتخاب اللجنة التنفيذية المؤقتة للحزب، لتباشر افتتاح الفروع وتسجيل المنتسبين، وما أن أعلن بأن الأستاذ علال الفاسي انتخب رئيساً لهذه اللجنة والأستاذ محمد الحسن الوزاني أميناً للسر حتى وقع انقسام في الحزب فانسحب الوزاني وألّف «الحركة القومية» التي تحولت في الأربعينات إلى «حزب الاستقلال والشورى» وحل محله في منصب أمانة سر حزب العمل المغربي الحاج أحمد بلفريج.

ولقد كان كل من علال الفاسي[١] ومحمد الحسن الوزاني من أبرز الأعضاء العشرة المؤسسة لحزب العمل المغربي، فالأستاذ الفاسي يتميز بثقافته الاسلامية وتضلعه بالعربية كخطيب وشاعر مما ساعده على بناء زعامته الشعبية، أما الوزاني فهو خريج معهد اللغات الشرقية في باريس، والمدرسة الحرة للعلوم السياسية فيها، وهو أيضاً سكرتير الأمير شكيب ارسلان في جنيف.

سياسة فرانكو في شمالي المغرب

بعد أن أعلن المارشال فرانكو عن قيام الجمهورية الاسبانية، عقد معاهدة مع خليفة السلطان في مدينة تطوان، كخطوة أولى نحو اعتراف المغرب بالجمهورية الاسبانية.

(١) الأستاذ علال الفاسي: مجاهد عربي قديم. ولد في فاس سنة ١٩٠٨ وتلقى علومه في جامعة القرويين ودرس الحقوق في باريس. أسس الحركة الطلابية المغربية سنة ١٩٢٥ وكتلة العمل الوطني سنة ١٩٣٠ والحزب الوطني سنة ١٩٣٣ يُعْتَبَر أحد أبرز قادة المقاومة في المغرب ضد الحماية الفرنسية. توفي في بوخارست سنة ١٩٧٤.

وعيّن فرانكو مقيما عاماً اسبانيا في شمالي المغرب ذا عقلية متحررة «ليبراليّة» وحثه على الاتصال بالحركة الوطنية في شمال المغرب، فجرى اتفاق بين الطرفين على أن يمنح شمال المغرب المزيد من الحريات الديمقراطية، مما أفسح في المجال أمام الأستاذ عبد الخالق الطرّيس إلى إصدار جريدة «الحرية» باللغة العربية، كما أعان التهامي الوزاني على إصدار جريدة الريف باللغة العربية أيضاً.

كل هذه التسهيلات منحت للشعب المغربي في شمال المغرب، لأن المغاربة في ذلك الجزء حاربوا مع الجنرال فرانكو الذي كان يعترف دائماً بأنه مدين بالنصر الذي أحرزه للمغاربة في الشمال المغربي.

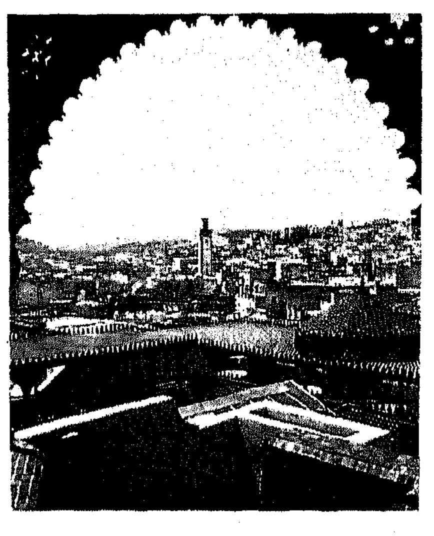
وقد ساعد ذلك أيضاً على ظهور «كتلة وطنية» في الشمال منطقة الحماية الاسبانية ـ فراحت تتعاون بصدق وإخلاص مع الأمير الحسن بن المهدي خليفة الملك محمد الخامس في تطوان. وقد نجح الأمير الحسن المذكور بتحقيق استقلال وزارتي العدل والأوقاف الاسلاميتين ـ عن إدارة الحماية الاسبانية، ووافق على تعيين السيد عبد الخالق الطريس وزيراً للأوقاف، والأستاذ داود ـ لتولّي منصب مفتش المعارف، وقامت الكتلة الوطنية بإيفاد بعثات طلابية إلى مدارس المشرق العربي، في معاهد مصر ومعهد النجاح الفلسطيني في نابلس، والجامعة الأمريكية في بيروت.

ظهور الحركات الاستقلالية تحت الأضواء

أما في سائر أنحاء المغرب الخاضع للحماية الفرنسية فقد كانت الأمور تجري على العكس تماما، فالسلطات الفرنسية هناك ظلت ماضية قدماً في محاولات تنصير البربر، واصدار مشاريع لمصادرة المزيد من الأراضي المغربية، ومياه المغرب لصالح المستوطنين الفرنسيين، مما أدى إلى وقوع

تصادم بين الحزب الوطني وسلطات الحماية، وقيام المظاهرات في مكناس ومراكش وسقوط العديد من الضحايا.

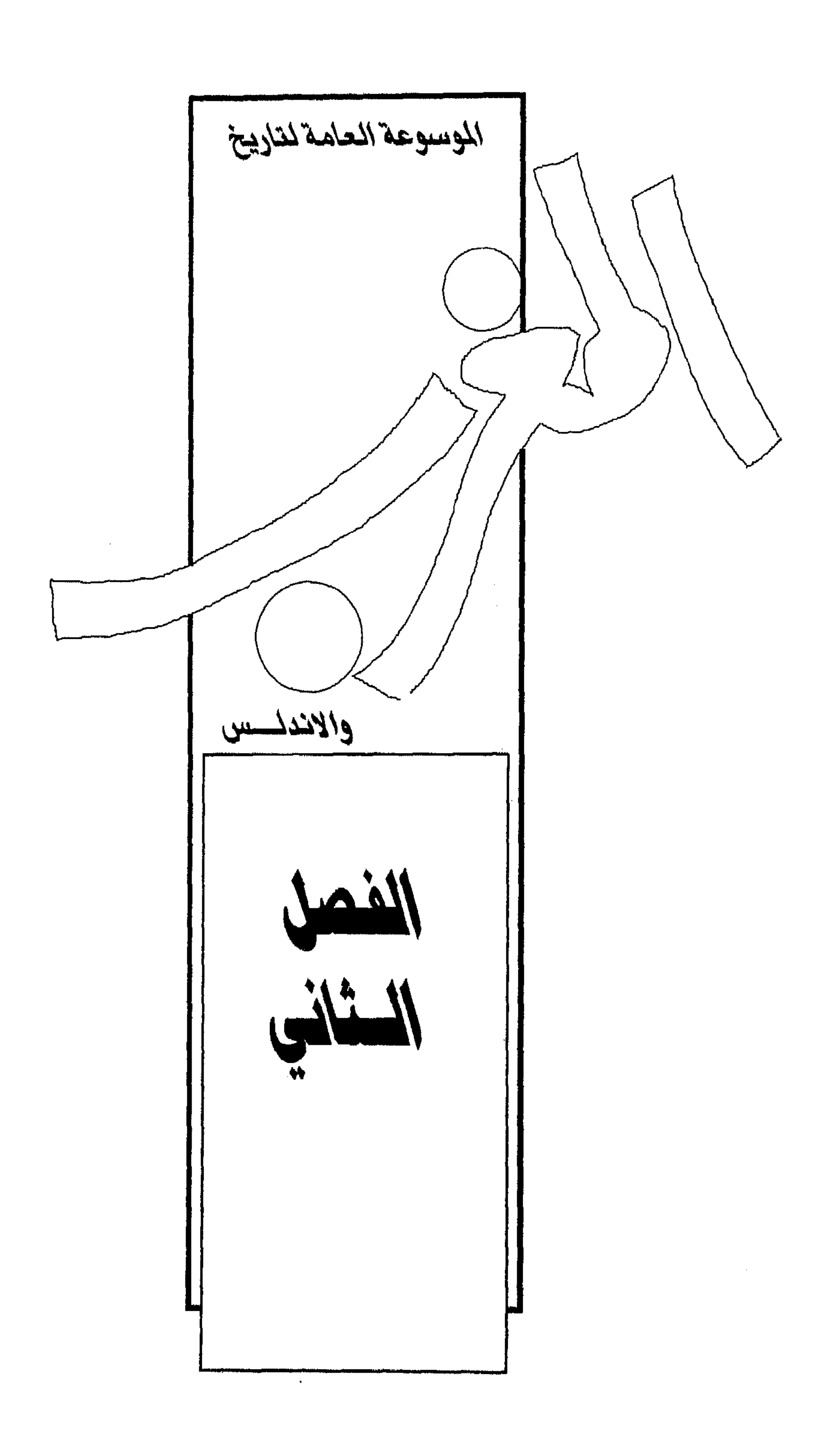
ولما تداعى أركان الحزب الوطني لعقد مؤتمر عام لدراسة الأوضاع المتردية، أصدرت سلطات الحماية قراراً بحل الحزب الوطني واغلاق مكاتبه، كما اعتقلت رئيسه المناضل علال الفاسي، ونفته إلى الغابون، كما نفت بعض رفاقه إلى الصحراء. ولما قاد الأستاذ محمد الحسن الوزاني أول مظاهرة في فاس احتجاجاً على تعسف السلطات الفرنسية، اعتقل بدوره ونفي إلى الصحراء.



فاس

عندئذٍ، ثارت مدينة فاس ـ المقر العام للحزب الوطني ـ وعمتها التظاهرات، فسارعت قوات الحماية إلى احتلال فاس ومسجد القرويين في وجه مقاومة عنيفة من الشعب، فلجأ المقيم العام نوغيس إلى سياسة القمع مستخدماً الجيش لقمع ما سماه «الفتن العامة»، وتداركاً لما لا تحمد عقباه

وخوفاً من انتشار الثورة في جميع أنحاء المغرب عاد الجنرال نوغيس إلى سياسة الملاينة، فأنشأ ما أطلق عليه إسم «الحركة الوطنية المعتدلة» مطعمة بعناصر من الشبان المتخرجين من المعاهد الفرنسية وبعض أنصار «الحزب الوطني».



الفصل الثاني

الحرب العالمية الثانية

ما لبثت أوروبا التي كان يقودها الاستعماريون من جهة وأعداؤهم النازيون من جهة أخرى أن سقطت مرة أخرى في ميدان الحرب العالمية الثانية التي اندلعت عام ١٩٣٩ .

وفجأة وجد المغرب نفسه واقعاً بين نارين: نار الحماية الفرنسية الاسبانية التي تشل إرادته ونار اندلاع الحرب العالمية، وهنا قرر الملك محمد الخامس أن يضع خطة سياسة وطنية بعيدة المرمى، كما فعل غاندي ونهرو في الهند، فوضع إمكانات المغرب في خدمة الحلفاء على أمل ـ أن يحفظ الحلفاء لبلاده هذا «الصَّنيع» إذا ما قيض لهم أن ينتصروا. . . فأبلغ الحكومة الفرنسية بوقوف المغرب إلى جانب الحلفاء وطلب إليها أن تكف يد المقيم العام عن البطش بالشعب المغربي حفاظاً على مصلحة فرنسا وحلفائها زمن الحرب، وسار الحزب الوطني على سياسة الملك.

ووصف المناضل علال الفاسي ـ فيما بعد ـ سياسة الملك محمد الخامس بقوله: «لقد أظهر جلالته رغبة أكيدة في أن يظهر المغرب بمظهر

الحليف الوفيّ، ولم يرد أن يكون الجيش المغربي مجرد جيش مقاتل في صف فرنسا، بل أحب اعتبار المغرب كدولة مقاتلة من أجل مقاومة العنصرية واضطهاد الشعوب، لكي يتسنى له بعد الحرب أن يقدم مطالب المغرب الرامية إلى الاستقلال التام، لقاء الخدمات التي قدمها خلال الحرب. .

ولكن أوروبا المتغطرسة ما لبثت أن اجتاحتها الجيوش الالمانية فاحتلتها كما احتلت باريس العاصمة الفرنسية، فانتقلت حكومة المارشال بيتان المنهزم إلى بوردو في الجنوب ثم إلى فيشي.

وتمضي الأقدار في سخريتها قدماً من حكومات الاستعمار الأوروبي، التي انتقلت تحت حكم هزائم جيوشها الاستعمارية أمام الانتصارات الالمانية، بعضها إلى لندن والبعض الآخر وهو حكومة بيتان إلى فيشي تحت السيطرة الالمانية.

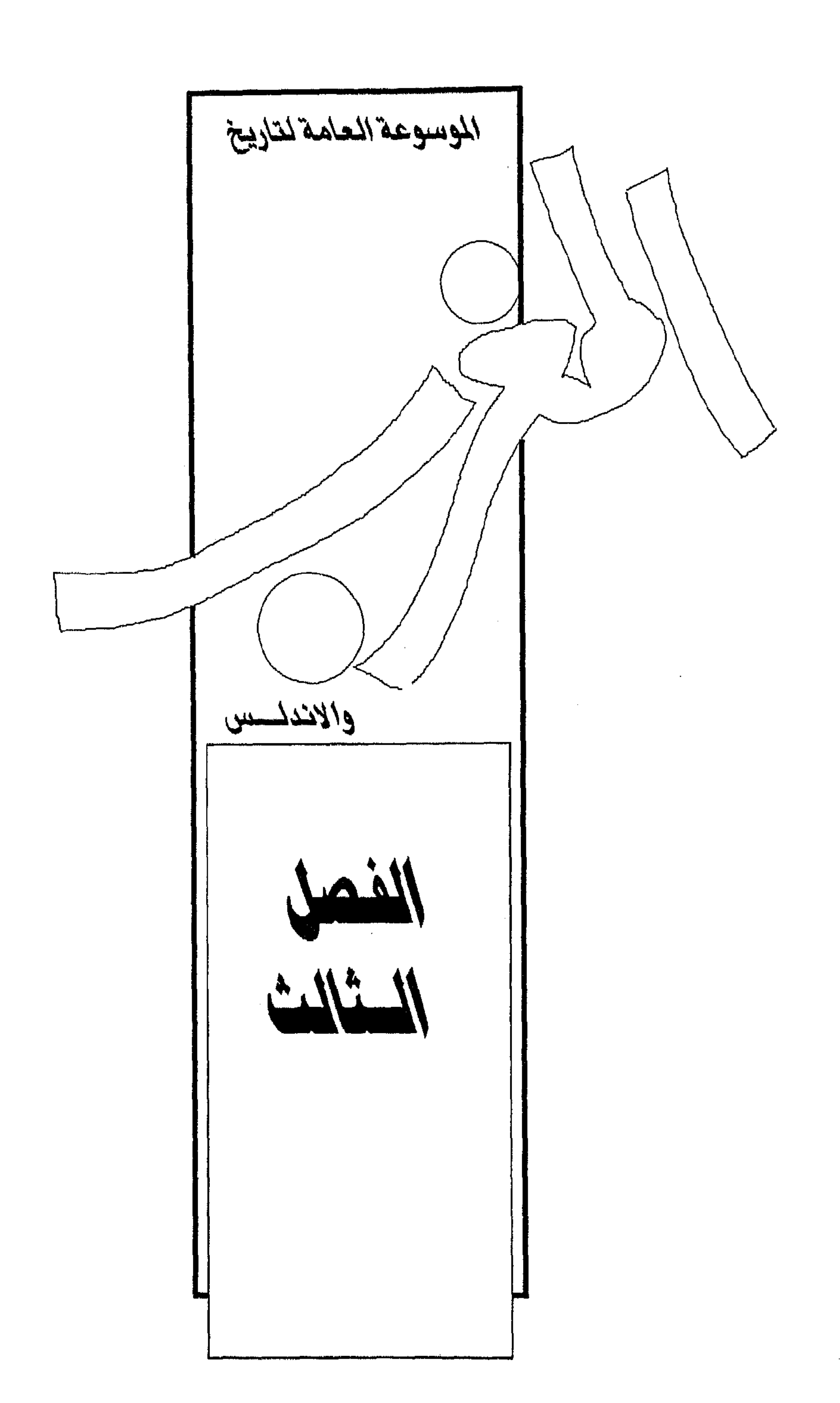
وتتسع ضحكة الأقدار وسخريتها من سلطات الحماية الفرنسية في المغرب عندما تلقى الجنرال نوغيس المقيم العام في المغرب أوامر من حكومة فيشي وكانت قد تلقتها بدورها من حكومة هتلر ـ أن توضع موضع التنفيذ «قوانين نورمبرغ ضد اليهود» وهنا تجلّت شهامة الملك محمد الخامس عندما رفض تنفيذ تلك الأوامر.

نزول الحلفاء في المغرب

وبالرغم من هزيمة فرنسا وسقوط عاصمتها في أيدي الالمان فإن سلطات الاحتلال كانت لا تزال تمارس سياسة الضغط والقمع ضد المغاربة في بلادهم رغماً عن أن أبناءهم كانوا يحاربون في صفوف الحلفاء ـ لذلك ما كادت القوات الأمريكية والبريطانية تنزل في موانىء المغرب، حتى تنفس المغاربة الصعداء لأن فرنسا أصبحت محمية وخاضعة للسلطات الأمريكية.

وتحرر «المخزن» أي حكومة الملك محمد الخامس من عجرفة سلطات الحماية بعد أن أصبحت الأوامر والنواهي بأيدي السلطات الأمريكية المسيطرة بدورها على دول الحلفاء المنهزمين.. وصارت حكومة جلالته تتصل رأساً بممثلي القيادة الأمريكية دون وساطة «ما كان يسمى» بالمقيم الفرنسي العام.

ومع أن السلطات الديغولية التي كانت تزعم بأنها تمثل حكومة فرنسا الحرة «خارج فرنسا» قد راحت تحسب ألف حساب لذلك «الغزل» القائم بين حكومة الملك محمد الخامس والقيادة الأمريكية، ولكنها أي السلطات الديغولية كانت مضطرة إلى مسايرة الأمور خصوصاً وأن العلاقات بين الجنرال ديغول من جهة ورئيس الحكومة البريطانية ونستون تشرشل من جهة أخرى لم تكن على ما يرام.



الفصل الثالث

اللقاء التاريخي بين الملك محمد الخامس والرئيس الأميركي روزفلت

في هذه الفترة التاريخية سطع نجم الملك محمد الخامس عندما تمَّ اللقاء التاريخي بينه وبين الرئيس روزفلت على انفراد قبل الدخول إلى مأدبة العشاء التي أقامها الرئيس الأميركي في ٢٢ يناير ١٩٤٣ ودعا إليها الملك ولم يشارك في هذا اللقاء سوى التراجمة المغاربة والأمريكيين، وبما أن الحديث الطويل الذي جرى بين الاثنين لم يذع، فإن السيد محمد المعمري ترجمان السلطان في اللغة الانكليزية قال فيما بعد: «أن سيدي محمد بن يوسف طرح قضية استقلال المغرب على الرئيس روزفلت، وتمنّى ألاّ ينسى الحلفاء مكافأة المغرب على ما بذله من جهود حربية بإعادة سيادته إليه».

وأضاف قائلاً: «أن الرئيس روزفلت أجابه بأن طموح المغرب لاستعادة حريته طموح معقول وأن مكافأة الحلفاء له واجبه.

شخصيات مغربية ودولية بارزة حضرت الاجتماع

ثم دعي الضيوف إلى مأدبة العشاء، وقد حضرها مع السلطان ولي عهده مولاي الحسن، الذي وصفه هري هوبكنز بقوله «إنه ولد ذكي في نحو الثالثة عشرة من عمره». ومحمد المقري الصدر الأعظم، ومحمد المعمري مساعد مدير التشريفات، وحضر مع الرئيس روزفلت السيد هوبكينز المسؤول عن قانون الاعارة والتأجير، والجنرال باتون الكبير قائد القوات الأمريكية المرابطة في المغرب، والسيد مورفي ممثل الولايات المتحدة في أفريقيا الفرنسية، واللفتنانت كولونيل ايليوت روزفلت نجل الرئيس الأمريكي، والكابتن مارك كري المرافق العسكري للرئيس الأمريكي، ومثّل بريطانيا رئيس وزرائها ونستون تشرتشل، ومثلت فرنسا بالجنرال الطاغية نوغيس المقيم العام الذي بدا عليه الانزعاج أثناء ذلك اللقاء.



ونستون تشرشل

Theodore Roosevelt
par John Sargent



ثيودور روزفلت

ايليوت روزفلت يتكلم عن المحادثات

وكشف ايليوت عما دار في هذه المأدبة من محادثات رسمية مهمة بين الملك وأبيه روزفلت، عندما نشر كتابه: «قال لي أبي»[1] وقد جاء فيه ما يلي: لم تُدَر الخمرة قبل تناول العشاء ولا أثناءه. ولم يقدم لنا لحم الخنزير، لأن ضيفنا الليلة هو السلطان محمد الخامس ـ سليل النبي محمد«ص» الذي جاء بالدين الاسلامي الحنيف، وحضر السلطان يرافقه نجله الصغير ولي العهد، يتبعهما الصدر الأعظم ومدير التشريفات، وكانوا جميعاً يرتدون جلابيب بيضاء فضفاضة، وقد حمل السلطان معه تاجاً قيماً ودملجين من ذهب هدية لوالدتي، فتأمل والدي الهدية ونظر إليّ من طرف خفيّ وهو يقلب بصره في زهو. وكان كل منا يفكر نفس تفكير الآخر، ويتصور والدتي تترأس بعض الحفلات في «البيت الأبيض» «متحلية بتلك التحف».

وابتدأ العشاء وكان السلطان جالساً عن يمين والدي وتشرتشل عن يساره، فقال تشرتشل والانشراح باد على محياه: أن الجنرال ديغول وصل في الزوال وتغدى مع الجنرال جيرو «كان الجنرال جيرو أسيراً لدى الالمان ثم تمكن من الفرار بأعجوبة فائقة».

واستطرد اليوت روزفلت يقول: «ثم ذهبا معا ـ ديغول وجيرو ـ إلى الميرادور «محل يشرف على البحر» ولكن ما أن تقدمت المحادثة بعد ذلك حتى ظهر على تشرتشل شيء من الانزعاج دليلاً على وجود شيء غير عادي».

وتابع نجل روزفلت فيما كتبه قائلاً: «كان الحديث يدور بحرارة بين والدي والسلطان ويتعلق بثروة المغرب الطبيعية وإمكانياتها الواسعة، وكان

السلطان يفيض بشرحها لوالدي بينما كان الانشراح ظاهراً على كل منهما في هذه المحادثة لأنهما كانا يتكلمان الفرنسية بسهولة، ولم يكن تشرتشل يتكلمها، وكذلك أمكن للمتحادثين أن يتعمقا في دراسة مسائل مختلفة. كرفع مستوى معيشة المغاربة، وهو ما يستلزم إبقاء قسط كبير مما تدره خيرات المغرب داخل حدوده.

وأعرب السلطان لأبي عن رغبته الأكيدة ـ وفي حدود الامكان طبعاً ـ بأن تمد له يد العون لانجاح جهوده في تزويد المغرب بمؤسسات صحية عصرية مقترنة بتوسيع نطاق التعليم، فأبدى له والدي رأياً مفاده: «أن السياسة الرشيدة لتحقيق مثل هذه المشاريع تحتم على السلطان ترك سياسة التساهل والتنازل إزاء المصالح الأجنبية حتى لا يحرم البلد من خيراته ـ وهنا حاول تشرتشل تغيير مجرى الحديث ـ ولكن السلطان تابع كلامه واستفهم من أبي عما يمكن استخلاصه من نصيحته بالنسبة لحكومة فرنسا المستقلة، فأجاب أبي وهو يقلب شوكة الطعام بين أصابعه: أن الأحوال ستتغير تغييراً جذرياً بعد الحرب، ولا سيما في الميدان الاستعماري».

وهنا سعل تشرتشل محاولاً تغيير مجرى الحديث ـ ولكن السلطان استأنف الكلام وسأل أبي عما يعنيه بـ«التغييرات الجذرية» فأجاب أبي: «بأن الماليين الفرنسيين والانكليز قد ألّفوا قبل الحرب شركات تتجدد تلقائياً غايتها استثمار ثروات المستعمرات، ثم أشار إلى إمكان العثور على ثروات بترولية، فتناول السلطان هذه المسألة بقوة وقال: «أنه يرى استثمار كل الخيرات الطبيعية شريطة أن تبقى مردوداتها في البلد المستثمر ثم هز رأسه مظهراً تأسُّفه لقلة العلماء والخبراء والمهندسين بين المغاربة، وذكر أن المغرب لن يتوافر له فنيون قادرون بدون مساعدة خارجية لإنجاز مثل هذه الأعمال.

وهنا بدأ تشرتشل يتحرك فوق كرسيه بقلق وحيرة فهمس أبي للسلطان قائلاً: من الممكن مثلا اعداد مهندسين وعلماء تخطيط يهدف إلى تبادل جماعي مع الولايات المتحدة، فهز السلطان رأسه مستحسناً ما سمع وموافقاً عليه، ولولا قواعد البروتوكول التي يقتضي احترامها في مثل هذه الاجتماعات، لكان السلطان قد أخذ عناوين الجامعات الأمريكية التي ينوي ارسال الشبان المغاربة للتعلم فيها.

وتابع أبي تبسيط فكرته وهو يحرك كأس الماء ليشرب منها ذاكراً للسلطان أنه يمكنه أن يطلب وبكل سهولة مساعدة المؤسسات التجارية الأمريكية لتعينه على وضع برنامج لاستثمار ثروات المغرب مقابل حصولها على نسبة مئوية من الأرباح أو على أجر مقطوع، وأضاف أبي قائلاً: «أن هذا الشكل من التعاون سيكون من نتائجه أن يتيح لحكومة المغرب ـ ذات السيادة ـ مراقبة الثروات الوطنية المغربية مراقبة واسعة، والانتفاع بقسط كبير من عوائد هذه الامكانات المضمونة، وأن تمسك بيديها قريباً أو بعيداً مقاليد اقتصاد المغرب.

وهنا غمغم تشرتشل وتظاهر بأنه لا يتنصت إلى الحديث في هذا العشاء الممتع جدا ـ والذي قضى الضيوف أثناءه ـ باستثناء واحد منهم ـ ساعة ممتعة كل الامتاع، وعند الخروج من قاعة الطعام أكد السلطان لأبي ـ والبريق يشع من عينيه ـ أنه سيطلب بمجرد أن تضع الحرب أوزارها، عون الولايات المتحدة ليتمكن المغرب من الانطلاق انطلاقاً كاملاً.

وقال السلطان وهو يغادر قاعة الطعام، ويتبعه رئيس الوزراء البريطاني وهو يدخن سيجاره بقلق ظاهر عليه: «هو ذا مستقبل جديد لبلادي يلوح أمام

عيني»[1].

اللقاء التاريخي في حديث للملك الحسن الثاني

وروى الملك الحسن الثاني ـ فيما بعد ـ للأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية انطباعاته عن هذا اللقاء فقال: لا شك في أن المحادثات السرية التي أجراها والدي مع الرئيس روزفلت كانت على جانب كبير من الأهمية، إذ كان باستطاعة كل منهما أن يتكلم مع مخاطبه بمنتهى الثقة والوضوح، ولو لم يعاجل الموت الرئيس روزفلت ويختطفه قبل الأوان، لكان قد لعب دوراً من أكبر الأدوار في تقدم المغرب والقارة الأفريقية جمعاء وعمل على تحريرهما.

وبلغني أن الجنرال نوغيس لما علم من «عيونه» بذهاب السلطان لمقابلة روزفلت اتصل بالأمريكيين محاولاً اقناعهم بضرورة حضوره مع السلطان في هذه المحادثة بحجة أن فرنسا هي المسؤولة عن سياسة المغرب الخارجية، وأن المقيم العام هو الواسطة بين السلطان والأجانب، فأجابه الأمريكيون بأن الولايات المتحدة هي المسيطرة الآن على المغرب والمسؤولة عن سياسة فرنسا ولما أقيمت مأدبة العشاء استدعيت لحضورها مع والدي كما استدعي الباقون.

ومضى الملك الحسن الثاني قائلاً: ولما كنا راجعين في الليل إلى الرباط قال لي والدي: «أعدك أن تكون خلفاً لي في المستقبل. وقد أحضرتك معي على صغر سنك هذا الاجتماع الذي لم يضم الا رجالاً مسؤولين من كبار السن، لأني أريد أن أدرِّبك على تحمل المسؤولية، وأن أعرفك بالشخصيات العظيمة، وها أنت راجع الليلة إلى مكانك في المعهد

---

(١) اليوت روزفلت ـ المصدر السابق.

السلطـانـي، وسيسـألـك أسـاتـذتـك ورفقـاؤك أيـن قضيـت عشيـة الجمعـة ومساءها، فحذار أن تخبرهـم أو تلمح لهم بما رأيت أو سمعت، حتى تصدر بها البلاغات الرسمية وسأجرِّبك . .



جلالة الملك الحسن الثاني

المطالبة باستقلال يؤدي إلى الاصلاحات

كان الأستاذ محمد الغزاوي واسطة الاتصالات السرية الأسبوعية بين

الملك محمد الخامس والحزب الوطني المنحل، ولكن في شهر يوليو عام ١٩٤٣، أخذ أركان الحزب يفكرون بالاصلاحات الجذرية والعاجلة التي تؤهل المغرب لنيل استقلاله وحريته ولما أطلعت السلطان، وهنا يقول الغزاوي: على ما دار في الاجتماعات السرية طلب إليّ جلالته أن أبلغ الحزب بأنه يعتقد بناءً على تجاربه واتصالاته بأن الفرنسيين غير مستعدين للتنازل عن قلامة ظفر من امتيازات الحماية لذلك يرى السلطان بدلاً من المطالبة باصلاح يؤدي إلى الاستقلال. (أن يطالب الحزب باستقلال يؤدي إلى الاصلاح) وتبنى الوطنيون فوراً نصيحة الملك محمد الخامس فحرروا ـ في شهر ديسمبر ـ عريضة تطالب بالاستقلال الناجز وقد عرضت هذه العريضة مراراً على السلطان لتنقيحها، قبل أن توضع بصيغتها النهائية بمنزل السيد محمد الزغاري في فاس.

وكان من الطبيعي أن يؤلف «حزب الاستقلال» ليحل محل الحزب الوطني المنحل، وهو الذي رفع عريضة المطالبة بالاستقلال في يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٤ إلى السلطان وسلطات الحلفاء، والمقيم العام الجديد غبرييل بيو، المفوض السامي لسوريا ولبنان سابقاً.

وقد جاء في عريضة الاستقلال بعد المقدمة: أن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة يقرر ما يأتي:

١ ـ السياسة العامة:

أولاً: أنه يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن مولانا يوسف نصره الله وأيّده.

ثانياً: أن يلتمس من جلالته السعي لدى الدول التي يهمها الأمر للاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه.

ثالثاً: ويطالب بانضمام المغرب للدول الموافقة على ميثاق الأطلسي والمشاركة في مؤتمر الصلح.

٢ ـ السياسة الداخلية:

رابعاً: أن يلتمس من جلالته أن يشمل برعايته حركة الاصلاح التي يتوقف عليها تقدم المغرب.

الاستقلال شعار الملك ومطلب الشعب

وما أن تسلم الملك محمد الخامس العريضة المطالبة بالاستقلال حتى دعا مجلس الوزراء للانعقاد برئاسته ودعا إلى حضوره كذلك أركان العائلة المالكة، وكبار رجال الدين، والقضاة الشرعيين، والمدنيين، ورؤساء المقاطعات، ليحول المجلس الوزاري إلى ما يشبه المؤتمر الوطني.

وبعد أن افتتح جلالته المؤتمر أطلع الحاضرين على عريضة الاستقلال، فأجمع الجميع على أن طلب الاستقلال حق، وتباروا في استنكارهم لسياسة الحماية. وقالوا أن مطالبة الحماية بالاصلاح مرحلة فات أوانها، وأن الاستقلال هو الشعار الذي يرفعه السلطان ويؤيده الشعب.

وقبل نهاية الجلسة تم تكوين لجنة ثلاثية ممثلة للسلطان تتألف من وزيرين ورئيس التشريفات للاتصال باللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال والاتفاق معها على الوسائل التي ستؤدي إلى الاستقلال.

فجاء جواب سلطات الحماية بأن فرنسا لا تقبل أي تبديل لأسس معاهدة الحماية، ولكنها مستعدة لتنفيذ اصلاحات سياسية واجتماعية يرضى عنها المغاربة.

رفضت اللجنة الثلاثية الممثلة للسلطان العروض الفرنسية واشترك

معها في هذا الرفض ممثلو حزب الاستقلال.

ومن المعروف أن المقيم العام الجديد غبرييل بيو كان المفوض السامي لسوريا ولبنان من قبل وهو الذي كان مسؤولاً عن حل البرلمان السوري وتعليق الدستور، وحل البرلمان اللبناني، وصرف الحكومة اللبنانية. وفي الدور الجديد الذي سيضطلع به في المغرب اعتبر نفسه حاكماً رومانياً، وبدلاً من أن يرى في المغرب بلداً ضمنت سيادته واستقلاله إثنتا عشرة دولة كبرى كان يرى فيه خزاناً بشرياً يمد فرنسا بالجنود الشجعان لتصنع انتصاراتها، واحتياطياً اقتصادياً يمدها بالثروات والخيرات الكثيرة. لذلك فقد اخترع فكرة شيطانية تقول: «من الواجب على السلطان أن يتأكد بأن الاستقلال فكرة تتعارض مع الارتباطات القائمة».

وبعثت الحكومة الفرنسية في الجزائر مفوض الشؤون الخارجية رينيه مسيلي إلى المغرب فقابل السلطان في ٢٨ يناير «كانون الثاني» وأوضح له أن المغرب إذا ما قدّم الخدمات للحرب فإنه لم يزد عن كونه قد رد إلى فرنسا ما كانت قد أعطته إياه من قبل..



الجنرال ديغول

وكان رد الفعل عند الجنرال ديغول أن «إطّرح جانباً أي اقتراح يقضي بالاستقلال، وأعلن أن المغرب مرتبط مع فرنسا بعروة وثقى لا انفصام لها، وأن الاصلاحات السياسية لا يمكن أن يبحث فيها، لأن وضع المغرب قد حدد بصورة نهائية في معاهدة الحماية».

فرنسا تصادر الحريات في المغرب

واكتشفت سلطات الحماية ـ حسبما زعمت ـ أن فئة من الزعماء الوطنيين المغاربة «كانوا» قد اقترفوا ما أسمته بجرم الاتصال «بالأعداء الالمان» فألقي القبض عليهم ومن بينهم الزعيمان أحمد بلفريج ومحمد اليزيدي، أمام علال الفاسي فكان ما يزال منفياً في الغابون ـgabon.

وقد أدى القبض على رجال يعتبرهم الكثيرون أبطالاً وطنيين إلى رد فعل عنيف إذ تجمهر آلاف المغاربة بين المدينة والحي الأوروبي في الرباط للتعبير عن سخطهم واستيائهم، فقامت مظاهرة كبرى في فاس حيث قتل على الأقل ثلاثون مغربياً على أيدي «الجنود السنغاليين» وزج ببضعة آلاف في المعتقلات.

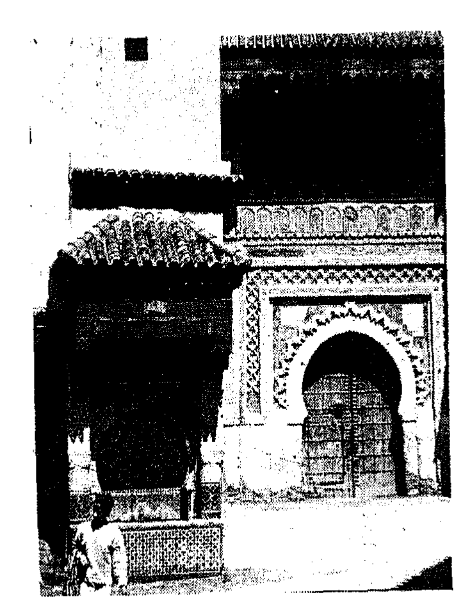
وقد وصف شاهد عيان هو وولتر. ب. كلاين أستاذ الأنتروبولوجيا في جامعة مينسوتا الأمريكية الحادثة بقوله: «تعمد الفرنسيون إثارة الناس للتجمع والمظاهرة لكي يرغموا الوطنيين على ابداء ما يضمرونه قبل أن يتقوى هؤلاء بشكل خطر.. وقد أتاحت المظاهرة للفرنسيين أبعاد الزعماء الوطنيين عن مسرح الأحداث في المغرب في تلك الفترة العصيبة من تاريخه. ومهما يكن الأمر، فإن الفرنسيين دفعوا ثمن هذا التدبير الأرعن الذي قاموا به لأن إلقاء القبض على الزعماء الوطنيين المعروفين وتوقيفهم

مدة طويلة، والتحقيق الشديد معهم بطريقة لا إنسانية، كل هذا خلق أبطالاً شعبيين، وأثار عطف المغاربة على الحركة الوطنية ـ حتى أن البربر تأثروا بذلك فانضم طلبة كلية البربر في «أرزو» إلى المظاهرة».

وقال جوليان: «أن سياسة الحماية المسيطرة التي اتبعها المقيم العام بيو أدت إلى توسيع مدى الوطنية المغربية ومنحتها وحدة وأملاً».

فاس تثور في وجه المستعمرين

وتضامنت مدينة فاس مع الرباط، فخرجت الجموع منهما تتظاهر وتطالب بوقف القمع والوحشية، وإطلاق سراح المعتقلين الأحرار، فمرت المظاهرة في اليومين الأولين بسلام وفي ٣١ يناير ١٩٤٤ لجأت القوات الفرنسية إلى أعمال القمع الشديدة فوقعت معركة ضارية استشهد فيها ستون مغربياً مناضلاً وجرح حوالي المئة أثناء هجوم السكان على معسكر الفرقة السنغالية المتوحشة. وتم اعتقال زهاء ألفين من الفاسيين.



ساحة النجارين ـ فاس

وفي أول شهر فبراير ـ شباط ١٩٤٤ ـ تظاهر سكان مدينة فاس ثم تحولت المظاهرة إلى معركة عنيفة بين الوطنيين والسنغاليين الذين كانوا يحاولون اقتحام «باب أبي الجلود» للدخول إلى المدينة الاسلامية، وهكذا دامت المعارك بين الفاسيين والسنغاليين مدة طويلة وبصورة مستمرة ولم تتوقف الا بعد أن أنذرت السلطات الفرنسية سكان فاس باحتلال مساجدهم، وهذا معناه تدنيس المساجد بأقدام «العبيد» السنغال الذين برهنوا على أنهم حقاً كانوا عبيداً للفرنسيين، وصَنَائعهم المتوحشين.

ثورة المدن المغربية على سلطات الحماية

وسرعان ما تحولت الساحات والشوارع في مدن المغرب إلى ميادين قتال بين الوطنيين والفرنسيين سواء كانوا بيضاً أو سوداً ومن هذه المدن، «سلا» التي قدمت ١١ شهيداً وعدداً كبيراً من الجرحى و٣٠٠ سجين، ومدينة الدار البيضاء فاحتلت السلطات شوارعها مما أدى إلى وقوع قتلى وجرحى عديدين وإلى طرد الطلاب المغاربة من المدرسة الثانوية الفرنسية.

وفصل قاضيان كبيران من قضاة المحكمة العليا من منصبيهما بحجة تأييد مطلب الاستقلال.

كما أضرب المعهد السلطاني الذي يتلقى العلم فيه مولاي الحسن وليّ العهد، وكان طلبة المعهد قد تسلقوا أسوار المعهد ليرددوا مع الشعب شعاراته الوطنية، وكان لهذه المظاهرة تأثيرها الكبير على المقيم بيو فأمر أحد مساعديه باجراء تحقيق لتحديد مدى التجاوب بين الأمير الحسن والوطنيين ـ كان عمر الأمير الحسن يومها ١٥ عاماً.

وشارك وزراء «المخزن» جماهير الشعب المغربي في كفاحهم من أجل

استعادة الاستقلال الأمر الذي أدى إلى ارغام وزير العدل محمد بن العربي العلوي على الاستقالة مع زميله أحمد بركاش وزير المعارف بالاضافة إلى باشا الرباط وخليفته.

وفي شباط سنة ١٩٤٥ عندما زار جلالة الملك محمد الخامس مدينة مراكش التي يحكمها عميل الفرنسيين تهامي الجلاوي باشا أشد خصوم الملك عداوة وخطراً، خرجت الجماهير المراكشية لتحية الملك وهي تهتف: «يعيش الملك» وفي الليلة السابقة غطت تلك الجماهير الجدران بالشعارات الوطنية التي تقول: «لا نريد الحماية»، «نريد أن نكون بلداً مستقلاً»، «والمغرب يطالب بالاستقلال بإرادة الله».

وفي ٨ آذار «مارس» سنة ١٩٤٥ أرسل أحد أعضاء اللجنة المركزية لحزب الاستقلال رسالة باسم الحزب إلى رئيس هيئة الأمم المتحدة المنشأة حديثاً في سان فرانسيسكو، يطالب فيها بادخال المغرب في المنظمة الجديدة، وقد أرسلت رسائل مماثلة إلى جميع حكومات الحلفاء: الولايات المتحدة، وبريطانيا، وروسيا والصين.

وقد وافق مولد جمعية الأمم المتحدة ولادة الجامعة العربية ففي شهر تشرين الأول «أكتوبر ١٩٤٥» طلب الأمين العام للجامعة العربية عزام «باشا» بحق الانضمام إلى الجامعة العربية لكل من المغرب وتونس كما حث على منحهما حرية التعبير عن وجهة نظرهما بالنسبة إلى وضعهما في المستقبل.

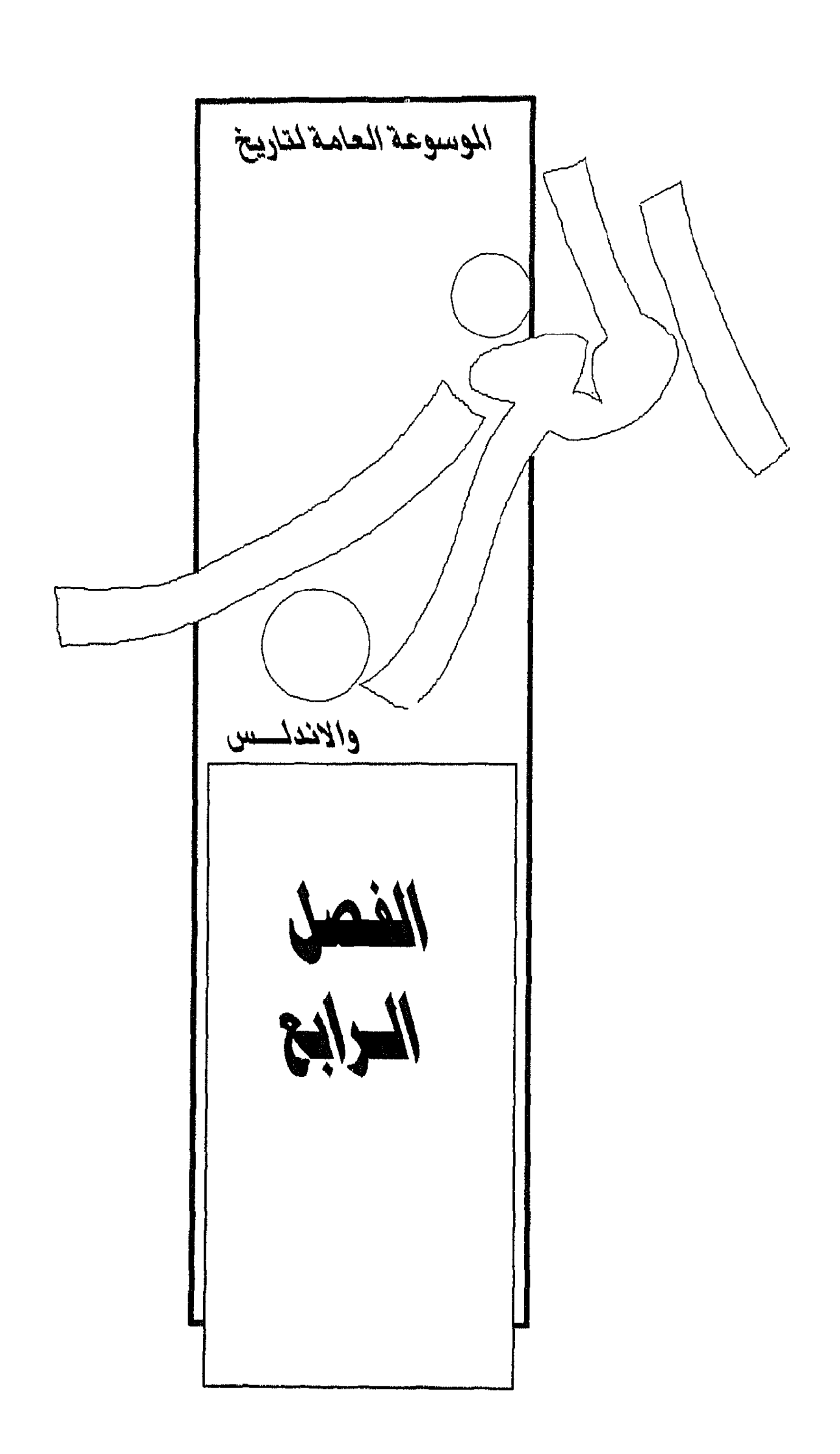
وفي الوقت نفسه تابع حزب الاستقلال سعيه بعزم لتقوية تنظيمه فازداد عدد أعضاء اللجنة المركزية من إثني عشر إلى خمسة وعشرين عضواً، ونجح في إقامة مراكز له في المناطق الجبلية البربرية التي كانت سلطات الحماية قد فصلتها عن المغرب، كما أنشأ مراكز له في الأقطار العربية.

وفي غضون هذا الصراع الدامي المستمر بين الوطنيين وسلطات الحماية الاستعمارية، كانت العلاقات بين الملك والمقيم العام تزداد سوءاً وقد ألقى الملك اللوم على المقيم بيو لاعتقاله الوطنيين، وللاجراءات التعسفية كالقتل والتدمير التي ارتكبتها قوات الحماية في ساحات المدن المغربية وشوارعها.

المفكرون الفرنسيون يتمنون على دولتهم تحسين علاقاتها مع المغرب

وعلى الأثر تقدمت لجنة من الكتاب والعلماء الفرنسيين باقتراحات لتحسين العلاقات المغربية الفرنسية، وكان من بين الأربعة عشر توقيعاً، توقيعات كبار المستشرقين: ليفي بروفنسال وبرنشوغ، وبلاشير وماسينيون وسوفاجيه وروسي وجوليان والمونسنيور بوبان، والحاخام ليبر، وكان الموقعون على العريضة يعتقدون أن النظام القائم في المغرب لم يعد يصلح لتحقيق الآمال العزيزة للشعب لذلك طالبوا بإعطاء المغرب الحريات المشروعة: حرية الصحافة، وحرية الاجتماع، وحرية انشاء اتحادات عمالية أهلية.

ومع أن احتجاج أولئك العلماء والأساتذة لم يؤدِ إلى نتيجة مع دهاقنه الاستعمار الفرنسي، الا أنه جاء مثبتاً للرأي القائل بوجوب استبدال غبرييل بيو بمقيم عام جديد..


الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الرابع

خطوة إلى الوراء للفوز بخطوتين إلى الأمام

رأى الملك محمد الخامس أن نيران الثورة المغربية قد انتشرت بسرعة خارقة حتى أنها عمت جميع أنحاء المغرب لذلك صار لا بد من خطوة إلى الوراء للفوز بخطوتين إلى الأمام.

فاتصل سراً بمن تبقى من زعماء حزب الاستقلال ليبلغهم خطته المرحلية الجديدة، خطة الرجوع (خطوة إلى الوراء للفوز بخطوتين إلى الأمام) والمهم ـ كما أبلغهم جلالته ـ أننا سجلنا خطوة طلب الاستقلال ملكاً وحكومة وشعبا، وأن لفظة الاستقلال التي كانت ممنوعة، أصبحت تملأ الأفواه حالياً، لذلك لا بد من التراجع خطوة إلى الوراء، لئلا يسحق الفرنسيون الحركة الوطنية بالمزيد من القمع، لذلك يجب أن نحتفظ بهذه الحركة ونقوّيها خلال مرحلة المهادنة المقبلة لتكون عدة الكفاح في المستقبل. فوافق رجال الحركة الوطنية على خطة الملك ـ خصوصاً بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها.

وما إن وجه الجنرال ديغول إلى جلالته دعوة لحضور الاحتفال

الرسمي الذي سيقام في باريس، بعد أن تولى الحكم لمناسبة مرور خمسة أعوام على ندائه التاريخي الذي كان وجهه من إذاعة لندن إلى الشعب الفرنسي، ودعاه فيه إلى الاستمرار في المقاومة رغم احتلال الجيوش الالمانية لفرنسا.

أما الشعب المغربي الذي كان يجهل خطة السلطان فقد أصيب بالذهول عندما سمع بلاغاً رسمياً من الاذاعة المغربية يعلن أن جلالته ذاهب إلى فرنسا، تلبية لدعوة الجنرال ديغول، خصوصاً وأن زعماء الحركة الوطنية كانوا ما يزالون في المنفى والمعتقلات، وما تزال أيدي الفرنسيين ملطخة بدماء أربعين ألف شهيد جزائري قتلتهم قبل شهرين في بلدتي سطيف وقسنطينة.

ولكن الشعب كان واثقاً من مليكه الأمين على رسالة الاستقلال.

وهكذا.. فقد استقبل الجنرال ديغول جلالته بحفاوة بالغة ورصع صدره بوسام «رفيق المقاومة» وهو أرفع وسام في الجمهورية الفرنسية ولم يمنح من قبل الا إلى شخصين عظيمين أحدهما الجنرال ديغول نفسه والثاني ونستون تشرتشل وكان الثالث الملك محمد الخامس، وذلك اعترافاً بالمجهود الحربي والاقتصادي الذي قدمه المغرب إلى قضية الحلفاء لتحرير أوروبا ـ وفرنسا بصورة خاصة ـ من نير الاحتلال الالماني.

ولما خلا ديغول بضيفه الكبير سأله عن مطالبه للمغرب فأجابه الملك: «لي مطلب واحد هو استقلال المغزب ـ».

وكان ديغول يعلم بأن المطالبة بالاستقلال، يقف من ورائها الملك الجالس معه، وهو الذي يسندها ويلهب نيرانها، لهذا كله أجابه بمنتهى الحكمة واليقظة والاحتراز، وهو يختار كلماته بدقة وعناية فقال: «أنني بعد

لم أصل إلى أوج القوة في فرنسا، ونحن مقبلون على إحداث تنظيمات جديدة، وأنا لا أملك السلطة الكافية لمنح المغرب استقلاله، لهذا لا بد من التريث والاستعانة بعامل الزمن لاعداد اتفاقات جديدة بيننا وبينكم تنظم الاستقلال المطلوب، وتوضح مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية» إلى أن قال: مؤكداً للملك أنه ريثما يتم له إعداد المؤسسات الفرنسية وإلى أن يقبض على كامل السلطات الشرعية، سيكون للمغرب استقلال تحفظ فيه مصالح فرنسا والمستوطنين الفرنسيين في المغرب بموجب اتفاقات مشتركة».

وقد وافق الملك من حيث المبدأ على ما سمعه من ديغول، فهذه هي المرة الأولى منذ بدء الحماية يطرح فيها مبدأ الاستقلال رسمياً ولا يقابل بالرفض. خصوصاً من ديغول الذي كان أقوى رجل في فرنسا بعد أن استردت جيوش الحلفاء استقلالها من الالمان. .

وطلب ديغول من الملك أن يتقدم إليه بمطالبه الأخرى، فطلب على الفور إطلاق سراح جميع المعتقلين وإعادة المنفيين منذ عام ١٩٣٧، كما طلب عزل بيو من منصبه واستبداله بمقيم جديد ذي عقلية متحررة ليمهد الأجواء - لاعطاء الاستقلال المنشود دوره في المستقبل. كما طالب باقصاء جميع الذين شاركوا بأعمال القتل والقمع ضد الشعب المغربي، مثل محمد التازي «باشا فاس» وإطلاق الحريات العامة، خصوصاً حرية تأسيس الأحزاب السياسية، وحرية الصحافة وحرية الاجتماعات العامة فوافق ديغول على كل مطالبه وعاد الملك إلى المغرب مبتهجاً مستبشراً.

وفي ١٦ آذار سنة ١٩٤٦، صرف غبرييل بيو من منصبه وعيّن مكانه «إرك لابون» مقيماً عاما في المغرب وهو الذي كان يشغل من قبل منصب السكرتير العام للاقامة العامة في الرباط، فاستهل عمله باطلاق سراح جميع

الزعماء السياسيين المعتقلين، وأعيد إلى المغرب الزعيم علال الفاسي من منفاه في الغابون، والأستاذ محمد الوزاني من منفاه في الصحراء، حيث أمضى الاثنان تسع سنوات.



قصبة الأوداية ـ الرباط

بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر

أن ثمة علامة فاصلة بين الجهاد الأكبر ـ الذي يقاد بالسلاح الحديث المتوافر لأخذ حقوق الشعب والوطن عنوة وبقوة السلاح ـ والجهاد الأصغر الذي يقوده الحاكم الوطني سواء كان سلطاناً أو ملكاً أو رئيس دولة، باتباع أساليب النضال والكفاح بالأساليب السياسية المعززة بالصمود والاستمرار، وذلك عندما يستمد العون من حاشية مخلصة ومستشارين مخلصين وشعب يقظ متحفز مستعد للاستجابة في كل لحظة من لحظات هذا الجهاد المستمر. والجهاد الأكبر كما هو معروف يحتاج إلى نفقات كثيرة، وأسلحة

كثيرة، وإلى جيش مخلص متفان وأعتدة حربية كثيرة متوافرة، والأمر على العكس عندما لا يكون السلاح متوافراً، وعندما يكون الحاكم قد ورث تركة ثقيلة يسيطر عليها عدو آجنبي مستثمر مستغل، أعمى القلب فاقد الضمير، مجرد من انسانيته وأخلاقه، في حين تتوافر جميع مؤهلات القيادة الرشيدة للحاكم الذائد عن وطنه، من نضوج عقلي ونضوج في الوعي السليم، واعتناق لمبادىء قويمة، تتفتق عن انسانية عالية، وآداب رفيعة، وأخلاق كريمة، وثورة متوقدة، وهذه كلها كان يتحلى بها الملك الشاب محمد الخامس. الذي لم تتوافر له الأسلحة الحديثة لمباشرة الكفاح المسلح، ولكن توافرت له كل مقومات الملك المكافح المناضل الزكي الفؤاد، الناضج عقلاً ووعياً وعقيدة اسلامية سامية، وعناداً أشد صلابة من الصخور والفولاذ وتصميماً لا تثنيه القوة الغاشمة ولا الارهاب الاستعماري المخيف.

من هنا تبدو الفوارق بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر ضعيفة باهتة ثم لا تلبث أن تزول وتتلاشى مع الصمود والاستمرار فيصبح الجهاد الأصغر، جهاداً أكبر بكل معانيه ومقوماته..

ففي عهد المقيم العام غبرييل بيو، قدم حزب الاستقلال مذكرته الداعية للاصلاح وهي المذكرة التي تبناها جلالة محمد الخامس. ولكن سلطات الحماية تلقتها بالنفور والرفض الديبلوماسي المشوب بالخداع والتضليل، فهب الشعب ـ بمباركة من الملك ـ للذود عن حقوقه والتهبت المدن الكبرى بالكفاح السلبي، ووجدها المستعمرون فرصة لتجريب أسلحتهم التي هزمت أمام الأسلحة الالمانية، بالشعب الأعزل.. على أمل أن يجددوا بقسوتهم وبطشهم ـ الذي جاء في غير موضعه ـ عهود البطولات الفرنسية الاستعمارية، ولكن الهجمة الاستعمارية على الشعب المغربي

حدثت في زمن تغيرت فيه العقلية الأوروبية من جهة، والعقلية الآسيوية والأفريقية على السواء من جهة ثانية، فما كان مقبولاً ومستساغاً من الأفكار والمبادرات والحروب الاستعمارية، قبل الحرب العالمية الثانية، أصبح مرفوضا وممجوجا في أوروبا والولايات المتحدة بعد هزائم دول الاستعمار الغاشم في أوطانهم، وبعد احتلال بلادهم بقوة نازية أعتى وأكبر من كل القوات والجيوش الأوروبية مجتمعة، ولولا دخول الولايات المتحدة الحرب بأموالها وعتادها وجيوشها لظلت أوروبا زمناً طويلاً مستعمرة المانية.

العالم يدين مجازر الفرنسيين

لهذا كله قوبلت الهجمة الاستعمارية الجديدة في المغرب بالرفض والاستنكار وكانت الولايات المتحدة في مقدمة الدول العديدة - في جميع أنحاء العالم، رفضاً واستنكاراً لمجازر الفرنسيين وعبيدهم السنغاليين الذين صبوا رصاصهم وحرابهم في صدور المغاربة العزل من السلاح الا من الحجارة والعصي وقوة العضلات.

المقيم الفرنسي لابون واصلاحاته

بسقوط المقيم غبرييل بيو من أركان العصبة الفرنسية الاستعمارية الحاقدة، حل محله المقيم الجديد إرك لابون، فأقبل كالموتور ممتلئاً حقداً ولؤماً على الشعب المغربي محاولاً خداعه واستدراجه لقبول مشاريع الاصلاح التي رفضها سلفه بيو، بعد أن علم بأن الملك محمد الخامس وحزب الاستقلال معه قد فضلوا المطالبة بالاستقلال لأنه المطلب الأساسي، وبعد أخذ الاستقلال تشرع دولة المغرب المستقلة بتنفيذ برامج الاصلاح.

ولكن لابون المراوغ كان يفضل تصحيح الأوضاع الاقتصادية كأمر سابق لجميع الاصلاحات الأخرى، ولكن في نطاق نظام الحماية المفروض.

ولو سلمنا جدلاً بوجهة نظر لابون لتبين لنا في النهاية أن مشاريع الاصلاح المزعومة ستعود فوائدها على المستوطنين الفرنسيين والخزينة في باريس. أما الشعب المغربي فإنه سيكون الأداة المنفذة للاصلاح المغشوش والمستهلك الأول لثمرات الاصلاح التي سيعود ريعها على الخزينة الفرنسية.

ففي ٢٢ تموز «يولو» سنة ١٩٤٤ قال لابون في اجتماع للحكومة: «المهم هو أن يتاح للشعب المغربي بطبقاته جميعاً ـ شباناً وشابات بأن يشعروا وبأن يثقوا بأنه لن تقفل مجالات الاجتهاد أمامهم، وأنهم سيعطون الفرصة للافادة من قدرتهم العقلية وغيرها من القدرات. ثم أنه وضع الخطط للوصول إلى هذه الغاية كأن تشن حرب شعواء على الأمية، وأن تستخدم أموال الموازنة إلى آخر حد ممكن، كبناء بيوت للعمال من أبناء البلاد، ومنح العمال حق إنشاء الاتحادات، واستغلال المناطق غير المزروعة، واستبدال الوسائل الزراعية بأدوات حديثة وغير ذلك».

وقد تلقى المستوطنون الفرنسيون في المغرب ـ اصلاحات لابون باستنكار شديد فعارضتها الغرفة الزراعية الفرنسية ثم الغرفة التجارية الفرنسية وامتنعت هاتان الغُرْفَتَان عن التعاون معه.

واشتد غضب الجالية الفرنسية عندما علمت بأن لابون ينوي الدخول بمفاوضات مع الزعماء الوطنيين الذين أطلق سراحهم وأنه سيدافع عن مشاريع الدولة الاقتصادية مثل شركات جرادة، والطيران والملاحة ضد

المصالح ذات المنافع الخاصة وعندئذٍ صاح المستوطنون الفرنسيون محتجين: شيوعية.. تنكُّر لفرنسا.

ومن قبيل الانصاف نقول أن لابون كان يحاول تطبيق الاصلاحات التي أملاها عليه الجنرال ديغول وهي نفس الاصلاحات التي طالب بها الملك محمد الخامس عندما اجتمع به في باريس.

ولكن المستوطنين الذين جيء بهم من فرنسا أَنصاف عُرَاة وانصاف جياع لا يملكون شيئا، قد اصبحوا ـ بعد أن استملكوا أجود الأراضي المغربية الزراعية في مساحات شاسعة ـ مستغلين للصناعة في المدن، كما أصبحوا أثرياء جداً يتمتعون برغد العيش في ظروف وأحوال ذات امتيازات كبيرة. ويستخدمون عمالاً مغاربة بأجور قليلة جدا، ويحتفظون بنظام مالي خاص بهم لا تطبق عليه ضريبة الدخل(١).

رفض اصلاحات لابون

وكما رفض المستوطنون الفرنسيون اصلاحات لابون فقد رفضها وانتقدها الوطنيون المغاربة، لأنها اصلاحات من شأنها أن تطيل مدة الاحتلال والحماية، في حين أنهم يطالبون «بالمطلب الوحيد» الذي ذكره جلالة الملك أمام ديغول، وهو «الاستقلال».

وقد وجه الزعيم أحمد بلفريج باسم حزب الاستقلال وبوصفه الأمين العام للحزب، رسالة إلى الملك يحتج فيها على «التجاوز عن وضع المغرب الدولي وذلك بمنح رأس المال الفرنسي احتكاراً لاستغلال ثروة البلاد بشكل مباشر أو غير مباشر». وكان أمراً طبيعياً، أن يشاطر الملك شعبه مخاوفه فلم تظهر عليه رغبة في الاسراع بتوقيع «الظهائر» الستة التي قدمها لابون إليه.

---

(١) Benazet. H. L' Afrique francaise en danger paris 1947. P.P. 202.

أما كبار موظفي نظام الحماية فقد هالهم نجاح الملك مع الجنرال ديغول، فراحوا يعدون الخطط الشيطانية بالاتفاق مع كبار الاقطاعيين وباشاوات المغاربة، والجالية الفرنسية، للاطاحة بملك البلاد محمد الخامس.. ووقع اختيارهم على «عدو وطنه» التهامي الجلاوي ـ باشا مراكش منذ عهد السلطان عبد الحفيظ، ليكون مخلب الاستعمار المنفذ لمؤامرة الخيانة..

ووقع الاختيار على «المراقب المدني» في الدار البيضاء وزميله في فاس وهما من غلاة المستعمرين لإبلاغ الجلاوي باشا بالمؤامرة، فسافر الاثنان إلى مراكش وهمسا بإذن الباشا الجلاوي: «أما بعد أن أقيل التازي ـ باشا مدينة فاس «بطلب من الملك» فإن دورك بالاقالة قد أصبح قريباً ـ ما دام محمد الخامس جالساً على عرشه ـ أما إذا أقبلت أن تعمل معنا ـ ولك منا الدعم اللازم ـ فإنك ستحل محله سلطاناً على المغرب».

ووافق الجلاوي على المؤامرة.. من حيث المبدأ لأنه كان يعتبر نفسه خصماً مزاحماً للملك محمد الخامس.

اطلاق الحريات العامة

في هذه الظروف التي كانت تحاك فيها الدسائس، كان الملك محمد الخامس يشرف على عمليات اطلاق سراح الوطنيين من السجون وكان عددهم كبيراً جداً، ويحقق مع المقيم لابون، مواضيع اطلاق حرية الصحافة وحرية الاجتماع والتعبير، وحرية تأسيس الأحزاب. وكان جلالته يرى في على أنها جيش الوطن في المستقبل عندما يحتاج الملك لكل مواطن مغربي لحمل السلاح..

فأصدر حزب الاستقلال جريدتين احداهما باللغة العربية وهي «العلم»

والثانية باللغة الفرنسية وسماها «رأي الشعب» وهكذا اكتسب حزب الشعب طابعاً جماهيرياً فانضم إليه الشبان المتخرجون من المعاهد العربية والفرنسية في الخارج، وجماعات التجار والصناعات المغربية، والطلاب والعمال، وأصبحت فروعه عديدة تمتد من طنجة إلى جنوبي الصحراء المغربية، ومن وجدة إلى الدار البيضاء.

محاولات فرنسا لدمج المغاربة بالمستوطنين

أما المقيم لابون فقد راح ينفذ مشروعاً خاصاً لا شك بأنه من وحي الرئيس ديغول.. يقضي بدمج الحياة الاقتصادية فيما بين المغاربة والمستوطنين فأقام مؤسسة مشتركة لاستثمار مناجم الفحم، تملك الحكومة الفرنسية ثلث اسهمها وتملك الحكومة الشريفية الثلث الثاني، في حين تطرح أسهم الثلث الثالث للاكتتاب لتساهم فيها رؤوس الأموال المغربية والأجنبية، وبما أن خزانة «الحكومة الشريفية» أي حكومة الملك محمد الخامس كانت خاوية بعد أن أفرغتها سلطات الحماية من مدخراتها حتى لا تترك بين يدي الملك أي مدخر من المال لينفقه على الحركة الوطنية المتوثبة، فقد اقترح أن تقدم الحكومة الفرنسية قرضاً للحكومة الشريفية لتسدد ثمن حصتها في المشروع ـ وهو بذلك يريد استدراج حكومة الملك إلى الاستدانة حتى تكبل البلاد بقيود القروض كما فعل الأوروبيون بالخديوي اسماعيل باشا حاكم مصر..

أما خطوة لابون التالية فكانت ترمي إلى إنشاء حكومة مختلطة مغربية ـ فرنسية، ومجالس محلية مختلطة أيضاً، بغية تكوين قومية ـ مغربية ـ فرنسية مختلطة تمهد لضم المغرب إلى الاتحاد الفرنسي في المستقبل وبذلك يصبح المغرب أرضاً فرنسية إذا ما قدر لهذه الخطة الجهنمية النجاح؟

ولكن السلطان ومعه حزب الاستقلال رفض مشاريع لابون «المبطنة» جملة وتفصيلاً. ولكنه أبقى باب الحوار مفتوحاً حتى لا ينقلب لابون على الحركة الوطنية، فيقبض على زعمائها ويزجهم في غياهب المعتقلات والسجون الفرنسية.

زيارة الملك محمد الخامس التاريخية لطنجة

وفجأة قرر الملك محمد الخامس أن يقوم بزيارة إلى طنجة المفروض عليها نظام دولي على اعتبار أنها جزء من «الدولة الشريفية» حسب تعبير سلطات الحماية، ولأنها جزء من أرض الوطن المغربي على حد تعبير الوطنيين المغاربة.

ومن المعروف أن أياً من سلاطين المغرب لم يقم بزيارتها منذ أن زارها السلطان الحسن الأول سنة ١٨٩٩، وكانت طنجة قد أعيدت إلى الحماية الدولية أو ما يسمى بالنظام الدولي، بعد أن أرغم الاسبان الذين احتلوها بعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية على الجلاء عنها بعد انتصار الحلفاء في تلك الحرب. وكانت قد أطلقت هنا وهناك صيحات تؤكد بأن نظاماً جديداً سيوضع لها بدلا من النظام الدولي المفروض.

وقد قرر جلالته زيارتها في أواخر عام ١٩٤٦، ورغم معارضة المقيم العام لابون فقد أصر الملك على الزيارة، وكان لابون يخشى من زيادة شعبية الملك في المنطقة التي يحتلها الاسبان، إذ كان عليه أن يجتازها في طريقه إلى طنجة. على كل فقد كان مشروع الزيارة ملكياً محضاً، ولكن هل كان هو الخطوة الثانية؟ في مشروع الملك: خطوة واحدة إلى الوراء وخطوتان إلى الأمام! أما الخطوة الأولى فكانت إلى باريس يوم أن قابل ديغول وطلب الاستقلال لبلاده.

لذلك قرر جلالته أن تكون الخطوة الثانية إلى طنجة . . لأن زيارة طنجة لم تضع نهايةً لمشاريع لابون فحسب، بل دفعت القضية المغربية مئات الأميال إلى الأمام على طريق الاستقلال . .

وراح لابون يبذل جهوداً مضنية لصرف الملك عن تلك الزيارة، ولكن عبثاً حاول، وبعد أن وافقت الحكومة الاسبانية على الزيارة، لم تشأ وزارة الخارجية الفرنسية أن تضع العراقيل في دواليبها . . ولكن مرت بضعة شهور قبل أن تأتي الموافقة اللازمة من حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا الأعضاء في نظام طنجة الدولي .

ولما تمت الموافقة تحركت سموم المقيم العام في صدره فطلب من السلطان أن يذهب إلى طنجة بحراً ـ حتى لا يمر السلطان بالمنطقة التي تحتلها اسبانيا بين صفوف متراصة من الشعب المغربي الذي لم يرَ صورة ملكه الا في الصحف والمجلات .

وكان خليفة الملك محمد الخامس في تلك المنطقة هو الأمير الحسن بن المهدي الذي كان أكثر من غيره سروراً وترحيباً بزيارة الملك .

ولما ضاق الملك ذرعاً باعتراضات المقيم لابون أرسل إلى خليفته الأمير الحسن بن المهدي المذكور بأن يشرف بنفسه على ترتيبات الاستقبال وتنفيذها .

وكما قلنا فإن اسبانيا كانت قد رحبت بزيارة السلطان ولكنها اشترطت الا يرافقه المقيم العام لابون الاّ إلى حدود المنطقة «الاسبانية» على أن يرافقه بعدها المقيم العام الاسباني .

ومهما يكن الأمر فقد وصل الوفد القادم من لدن الأمير الحسن بن

المهدي، إلى الرباط وقبل أن يغادر جلالته الرباط وقع حادث الدار البيضاء الهمجي، الذي أدى إلى سفك دماء الآلاف من المغاربة.



منظر التقط لمدينة طنجة

التي تعد من أشهر موانىء البحر الأبيض المتوسط في قسمه الغربي

مجزرة الدار البيضاء

ففي اليوم السابع من نيسان «ابريل» سنة ١٩٤٧ شهدت الدار البيضاء

مظاهرة دموية. . ويذكر روم لاندو «أن بعض المراقبين ذكروا أن الثورة رتبها متعمداً موظف فرنسي كبير من خصوم السلطان»[1] وأن محاولات الشرطة وافقت غرض ذلك الموظف في محاولة لحمل الملك محمد الخامس على الغاء زيارته إلى طنجة في اللحظة الأخيرة.

وقد بدأت الحادثة على شكل حادث اغتصاب قام به جندي سنغالي لسيدة عربية عنوة خارج إحدى ثكنات الجيش الفرنسي. فهرع بعض الرجال الوطنيين لمساعدتها، وسرعان ما نشب قتال عنيف بينهم وبين أنصار ذلك الجندي من أبناء جلدته، وتبعاً لاستكمال فصول المؤامرة، لم تبعث سلطات الحماية بالشرطة الا بعد مرور وقت طويل، كان السنغال أثناءها يمثلون بالأطفال أمام أمهاتهم قبل قتل الأمهات، وأبيح خلالها الحي الشعبي فهاجمته القوات السنغالية عشر ساعات قضتها في القتل والسلب والنهب والاعتداء على الأعراض، وأخيراً انتهت تلك المجزرة بعد أن صرع فيها ألفان من المغاربة نساء ورجالاً وأطفالاً، وأدرك السلطان أبعاد المؤامرة والقصد منها، لذلك أسرع إلى زيارة الدار البيضاء على عجل وواسى أسر الضحايا، وقدم المعونات للمنكوبين ثم شرع بتنفيذ الرحلة إلى طنجة في الموعد المحدد لها أي في اليوم التالي.

وكان وداع شعب الرباط لمليكه حافلاً ومدوياً ومؤثرا أيضاً عبّر فيه عن تأييده ووفائه له ووقوفه إلى جانبه، وهذا ما كرره بالذات الشعب المغربي في المنطقة التي تحتلها اسبانيا، مما اثبت لدى قوات الحماية الفرنسية والاسبانية، بأن تضامن الشعب المغربي والتفافه حول مليكه وأحزابه لن تفرق بينه الحدود والسدود والمجازر ولا تنال منه جميع الدسائس

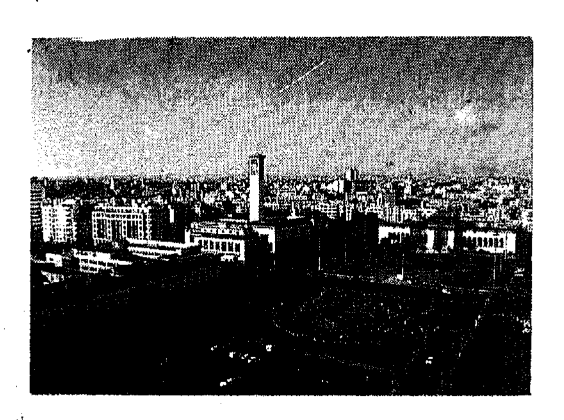
---

(١) روم لاندو: المصدر السابق ص٣٢٤ نقلاً عن: André julien, l,afrique du Nord en Marche. paris René juillard 1952.

والمؤامرات.

وكان رد الفعل لدى الملك بسبب حادث الدار البيضاء هو أنه امتنع عن الاشارة إلى فرنسا بشكل يرضي المقيم العام لابون، ووزارة الخارجية الفرنسية، في خطابه السياسي المدوي الذي ألقاه على شعبه في طنجة.

ولما وصل جلالته بالقطار الذي أقله إلى طنجة كانت شوارع المدينة وساحاتها تقيم مهرجاناً استقباليا حافلاً بالزينات، فقد أقبل سكان المنطقة الاسبانية وسكان طنجة من كل مكان لاستقبال السلطان والاحتفاء به على مرأى ومشهد من سلطات الحماية الاسبانية والفرنسية، وسلطات نظام طنجة المؤلف من موظفين أمريكيين وبريطانيين وايطاليين وغيرهم.



ساحة محمد الخامس ـ الدار البيضاء

وتنافس أعضاء السلك الديبلوماسي باظهار حفاوتهم بالملك وباظهار تعاطف حكوماتهم مع آمال المغرب في الاستقلال والسيادة وفي مقدمتهم أعضاء السلك الديبلوماسي الأمريكي والبريطاني. ما عدا المقيم العام الفرنسي الذي تحاشى التلفظ بكلمة الاستقلال واستبدلها «بالحقوق التي يطمح المغرب إلى نيلها والتي سيحصل عليها بفضل صداقته لفرنسا».

ولما نهض جلالته لالقاء كلمته وإلى جانبه الأمير الحسن. أجمع كل الذين أرخوا للمغرب عرباً كانوا أم أجانب، على أنه كان خطابا تاريخيا يشكل منعطفاً بارزاً في خط سياسة الملك الجديدة الهادفة إلى الاستقلال والحرية.

فقد أعلن جلالته بصراحة ـ ولأول مرة منذ اعلان الحماية على المغرب ـ أن المغرب المسلم بلد عربي وسيبقى عربياً مشبعاً بالمثل العليا التي تفعم قلوب العرب والمسلمين جميعاً، وأن جهوده التي يبذلها كسلطان وأمير للمؤمنين، لنشر العلم والثقافة بين أبناء المغرب وبناته ترمي إلى غاية واحدة بعيدة، مصبوبة في قالب توحيد اتجاهات الوطنيّة المغرب وذهنية شعبه مع الاتجاهات الوطنية والذهنية العربية. حتى لا يتخلف المغرب عن أشقائه في الدول العربية من جهة، ولئلا تطبع النفسية المغربية بغير الصفات العربية المشتركة بين العرب جميعاً من جهة أخرى ثم أثنى على جامعة الدول العربية مؤكداً أن مصير المغرب مرتبط بها، ثم رفض ضمناً مقترحات لابون الخاصة بخلق القومية المغربية المزدوجة الجديدة كما رفض ضم المغرب إلى الاتحاد الفرنسي ونادى بضرورة استعادة تراب المغرب ووحدته وإدماج سائر أقاليمه بعضها ببعض، كما أكد على ضرورة تحقيق سائر الأماني القومية للمغرب ليتمكن من أن ينهض ويتقدم ويعيش حياته الديمقراطية ـ الدستورية.

وتجاهل السلطان عامداً الثناء على فرنسا والإشادة بأهمية التعاون معها، وهو ما كان اقترحه عليه المقيم العام لابون ولم يرفضه.. ثم أسقطه بعد مجزرة الدار البيضاء التي اصطنعتها الادارة الفرنسية لتصده عن زيارة طنجة.

الأمير الحسن وليّ العهد في سلسلة خطابات له في طنجة

ألقى الأمير الحسن ولي العهد سلسلة من الخطب في طنجة وهو يدشن معاهد الدراسة الجديدة أكد فيها على ما يمكن أن يكون قد خفي عن الشعب من مرامي خطاب والده الملك فقال: «أن وحدة التراب المغربي حقيقة حيّة تعضدها المشاهدة ويشهد لها إنصاف المنصفين، وتنادي بانجازها العدالة».

وقال أيضاً: «إذا كان من الملوك من وقف سعيه على التمتع بمباهج الحياة ونعيمها تاركاً رعيته تتيه في ظلمات الجهالة وتئن تحت اصفاد البؤس، فإن ملككم يسعى للحصول على حقكم في الحياة كشعب مسلم عربي لا يبغي عن العروبة والاسلام بديلاً. لأننا ـ كأمة ذات ماض مجيد ـ جعلنا هدفنا الأسمى استرداد مجدنا الغابر واحياء تراثنا السابق، وكدولة ـ فنحن أصحاب كيان مستقل وسيادة لا تقبل التجزئة.

وركز الأمير الحسن في خطابه الثالث على إيضاح المنهاج الاصلاحي الذي وضعه السلطان لإنهاض الشعب المغربي والسير به قدماً فقال: «أن هذا المنهاج يستند إلى قواعد ثلاث: الاسلام والعروبة، والعلم والعمل، والوحدة والتضامن».

وحدة المثل المغربية والعربية في كلام للأميرة عائشة

وألقت الأميرة عائشة كريمة الملك محمد الخامس سلسلة من الخطب حيَّت فيها المرأة المغربية وأثنت على وقوفها مع الرجال جنباً إلى جنب خلال نضال المغرب وكفاحه، وتحدثت عن البعث العربي الجديد الذي هو حلقة متممة لتاريخ العرب القديم، وقارنته بالمنهاج الاصلاحي الذي وضعه والدها الملك وأشرف على تنفيذه، واستخلصت من هذه المقارنة القيمة،

وحدة المثل المغربية والعربية، ووحدة التجاوب النفسي العربي العام وهو حصيلة تموّج الآمال والآلام العربية».

وفي ١٢ نيسان «ابريل» ١٩٤٧ ألقى جلالة الملك محمد الخامس، قبل مغادرته طنجة ـ على ممثلي الصحف العالميه الذين جاؤوا إلى طنجة خصيصاً لهذه المناسبة ـ بياناً قال فيه: «من البد أن المغرب ـ وهو المرتبط بعرى وثيقة بالأقطار العربية في المشرق ـ يود أن يقوّي هذه الروابط بعزم أكبر من ذي قبل، خاصة وأن الجامعة العربية أصبحت الآن عاملاً هاماً في الشؤون العالمية».

وكان هذا أول تصريح علني صرح به السلطان معلناً أن روابط القربى العربية أمر حقيقي، وأن ارتباط المغرب بفرنسا إنما هو ارتباط مؤقت.

وهكذا فقد احتاج السلطان إلى عشرين سنة حتى يبلغ نقطة انطلق منها إلى المطالبة علنا «بالحقوق المشروعة» التي تنكر لها الغرب.

الانتقال إلى مرحلة العمل الجدي

هذه الخطب المدوية التي ألقاها جلالته ونجله الأمير الحسن وكريمته عائشة أقامت فرنسا ولم تقعدها. فقد كان فيها إحراج للاستعمار الفرنسي وفي الوقت نفسه إحراج للمقيم لابون ولم تكن هذه الخطب مع الزيارة الملكية لطنجة من المصادفات.

لقد كانت اعلاناً للخطة التي اعتزم جلالته أن يسير عليها في استراتيجيته الجديدة. والتي كان هدفها: «استقلال المغرب».

وقد وصفه بعض الديبلوماسيين الأجانب بأنه كان سلطاناً صبوراً في الماضي، وهو الآن وقد أنهى مرحلة الصبر الطويلة التي قضاها وهو يدرس

كل المواقف قديمها وحديثها، ويستعرض كل الاستراتيجيات السياسية، وبعد إمعان الفكر والتروي قرر أن يخرج كل ما استوعبه من دراسات إلى مجال العمل الجدي.

وفي الأشهر القادمة سوف تتبلور أفكاره عندما تنعكس آثارها على الطبيعة في وطنه.

وقد استقبل المغاربة المخلصون استراتيجية مليكهم المحبوب وخطبه مهللين مكبرين مرحبين بشجاعته وإقدامِه. وداعين له ولأنفسهم بالتوفيق.. كما بدأ حزب الاستقلال يستعد لما سيكون بعد هذه الخطب..

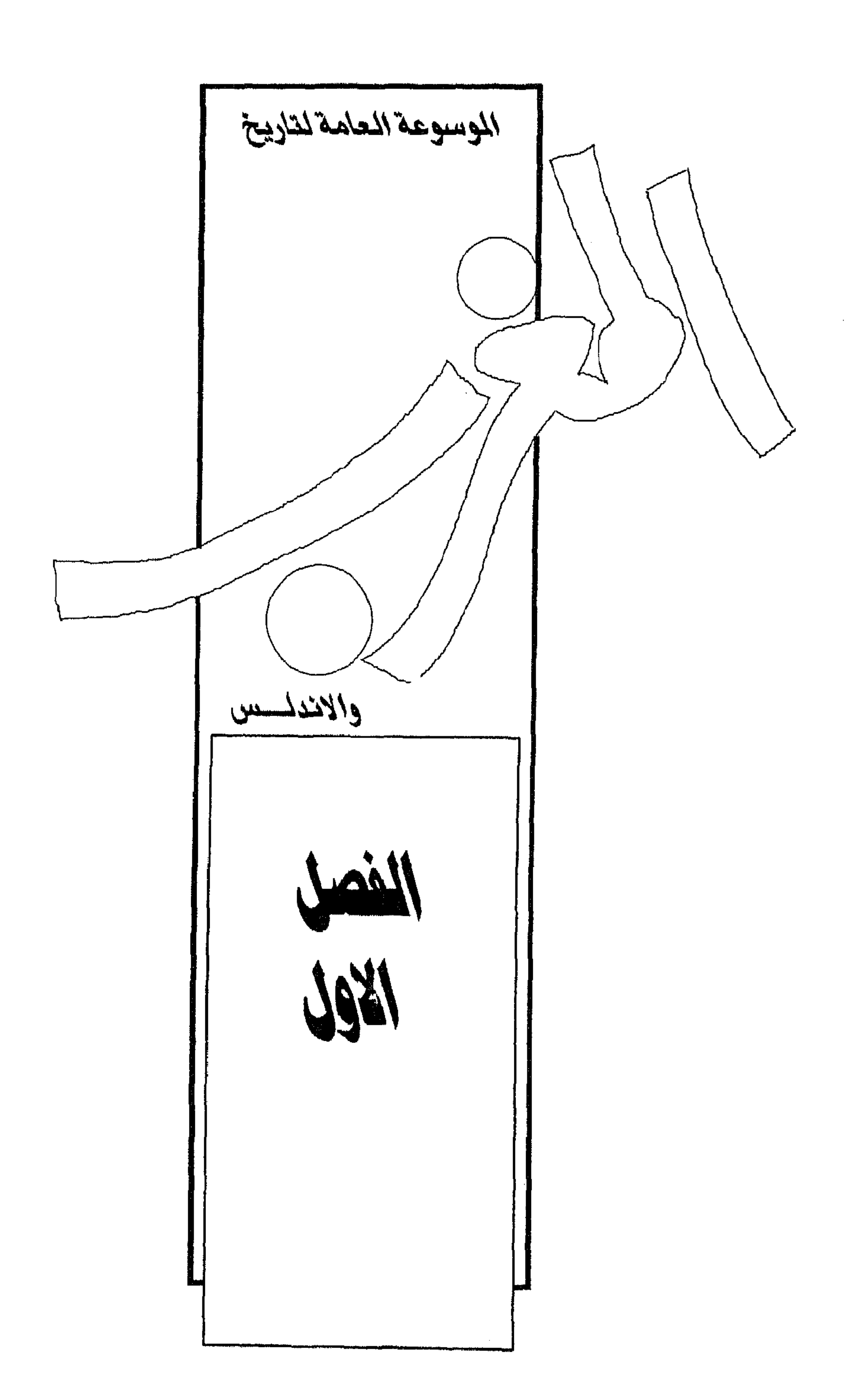
أما المستوطنون الفرنسيون فقد شمتوا بإدارة المقيم لابون فراحوا ينفثون سمومهم في كل اتجاه.. فبدأوا يشنون حملاتهم على لابون.. والملك.. بمساعدة ضباط الجيش الذين ذاقوا مرارة الهزيمة في الحرب العالمية الثانية وأنهم ـ عما قريب سوف يذوقون مرارة الهزيمة الجديدة ـ وهي جلاؤهم عن المغرب.

وقد حاولت حكومة باريس أن تتجاهل استراتيجية الملك الجديدة ـ ومراجلها تغلي.. فاستدعت المقيم العام لابون للتشاور معه.

ووصل لابون إلى باريس في ١٤ أيار ١٩٤٧ فأهمل بيدو وزير خارجية فرنسا استقباله خمسة عشر يوماً.. لقد كانوا جميعاً غاضبين بما في ذلك صحف اليمين التي صبت حمم غضبها على لابون الاشتراكي فرمته بالضعف وقلة الكفاءة. الأمر الذي ختم باستبداله بمقيم عام جديد هو «الجنرال جوان».

الباب الثالث





الفصل الاول

عهد الجنرال جوان ـ الأسود[1]

تَـمَّ اختياره بصفته رجلاً عسكرياً بعد أن آلت الحالة في المغرب إلى وضع خطير يتطلب معالجتها بقوة الجيش لانقاذ الاستعمار الفرنسي من هزيمة جديدة في المغرب.

وكان الجنرال الفونس جوان من مواليد بلدة عنَّابة في الجزائر سنة ١٨٨٨، وكان أبوه شرطياً وأمه كورسيكية من أسرة فرنسية مستوطنة، تخرج من كلية سان سير عام ١٩١٢ برتبة ماجور، وحارب في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، فأصيبت يده اليمنى بجرح بالغ. ورقي إلى رتبة مقدم عندما كان رئيساً للمكتب الحربي ـ للمقيم العام لوسيان سانت.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية، قاد الوحدة الميكانيكية الخامسة

---

(١) الفونس جوان. قائد فرنسي ولد في عنابة في الجزائر عام ١٨٨٨. كان مساعداً للجنرال ليوتي في المغرب ثم عين رئيساً لأركان الجيوش المرابطة في أفريقيا الشمالية عام ١٩٤١ ثم قائداً للقوات البريطانية ـ الأمريكية في تونس. ثم قائداً للحملات الفرنسية على ايطاليا عام ١٩٤٤ ثمَّ عُيِّنَ مقيماً عاماً في المغرب سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٥١. وبعدها عين ماريشالاً سنة ١٩٥٢ وقائداً لقوات الحلف الأطلسي في وسط أوروبا حتى عام ١٩٥٦. توفي في باريس عام ١٩٦٧.

عشرة التي دافعت عن مدينة ليل الفرنسية، وقد أسره الالمان فقضى سنة مع الجنرال جيرو في معتقل كونغشتاين وعاد من الأسر سنة ١٩٤١ للعمل مع المارشال بيتان في حكومة فيشي، وهو يعاني من عقدة نفسية، بسبب فشله الذي أدى إلى أسره. وقد تولدت من هذه العقدة النفسية شخصية رجل ضعيف يحاول أن يُسْبِغ على نفسه مظاهر القوة والاستبداد.

وكان موقفه من الحلفاء عدائياً على ما جاء في محادثة دوّنها فرنان دوبريتون، في مذكراته التي طبعت في باريس سنة ١٩٥٠ لدى وصفه غداء مع المارشال بيتان والجنرال جوان فقال: وفي أثناء الحديث ذكر جوان أكثر من مرة أنه يسعده أن يقاتل البريطانيين، وأنه سيدافع عن «أفريقيا» يعني شمال أفريقيا ضد أي محاولة للحلفاء.. وأنه إذا وضع تحت أمرة الجنرال رومل الالماني فإنه سيكون فخوراً بأن يعمل تحت أمرته وأضاف: ليس ثمة جندي لا يشعر بالفخر في العمل تحت أمرة رومل. وهذا يعني أن جوان كان مخلوقاً منهاراً بالفعل وخائناً لوطنه فرنسا.

وبعد ذلك عهد المارشال بيتان إلى الجنرال جوان أن يكون خلفاً للجنرال ريغان القائد العام للقوات الفرنسية المحاربة في شمال أفريقيا لأنه أي ريغان كان ميالاً للحلفاء، وهكذا عينه بيتان خلفاً له في شمال أفريقيا ـ وفي يوم نزول الحلفاء في شمال أفريقيا أصدر الجنرال جوان الذي كان في الجزائر، الأمر التالي إلى الجيوش الفرنسية: يجب مقاتلة فرق الحلفاء الغازية، ولكنه عاد بعد ٢٤ ساعة للتفاهم مع الحلفاء.

وكان جوان نحيف الجسم عصبي المزاج ذا شفتين رقيقتين تفتران أحياناً عن ابتسامة صفراء تعوَّد اصدار الأوامر، وكانت الحركات العصبية المستمرة بادية على وجهه المشدود، والرجفات العريضة التي تتعرض لها ذراعه اليمنى، وشبه المشلولة، تخفي طبيعة عصبية متوترة، دربها صاحبها

على النظام، وكان مثل سائر الفرنسيين في الجزائر يرى في الفرنسيين أنهم أصحاب رسالة استعمارية في شمال أفريقيا لا مجرد روّاد . .

ولدى وصوله إلى المغرب رحب به المستعمرون معتقدين بأنه الرجل الذي سيحل جميع قضايا المغرب «حلاً تاماً» بما يتفق مع نزعته الشريرة المحبة للبطش وسفك الدماء وكانت نفسه تطمح لأن تصنع مجداً أو تحقق انتصاراً مهما بلغ ذلك . ولو كان فيه ازهاق أرواح الأبرياء من المغاربة الصابرين .

وحظي الجنرال الفونس جوان ـ منذ وصوله ـ بتأييد الطغمة العسكرية الفرنسية، وموظفي الادارة والمتنفذين السياسيين، يضاف إلى هذا أن الحكومة الفرنسية منحته سلطات غير محدودة وتفويضاً تاماً بأن «يعامل السلطان بالذي يراه مناسباً» .

الخطوط العريضة لسياسة الجنرال جوان

وقد أعلن الجنرال جوان خطوط سياسته العامة بعيد وصوله بقوله : «أن واجبي الأول هو إعادة النظام، ولن أسمح لأحد بأن يلجأ إلى المزايدات الغوغائية، ثم أضاف غامزاً إلى تصريح الملك محمد الخامس الأخير في تأييد الروابط العربية قائلاً : أن المغرب الذي وحّدته فرنسا يجب أن يكون بلداً غربياً، وأن يشيح بوجهه عن الاتحادات الشرقية» وقبل أن يمر وقت طويل أعلن بأن «المغرب لن تقوم له قائمة وحده ولكنه سيظل «مرتبطاً بفرنسا» .

لجوء الأمير عبد الكريم الخطابي إلى مصر

وقبل أن يصل الجنرال جوان إلى الرباط . كان الأمير عبد الكريم الخطابي قد هرب من الباخرة التي تقله أثناء رسوها في بور سعيد ولجأ إلى

مصر.

قال علال الفاسي وهو يصف تلك المناسبة: حالما وطأت قدما الأمير عبد الكريم التربة المصرية ـ في بور سعيد، زار حاكم المدينة الذي «قدم له تحيات الملك فاروق، عندئذٍ أبلغه الأمير عبد الكريم أنه يطلب اللجوء إلى مصر ملتمساً حماية الملك فاروق، كي يتخلص من أسر الفرنسيين ويؤمن لأطفاله دراسة في اللغة العربية، فوعده الحاكم بأن يبلغ طلبه إلى الملك وإلى الحكومة المصرية، وفي اليوم التالي عندما زار الأمير عبد الكريم الحاكم أبلغه هذا باسم الملك منحه حق اللجوء السياسي وقبّله بالنيابة عن الملك، وطلب منه أن يعتبر نفسه وعائلته ضيوفاً على فاروق»[1].

وقد غطى وصول الأمير عبد الكريم إلى مصر الدعاية التي رافقت وصول الجنرال جوان إلى المغرب، فكسفت شمس عبد الكريم هالة المجد المزيّفة التي رفعها المستوطنون الفرنسيون فوق رأس الجنرال جوان وتحركت مصر والعالم العربي بأسره لدى وصول عبد الكريم إلى مصر، واستقبلته الصحافة العربية في كل بلد بالترحيب كبطل عظيم من أبطال العروبة والاسلام..

حملة اعلامية عربية على الجنرال جوان

ثم انبرت الصحافة المصرية والصحافة العربية تكيل التهم والنعوت للجنرال جوان والاستعمار الفرنسية.

واغتنم عبد الرحمن عزّام الأمين العام لجامعة الدول العربية فرصة زيارته إلى واشنطن لينبه الحكومة الأميركية إلى الأخطار التي ستنجم عن تعيين الجنرال جوان ـ الهتلري ـ مقيماً عاما في المغرب، وإلى النوايا المبيتة

(١) من كتاب الحركات الاستقلالية.

لاقصاء السلطان محمد الخامس عن عرشه.

وعندئذٍ، حذرت الحكومة الأمريكية، الحكومة الفرنسية من النتائج الخطيرة التي يمكن أن تنجم عن مثل هذه السياسة الخرقاء.

مناورات الجنرال جوان الشيطانية

وبالرغم من كل هذه التحركات فإن الجنرال جوان كان قد عين لاحداث انقلاب خطير في السياسة المغربية تمهيداً لخلع الملك محمد الخامس.

وقد أطلق على هذا الانقلاب إسم «اصلاحاته» الرامية إلى تجريد الملك من كل سلطاته وتجريد المغرب من كل حقوقه».

فبدأ جوان بتنفيذ خطة «السيادة المشتركة» ومظاهرها المشاركة والمناصفة بين المغاربة والفرنسيِّين في الحكومة، والمجالس البلدية، والمجالس القروية، ومجلس شورى الدولة، والغرف التجارية، والغرف الزراعية كمقدمة لالحاق المغرب المشترك بالاتحاد الفرنسي. حتى إذا تم الانقلاب أمكن عندها انشاء نظام ارتباط لا فكاك له عرّفه جوان بقوله: «يبقى المغرب مرتبطاً بفرنسا».

ولكن الملك محمد الخامس رفض توقيع كل ظهير ينتقص أو ينتقض حقوق المغرب، وكانت هذه «الظهائر» يقدمها الجنرال جوان شخصياً باسم «الاصلاحات الجديدة».

ولما أعيت الجنرال جوان الحيلة اقترح على الملك أن يفوض حقه بتوقيع الظهائر التشريعية والتنفيذية للصدر الأعظم، وأن يفوض للصدر الأعظم، كذلك سلطة العرش في نقض وابرام الأحكام الصادرة عن القضاء

الشرعي، وأن يفوض إلى المقيم العام نفسه سلطات العرش الخاصة بإجازة التنقيب عن المعادن واستثمارها.

وكان من الواضح أن الجنرال بمناوراته هذه كان يريد تجريد السلطان من كل ما أبقته له معاهدة الحماية من سلطات على قلتها. ليصبح الملك صورة لا عمل له ولا نفوذ. وكل ذلك مقدمة لسوق المغرب إلى مصيره الأسود.

ولكن الملك انبرى له بالرفض رغم معرفته بأن الحكومة الفرنسية خولت الجنرال جوان ـ بأن يلح عليه بالتنازل عن العرش، فإن أتى فليخلع عن العرش خلعا.

وقد وصف رماديه رئيس وزراء فرنسا في ٢٤ تموز، ١٩٤٧ اجراءات المقيم العام على أنها «تقدم حقيقي على طريق الديمقراطية» وهكذا وضعت فرنسا خنجرها على عنق الملك محمد الخامس، وراحت تزعم «بأنه تقدم حقيقي على طريق الديمقراطية»، وكان ذهن الملك حاضراً دائماً للرد على مناورات الجنرال «المخطط» جوان الذي يقوم بدور «مخلب القط» في العاصمة الرباط.

ومن ذلك أنه كان يجيب الجنرال جوان على الفور ملفتاً انتباهه أن «مشاريع الاصلاح» التي يحملها إليه والرامية إلى «مشاركة فرنسية في السيادة المغربية» أنها «خرق لمعاهدة فاس».

وقد جنت الأحزاب الشيوعية في فرنسا وأوروبا أكبر الفوائد من وراء تعنت الجنرال جوان القادم ـ بعد هزائم فرنسا في الحرب العالمية الثانية ـ إلى المغرب ليمارس على أرضه ما تعلمه من أسياده الالمان الذين كان يناحرهم من أمثال هتلر، وروميل، وغورنغ، وغوبلز، وهملر..

وراحت الأصوات الشيوعية في فرنسا وأوروبا تنادي بوجوب منح المغرب استقلاله، على اعتبار أن تدخل الجنرال جوان في القضايا الدستورية المغربية لم يكن ذا صفة شرعية، ومحاولة الجنرال جوان جعلها شرعية بالقوة تعتبر تطويراً ثورياً من جانب فرنسا ـ يقتضي أن يجابهها المغرب بتطوير ثوري عنيف مماثل..

وهكذا وقف الجنرال جوان وراء مواقفه العدائية على أَهَبَةِ الاستعداد لاطلاق النار على الشرعية، ومعاهدة الحماية الفرنسية التي وقعت في فاس عام ١٩١٢.

مصادرة الحريات العامة

وسرعان ما استردت فرنسا بأمر من شفتي الجنرال جوان العصبيتين الحريات التي لم يجف بعد حبرها على الورق الذي كتبت عليه، وفي مقدمتها حرية الصحافة.. فراح المراقب الفرنسي يمنع كل مقال أو خبر غير مرغوب فيه ينشر في صحف حزب الاستقلال. فكانت الصحف تصدر بيضاء الا من بضعة أخبار موزعة هنا وهناك، فكان منظرها يبدو كمنظر الاعلام الفرنسية التي مزقتها قنابل ورصاص الالمان وتركت فيها فجوات تنفذ منها رياح الراين كما نفذ الالمان إلى قلب مدينة باريس.

ولما أطلع الملك على مقترحات جوان الرامية إلى إنشاء المجالس البلدية، بهت لونه وراح ينظر بعينيه إلى السطور غير مصدق ما ورد فيها.

ونترك لروم لاندو في كتابه تاريخ المغرب الحديث في القرن العشرين أن يحدثنا عن «انشاء النظام البلدي» فقال: «اطلع السلطان على تفاصيل المقترحات فرأى أن الأمر لم يقتصر على منح الفرنسيين القاطنين في بلاده حق التصويت فحسب بل أن عدد ممثليهم سيكون مساوياً لعدد المغاربة

وبعبارة أخرى فإن ٢٧٠ ألف مستوطناً فرنسياً سيكون لهم من الممثلين في المجالس البلدية ما «لثمانية ملايين» من أبناء البلاد[1] ، ومعنى هذا أن كل فرنسي يحق له التصويت سيكون صوته أقوى من صوت المغربي بثلاثين ضعفاً» فرفض الملك مجرد الاهتمام بالمقترحات لأنها كانت تخالف مخالفة صريحة المبادىء الأساسية لاتفاقية الحماية الفرنسية في المغرب كما هي واردة في المعاهدة والنصوص والمراسيم.

وكانت الادارة الفرنسية تسمى رفض السلطان لتلك المقترحات الاستبدادية بأنها نزعات «معادية للديمقراطية» وكانت تسمى اصراره على الا يتنازل عن حقوقه بقولها: «سلطاته الاستبدادية».

علال الفاسي ـ من طنجة إلى بور سعيد

ومن الطريف أن نذكر أن المناضل علال الفاسي عندما رافق السلطان إلى طنجة، منعته السلطات الفرنسية من العودة إلى مسقط رأسه في مدينة فاس، فأقام في طنجة تحت المراقبة الشديدة.

وإذ به يظهر فجأة في القاهرة في ٢٥ أيار سنة ١٩٤٧ حيث رحب بمقدمه المصريون والمغاربة الذين يديرون «المكتب المغربي» هناك.

أما فيما يتعلق بلجوء الأمير عبد الكريم الخطابي إلى مصر فقد كتب روم لاندو يقول: «أن الاشاعات ذكرت بأن الحكومة الفرنسية أمرت باحضار الأمير المنفي من جزيرة ريبونيون إلى باريس، لكي تستعمله ورقة ضغط لتهديد الملك محمد الخامس.. ولكن رغبات فرنسا لم تتحقق لأن عبد الكريم فضل اللجوء إلى مصر على خيانة مليكه».

---

(١) كان عدد سكان المغرب أكثر من ثمانية ملايين في عام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧. ولكن الفرنسيين كانوا لا يسمحون باجراء احصاء عام لأسباب استعمارية معروفة.

وكان أول من استقبله في بور سعيد وهو على ظهر سفينة استرالية المناضل علال الفاسي الهارب من طنجة.

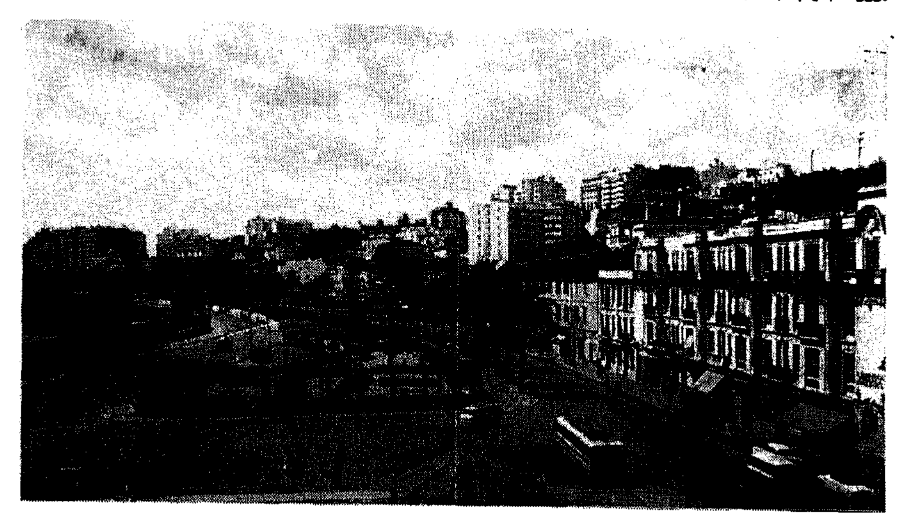
وكانت شخصية عبد الكريم الخطابي قد احتلت مكانة عالية في هالة المجد كبطل مناضل حارب امبراطوريتين: فرنسا واسبانيا وتمكن من هزيمتهما في عدد كبير من المعارك الكبرى بأسلحة أخذها من الجيوش الاسبانية والفرنسية المهزومة على التوالي.. ولولا استعمال الاسبان والفرنسيين للطائرات والدبابات لكان من المؤكد أن يهزمهما في المعارك الفاصلة.. والمعارك التي انتصر فيها الأمير عبد الكريم برهنت على أن قيادته وفنونه القتالية وتخطيطاته الحربية كانت أحسن مما كان لدى الاسبان والفرنسيين، ومن هنا نفهم أن الذكاء المغربي كان ألمع من ذكاء قواد اسبانيا وقواد فرنسا.. مع أن جيوش هاتين الدولتين كانت تتفوق على جيوش عبد الكريم بالعدد والعدة مع استمرار تدفق الأسلحة عليها.

هذه المقارنة على ايجازها يمكن أن تكون جواباً على تبجحات الجنرال جوان الذي كان يصف الفرنسيين بأنهم يتحلون بالحضارة الفرنسية، وأن جوان جاء ليفرض الحضارة الفرنسية على الشعب المغربي..

أما آمال حكومة فرنسا بأن تتخذ من الأمير عبد الكريم أداة لتهديد الملك محمد الخامس فقد قضى الأمير عبد الكريم بنفسه عليها وذلك ليس بسبب هروبه من الباخرة ولجوئه إلى الضيافة المصرية فحسب بل عندما صرح بعد ذلك قائلاً: بأنه ينصح فرنسا بالدخول في مفاوضات مع الملك محمد الخامس بقصد الغاء الحماية الفرنسية وأضاف موجهاً حديثه للفرنسيين قائلاً «أن رحلتم كأصدقاء يقول ذلك للفرنسيين - وأنتم تدركون أن هذا هو السبيل الوحيد أمامكم، حافظتم على مصالحكم جميعها، ولكن أن

خرجتم كأعداء خسرتم كل شيء، لقد خضنا حربين إلى جانبكم ـ الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ـ وعرَّضنا نفوسنا للخطر لكي تحافظوا على استقلال فرنسا، فلماذا تنكرون علينا استقلالنا، لقد جئتم بالجنرال جوان لأنكم تحسبون أن جندياً يرعبنا ـ نحن لا نخشاه ولكن عمله الموجه إلى السلطان هو قضية جدية بالنسبة إلينا».

«هذا التصريح للأمير عبد الكريم نشرته الفيغارو في ٢٢ ـ ٢٣ حزيران سنة ١٩٤٧».



شارع اسبانيا ـ أحد أشهر شوارع مدينة طنجة وأجملها

كفاح الملك المثالي ضد مؤامرات جوان

تجلت وطنية الملك محمد الخامس في السنوات الأربع التي قضاها مكافحاً لسلطات الحماية وعلى رأسها جوان المخلوق الضئيل الجسم الذي كان يموه ضعفه وحقارته بالمنصب الذي انتدبته له وزارة الخارجية الفرنسية ـ التي منحته سلطات واسعة للقضاء على مركز الملك السامي، بغية احداث أنظمة جديدة تجعل من المغرب

أرضا[1] فرنسية.

وفي خلال هذه الحقبة السوداء من تاريخ الحكم الفرنسي في المغرب قام جلالته بأربع جولات حامية مع جوان ممثل دور الجبروت والطغيان الفرنسي في المغرب.

ففي الجولة الأولى وضع الملك محمد الخامس توقيعه على ثلاثة ظهائر من مجموعة كبيرة قدمها إليه المقيم العام جوان، ينص أولها على تعيين مندوبين للصدر الأعظم في الادارة الفنية المغربية التي يديرها الفرنسيون، وينص ثانيها على انشاء مجلس وزاري يضم وزراء «المخزن» العتيدين الذين يدعوهم الملك إلى الاجتماع برئاسته. وكان ثالثها يحث على عقد اجتماع شهري برئاسة الصدر الأعظم للوزراء والمديرين لدراسة القضايا ذات المصلحة العامة.

وعندما اذيعت تلك الظهائر زعمت الخارجية الفرنسية وأيدتها رئاسة الوزارة الفرنسية بأن المدراء الفرنسيين أصبحوا وزراء حقيقيين في المغرب، وأن مندوبي الصدر الأعظم صاروا مساعدين لهم. وراحت الدعاية الفرنسية تطنطن بهذه التعيينات التي تعتبر «أول جولة في الاصلاحات» التي تريد أن تحققها سلطات الاستعمار في فرنسا.

وعندئذٍ، سارع الملك إلى تكذيب كل تلك الادعاءات جملة وتفصيلا، في البلاغ الذي صدر عن القصر، معبراً عن دهشة الملك للتأويل الفرنسي، ومؤكداً أن المدراء الفرنسيين ما زالوا كما كانوا من قبل موظفين في الادارة الفنية لدى الحكومة الشريفية.

وبدأت الجولة الثانية حين قدم جوان إلى الملك ظهيراً يدعو إلى

---

(١) انظر روم لاندو في كتابه السابق ص٣٤١.

تأليف مجلس شورى نصفه من المغاربة ونصفه الآخر من الفرنسيين، على أن يتم اختيار النصف الفرنسي بالانتخاب الحر المباشر، والنصف المغربي يتم اختياره بالتعيين على دفعتين فرفض الملك توقيع الظهير قائلاً: «أن الفرنسيين ما زالوا أجانب يحملون جنسية فرنسية، وأن إعطاء الأجنبي حق انتخاب من ينوب عنه في المجلس الوطني ينتقص من سيادة البلاد».

وجاءت الجولة الثالثة في مشروع ظهير لتنظيم المجالس البلدية في المغرب على أساس أن تكون مجالس مختلطة: مغربية فرنسية، فرفض السلطان المشروع من أساسه لأنه فاسد يعطي الأجانب حق انشاء مجالس خاصة بهم.

أما الجولة الرابعة فكانت مهزلة لأن جوان الخاسر في الجولات الثلاث عرض على السلطان مشروع ظهير يحظر على الشعب الهتاف والمناداة بالحرية والاستقلال، في الحفلات العامة التي يحضرها الملك. فرفض الملك توقيعه، ولما عاد جوان مرة أخرى وفي يده الظهير، يطلب بالحاح وقح من جلالته أن يوقعه، غادر الملك قاعة الاستقبال وترك جوان وحده، وشفتاه ترتجفان بالاضافة إلى يده اليمنى الشبه مشلولة من شدة عصبيته.

وعندئذٍ، بدأت «الهستيرية» تسيطر على أعمال جوان وتصرفاته فمنع إقامة احتفال بافتتاح مدرسة جديدة دعي جلالة الملك لافتتاحها حتى ولو كانت مدرسة خاصة. وأفضى جوان بتصريح على الأثر لصحيفة باري بريس أثار موجة من الهزء والسخرية في جميع المحافل الدولية جاء فيها: لقد اضطررت كمقيم عام لأن أمنع السلطان والأمراء من الظهور في الحفلات.

وأدركت الحكومة الفرنسية بعد الحملة التي شنتها الصحف الأوروبية

والعربية في المشرق أن جوان أصبح «مهستراً» ومريضاً بمرض الحقد على الملك وأسرته، لأن فضيحة سياستها «الهستيرية» الحمقاء في المغرب طبقت الآفاق فأوعزت إلى جوان أن يصدر تكذيباً لما نشرته على لسانه صحيفة باري برايس.

حرب المناشير المزوَّرَة

ومع ذلك فإن سياسة المقيم العام ظلت مستمرة في انحدارها وابتذالها حتى هبطت إلى الحضيض وكان آخر ما تفتقت عنه عقلية المستعمرين المهترئة «تلك المنشورات» البذيئة التي صدرت عن إدارة المقيم العام، وتحمل إسم «حزب الله» راحت تتهجم فيه على الملك وأسرته من أمراء وأميرات، وقد تولى توزيعها المراقبون الفرنسيون والمدنيون والعسكريون، فجاءت تلك المنشورات الوقحة البذيئة مثل القشة التي قصمت ظهر البعير.. فتصاعدت صيحات الاحتجاج في داخل المغرب وخارجه، واغتنمها المغاربة فرصة للمناداة باسقاط جوان في الاجتماعات العامة والتنديد بحياة الفرنسيين المستوطنين الذين جعلوا أحياءهم الخاصة حانات ومراقص تمارس فيها أبشع أنواع الرذائل.. على أنها صورة طبق الأصل لمدينة باريس التي أصبحت عاصمة للترفيه عن الجنود الالمان في عهد احتلالها في الحرب العالمية الثانية، وللترفيه عن الجنود الأمريكيين والحلفاء والزوار من مختلف الجنسيات بعد الحرب.

وازداد الوضع سوءاً عندما كشفت أجهزة «المخزن» أي الحكومة المغربية، «المخلوق القذر» الذي كتب المناشير فقدم إلى المحاكمة وهناك اعترف بأن الكولونيل لوكونت السكرتير العام للشؤون السياسية هو المدبّر الأول لاصدار تلك المناشير المزورة، فحكم على «المخلوق القذر» بالسجن وعزل الكولونيل لوكونت من منصبه.

ولكن الله سلَّم

ومع ذلك، فقد ظل جوان يرتع في مُبْتَذَلاَتِه وسفاهاته فكانت آخر ما تمخضت عنه حماقاته ـ محاولة اغتيال الملك محمد الخامس بالسم في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٤٨، وذلك عندما حاولت تلك الأجهزة أن تدس السم في طعام الملك ولكنه نجا بفضل يقظته وحذاقة طبيبه ثم جرت محاولة أخرى لاغتيال الأمير الحسن ولي العهد، عندما قرر المشرفون على المؤامرة استدراجه إلى خارج القصر بواسطة الهاتف، وذلك عندما استدعاه «شخص معروف» مقلداً صوت الملك داعياً إياه لمقابلته «أي مقابلة والده» ولكن الأمير أحبط المحاولة عندما تناول سماعة الهاتف واتصل بأبيه شخصياً للتأكد من صحة الدعوة، فلما سمع الملك قصة نجله نفى أن يكون هو الذي استدعاه، وطلب منه ألا يغادر القصر.

وقد وصف المؤلف الفرنسي روم لاندو في الصفحة ٣٣٦ ـ ٣٣٧ وما بعدهما في كتابه تاريخ المغرب الحديث. «أن الجنرال جوان بعد سنتين من تعيينه مقيماً عاماً في الرباط لم ينجح في حل المشكلة المغربية، ومع أن «السلطان» كان قد جرد من الكثير من سلطاته، فإن جوان ظل يعامله معاملة عسكرية لا تختلف في نظر السلطان عن «قلة الأدب» ولكن بقي للسلطان حق التوقيع على المراسيم «الظهائر» لذلك فقد مارس السلطان حقه في الامتناع عن توقيعها، فظلت أكداس من هذه المراسيم موضوعة في مكتبه دون توقيع، وكل واحد منها كان القصد منه تقوية السيطرة الفرنسية ووضع سلطات أوسع في أيدي الادارة الفرنسية». وفي فرنسا انتقد بعض السياسيين ممن لم يكونوا مغرمين بالملك المغربي تقييد مسؤوليته إلى هذا الحد، وأشاروا إلى ما تحمله في طياتها من أخطار، ومن هؤلاء المنتقدين لسياسة جوان ومن هم وراءه في الحكومة الفرنسية «روبير مونتاين» وهو أحد كبار

أصحاب الرأي في المعسكر الاستعماري، فوصف الاتجاه الفرنسي نحو المركزية بأنه «مؤذ جداً» «وأنه فعلا يؤدي إلى خنق البلاد» فكتب يقول: «أننا نؤدي بالبلاد إلى العقم إذ نطبق المراسيم والأنظمة التي نسنّها بدقة وتفصيل. . وأن الواحد يتصور نفسه في حلم عندما يسمع بأن ممثلين معنيين «من الفرنسيين» يرفضون المناقشة مع زملائهم المغاربة، وأن المرء لينتظر منا بعد سنوات من السّبات أن ننتفع من الشباب المسلم وأن نفيد إفادة كبيرة من الجهود التعليمية.

ولو أن الجنرال جوان أبدى شيئاً من حسن النية الذي كان متوفراً للمقيم السابق لابون أو أبدى شيئاً من الحصافة السياسية التي تميز بها المقيم الأسبق بونسو لما كان يستبعد أن يهتدي إلى طريقة يربح بها سيدي «السلطان». . ولكن جوان لم يكن يمتلك أياً من الصفات التي يتميز بها السياسيون، أو رجال الادارة الناجحون، ولم يكن باستطاعته أن يخلق جواً يشجع على التقارب فترتب على ذلك أن الهوّة العميقة بين الادارة العامة والسلطان كانت تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم.

وقد ظهرت مقدمات العاصفة في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ عندما ألقى الجنرال جوان خطاباً في أكاديمية العلوم الاستعمارية في باريس «داعياً لايجاد سلطة مشتركة في المغرب» كان شبه اعتراف من قبل «المتسلط السليط» بأنه جعل نفسه شريكاً «لمالك البيت».

وفي اجتماع شهر كانون الأول ديسمبر، لمجلس الحكومة في الرباط اتهم الممثلون المغاربة ـ دون مواربة ـ السلطات الفرنسية بالنفاق، إذ بينما كانت السلطات الفرنسية تعلن للعالم بأن تطوير البلاد أصبح أمراً مفروغاً منه، كانت محاولات الدمج تسير سيراً حثيثاً ـ لذلك فإن التقدم والتطور العصريين، على ما كان يقول الوطنيون، كان معناهما القضاء على الثقافة

الأهلية في المغرب والقضاء أيضاً على اللغة العربية.

ولقد قيل بأن الوزارة الفرنسية التي أَلَّفَها بِلْفِن حديثا في باريس، كان وزراؤها مضطربين بسبب الوضع في المغرب، وبسبب عجز المقيم العام عن ادخال الاصلاحات التي نشر عنها الكثير ولم يتحقق منها شيء، أو بسبب عجز جوان عن إقامة علاقات ودية بينه وبين الملك.

المكيدة..

وبالرغم من أن الغيوم ازدادت تلبداً لدرجة جعلت الانفجار الوشيك أمراً لا يمكن تجنبه، ولكن الانفجار تأخر قليلاً بسبب الدعوة التي وجهها فنسنت أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية لجلالة الملك محمد الخامس للقيام بزيارة رسمية لباريس، وقد شملت الدعوة أسرته بكاملها ووزراءه ورجال البلاط، وقد روعي أن تكون الزيارة عيداً، ولكن الزيارة في المضمون الفرنسي «كانت خدعة» الغاية منها: تأكيد الوحدة المغربية الفرنسية بشكل علني.

وقد تردد جلالته في قبول الدعوة ولما قبلها أخيراً أخطر مضيفه أنه ينوي أن يتحدث إليه حول القضايا السياسية الداخلية التي تزعج المغرب، وكان الملك يجهل «المضمون الفرنسي» من الزيارة.

وبالرغم من قبول الملك للزيارة فإن الشعب المغربي كان يوجس شراً منها لخبرته الطويلة بنوايا الحكام الفرنسيين الغادرة. لذلك فإنها لم تنل استحسانه ولا موافقة الطلاب والعمال المغاربة والجزائريين والتونسيين ـ الذي احتجوا على زيارة جلالته لعاصمة «العدو» ولكن كان للملك رأي آخر وتمت الزيارة وخلال الاحتفال باستقباله في شوارع باريس اخترق الطلاب نطاق البوليس وهجموا على سيارة الملك محتجين على زيارته «ومجيئه لبلد

العدو الأبدي»[1] .

وكان روم لاندو من جملة المدعوين لحفلات استقبال جلالته فوصف استقبال باريس لضيفها الكبير بقوله : «لباريس أن تدّعي أنها من أجمل مدن الدنيا في فصل الخريف ، وقد كانت الزيارة الشريفية أفضل فرصة لتظهر العاصمة بأبهى معالم الزينة والبهاء وفي ١١ تشرين الأول «أكتوبر» عام ١٩٥٠ خرج مئات الألوف من الباريسيين ليحيوا «سيدي محمد والأمير مولاي الحسن» وقد أقام كلاهما في قصر الأليزيه .

ومنح الرئيس أوريول الأمير الحسن أعلى وسام لجوقة الشرف . وتبادل السلطان والرئيس الفرنسي الهدايا الثمينة ، وكانت الاستقبالات الفخمة تتلو تباعاً .

ومع هذا فقد كان جلالة الملك معنياً بالأمور الأهم؛ حريصاً على التمتع بحقيقة السلطة لا بمظاهرها «الخداعة» فالقفص ولو كان مذهباً ، لا يعدو كونه قفصاً ، لذلك سلم إلى الرئيس أوريول بعد وصوله إلى باريس مذكرة أورد فيها ملاحظاته على حالة المغرب ، ثم توسع في توضيح وجهة نظره في حديث شفوي مع الرئيس أوريول ورئيس الوزراء بلفن ووزير الخارجية روبير شومان ، وكان الانطباع السائد الذي تركته أحاديث الساسة الفرنسيين هو أنهم ازدادوا تفهماً لقضية المغرب وعطفاً عليها أكثر مما كان يؤمل من الجنرال جوان وموقفه المعادي كما بدا في الأسابيع القليلة الماضية .

وقد بحثت اقتراحات الملك في اجتماع خاص عقدته الوزارة الفرنسية في ٣١ تشرين الأول «أكتوبر» ١٩٥٠ وفي اليوم التالي تلقى جلالته جواباً

---

(١) «روم لاندو صفحة ٣٣٩ المصدر نفسه».

على مذكرته الأصلية جاء فيه وعد بتخفيف الرقابة على الصحف وإنشاء اتحادات عمالية، واصلاح الادارة القضائية ولكن لم يكن ثمة إشارة إلى مطلب الملك الصريح الداعي إلى استقلال المغرب، والحفاظ على سيادته. لذلك اعتبر الملك ومستشاروه الذين رافقوه، الجواب الفرنسي مخيباً للآمال، فأسرع جلالته وأرسل رسالة ثانية بيّن فيها آراءه بشكل واضح دقيق فالمذكرة الأولى كانت قد صيغت بلغة دبلوماسية شرقية «مبهمة» بحيث أنها شملت الكثير، لكن دون وضع النقاط على الحروف أما الرسالة الثانية فإنها لم تترك مجالا للتخمين، لقد جاء فيها القول الصريح بوجوب احداث تغيير جذري في أساس العلاقة بين البلدين، والغاء الحماية تدريجياً تمهيداً لاعطاء البلاد حقها بالاستقلال الناجز.

وبما أن الاصلاحات البسيطة التي احتواها الجواب الفرنسي على المذكرة الأولى كانت كافية لاغضاب المستعمرين فإن المذكرة الثانية التي أرسلها الملك. . بقيت بدون جواب.

وفي أثناء ذلك كان جوان قد أرسل إلى باريس ممثلين عن الصناعيين ورجال المال والمزارعين المستوطنين في المغرب، كما أمطرت الجالية الفرنسية في المغرب، الرئيس أوريول والحكومة الفرنسية ودور الصحف بسيول من البرقيات المنددة المهددة، وكانت حجة المستوطنين التي تذرعوا بها تقول أن أي تغيير في الوضع الراهن، يغلق الباب نهائياً أمام استثمار الأموال الفرنسية، وأن الأمر سينتهي بالجالية الفرنسية إلى الدمار. ثم انهالت البرقيات على الجنرال جوان يعلن فيها المستوطنون في المغرب تأييدهم لسياسته «وكانت كل هذه الأمور مدبرة».

وانتظر جلالة الملك جواباً على رسالته الثانية ولما لم يتلق شيئاً قطع زيارته وقرر مغادرة باريس في تشرين الثاني دون أن يحصل على الترضية

اللازمة.

وقد اعتبرت زيارته الثانية لباريس ـ بعد زيارته الأولى للجنرال ديغول ـ حدثاً هاماً جداً لأن الملك عبر عن آماله التي لم يلتفت إليها أحد من قبل.

استقبال حاشد للملك لدى عودته من باريس

عاد الملك إلى المغرب بحراً ماراً بمدينة طنجة بعد أن أذاع الديوان الملكي بلاغاً كشف فيه عن التباين في وجهات النظر بين المغرب وفرنسا ويؤكد ثبات الملك على المطالبة بالاستقلال ولما وصل جلالته إلى الدار البيضاء، استقبل استقبالاً حاراً تجاوز كل ما ألفه في الثلاث والعشرين سنةً الماضية من حكمه، لم تكن الجماهير التي حيَّته فقط من مواطني الدار البيضاء أو من الزوار الذين جاؤوا من مدن أخرى تزداد بهم الجموع ضخامة، بل تدفقت جماهير كثيفة من البربر لاعداد لها جاءت ممتطية خيولها من جبال الأطلس لتحضر حفلة استقبال الملك، وهي ترتدي أقبيتها الفضفاضة المتدلية على السروج المزينة والمرقشة بالألوان الزرقاء والصفراء والقرمزية، بقامات رجالها المستوية، فبدأ المنظر ـ في مدينة المغرب الصناعية الحديثة ـ أشبه بالأسطورة، ومثل ذلك من المناظر الحماسية الوطنية والدينية[1] .

مغالطات وتهجُّم

أما الحكومة الفرنسية فقد أرسلت إلى الملك جواباً على مذكرته الثانية تعد فيه بتأليف لجنة لدراسة القضية، ولكن اللجنة لم تعين، والكلمة الوحيدة التي تلقاها جلالته جاءت من الصحافة الاستعمارية فقد وصفت تلك الصحافة المأجورة موقف الملك في باريس بأنه متسم «بجنون العظمة»

(١) أنظر روم لاندو في كتابه السابق ص٣٤١.

واتهمته بأنه ينوي الاستعاضة عن الحماية باستبداده الذي يشبه استبداد العصور الوسطى . .

هذا النوع من المغالطات والتمادي بالتهجم على الملك والحركة الوطنية كان مألوفاً من الصحافة الفرنسية ، كلما انتعشت «بدفعة جديدة» من ألوف الفرنكات التي توزع عليها في أمثال تلك المناسبات .

ولكن الملك محمد الخامس لم يترك الأمر على عواهنه ، إذ انبرى بعد بضعة أيام لتكذيب الصحف الفرنسية ، فرد التهم التي وجهتها إليه ، في خطبة العرش يوم ١٨ تشرين الثاني «نوفمبر» ١٩٥٠ فقال : «لم نغفل لحظة واحدة عن الحقيقة القائلة بأن خير نظام من العيش ينبغي أن يكون لسلطان وبلاد تحكم نفسها بنفسها هو النظام الديمقراطي ، وفقاً لما يعرفه العالم في هذه الآونة وأن نظاماً ديمقراطياً سليماً لا يمكن أن يتناقض مع تعاليم الاسلام» .

مؤامرة جوان للاطاحة بالملك

وتتابعت الأحداث بصورة لا تدعو إلى الشك بأن الجنرال جوان يعدّ مؤامرة كبرى للاطاحة بالملك . وفرض مشاريع ادماج المستوطنين بالمغاربة ، والقضاء على فكرة الاستقلال التام مهما كلفه الأمر .

واستهل جوان مؤامرته بطرد السيد محمد الغزاوي مقرر لجنة الأشغال العامة من مجلس الشورى ، نتيجة لنقاش عنيف دار بينه وبين مدير الأشغال العامة الفرنسي ، لأن الغزاوي كشف عن حقائق كثيرة اعتبرها جوان تمس بسمعة فرنسا «دولة الحماية» ، وما أن خرج السيد الغزاوي من الاجتماع حتى خرج معه ممثلو الغرف التجارية المغربية ، وكانوا جميعاً قد وصلوا إلى مجلس شورى الحكومة عن طريق فوزهم بانتخابات الغرف التجارية التي خاضوها على أساس التمسك بالمبادىء الوطنية ، ومناصرتهم لحزب

الاستقلال. وبهذا الاجراء الأحمق الذي ارتكبه جوان نسفت البقية الباقية من الفكرة الداعية إلى التعاون الفني مع أجهزة الحماية.

الأحزاب الوطنية المغربيـة توقع على ميثاق الوحدة بينها

وبعد ساعة استقبل السلطان السيد محمد الغزاوي وصحبه ممثلي الغرف التجارية في قصره علناً، واستمع منهم إلى ما جرى. . كما استقبلهم ولي العهد الأمير الحسن في قصره، وأثنى على شجاعتهم، وهنا لم يعد مجال للشك لدى الجنرال جوان بأن الملك مصمم على خوض معركة الاستقلال الأخيرة بأي ثمن. . فالحركة الوطنية في المغرب بلغت أوج النضوج، وعلاقات المغرب مع الدول العربية وجامعة الدول العربية، بلغت الذروة في قوتها ومتانتها وكذلك الأجهزة المغربية في الخارج وفي مقدمتها مكتب المغرب العربي في القاهرة، ومكتب حزب الاستقلال في باريس، يضاف إلى كل ذلك أن الأحزاب الوطنية في المغرب الكبير كانت قد وحدت عملها واشتركت في وضع ميثاق يوحد أهدافها ويلزمها بمواصلة الكفاح إلى أن يتم تحرير المغرب والجزائر وتونس وهذا هو المغرب الكبير، وقد وقع هذا الميثاق الحزب الدستوري التونسي القديم، والحزب الحر التونسي الجديد، وحزب الشعب الجزائري، وحزب الاستقلال ـ وحزب الشورى والاستقلال، وحزب الاصلاح الوطني، وحزب الوحدة المغربية.

سلطات الحماية تطبق قانون التمييز العنصري في المغرب

وقد وصف كاتب فرنسي في عدد لمجلة «تيموانياج كريتيان» الوضع العام في المغرب أن المستوطنين الفرنسيين الذين كانوا يدّعون أن المغرب وطنهم الثاني، قلّما اهتموا بتعلم اللغة العربية ـ لغة البلاد التي جنوا منها ثرواتهم «واستطردت الصحيفة تقول: لم يكن في واقع الأمر حاجة لتتكلم

العربية كي يحصل المرء على قوته، أو لتناول المقبلات «الخمور» أو لتبادل الحديث عن فضائل الفرنسيين بين الأصدقاء، فالتمييز العنصري كان موجوداً في أكثر من شكل».

وقد صرح «فالّلا» مدير فئات الاستعماريين لمراسلي الجريدة المذكورة أعلاه بقوله: «لا شك في أن اعدادا من الفرنسيين السيّئين التصرف قد هبطوا هذه البلاد، وقد امتلأت نفوسهم بعقدة التفوق العنصري، ومثل ذلك يمكن أن يقال بشكل عام عن كل جالية استعمارية في كل دور من أدوار التاريخ الاستعماري.

وأضافت الصحيفة تقول: «أن سوء التصرف يومياً يهدم الثقة في فرنسا، لقد عمت النقمة الجماهير المغربية، والقوم على مختلف أحوالهم يشكون كثيراً من هذا الذي يسمى «بالسلم الغالي الثمن» أما الدولة الشريفية والمغاربة مواطنوها فإن نظام الحماية يعتبرهم رعايا لا مواطنين، فسلطات السلطان تناقصت كثيراً نتيجة لتدخل الادارة الفرنسية المباشر، وسلطة الوزراء المغاربة مقيدة تقييداً ضيقاً بسبب اشراف الموظفين الفرنسيين، وعندما يتفحص المرء وجوه الحياة المغربية على تباينها، يحاول عبثاً أن يقع على دليل واحد يبيّن أن المغاربة يسهمون في إدارة الشؤون العامة. ومن المؤكد أن كل واحد منهم وطني في بلاده، وكل ما يمكن أن تؤدي إليه سياسة الضغط الفرنسية هو أن تدفع بالحركة الوطنية إلى تقوية الوحدة السياسية بين أبناء المغرب».

كيف حاولت فرنسا استغلال الاسلام لمصلحتها

ولما أشارت الصحيفة إلى الضحالة في تفهم السلطات الفرنسية، للاسلام قالت: «أنها تنظر إلى الاسلام كما لو كان حزباً سياسياً، فالشيء

الوحيد الذي يهمها منه هو أثره في القضايا السياسية، ولذلك فالاسلام يناهض بوسائل سياسية، وفرنسا تحاول أن تستغل الاسلام لمصلحتها، لكن الحفاظ على الوحدة الروحية للاسلام بعيدة جداً عن تفكيرها، ومن ثم فإن انتشار فكرة البروليتاريا في المغرب بين الجماهير واتخاذ الميكيافيليه سبيلاً في بعض أساليب الحكومة يسرع بإلقاء الاسلام في أحضان المادية».

ولنضرب مثلاً عن سياسة «فرق تسد» التي انتهجتها سلطات الحماية في مختلف الدوائر الحكومية ومنها دائرة شؤون الموازنة التي كتبنا عنها في الصفحات الماضية والتي كانت سبباً في اشعال فتيل البارود.

أحمد اليزيدي ينتقد سياسة فرنسا المالية

من المعروف أن المقرر المغربي الرئيسي لشؤون الموازنة هو السيد أحمد اليزيدي رئيس اتحاد الغرف التجارية المغربية، وكان ضابطاً سابقاً في الجيش الفرنسي ولكنه كان من الوطنيين الأوفياء.

وكان كلا القسمين المغربي والفرنسي في إدارة الموازنة يجتمعان برئاسة المقيم العام جوان، فلما جاء دور أحمد اليزيدي لتقديم تقريره قال: بأن السياسة المالية للحماية تخدم المصالح الفرنسية فقط. فطلب منه الجنرال جوان أن يمتنع حالا عن ابداء مثل هذه الآراء في المجلس.

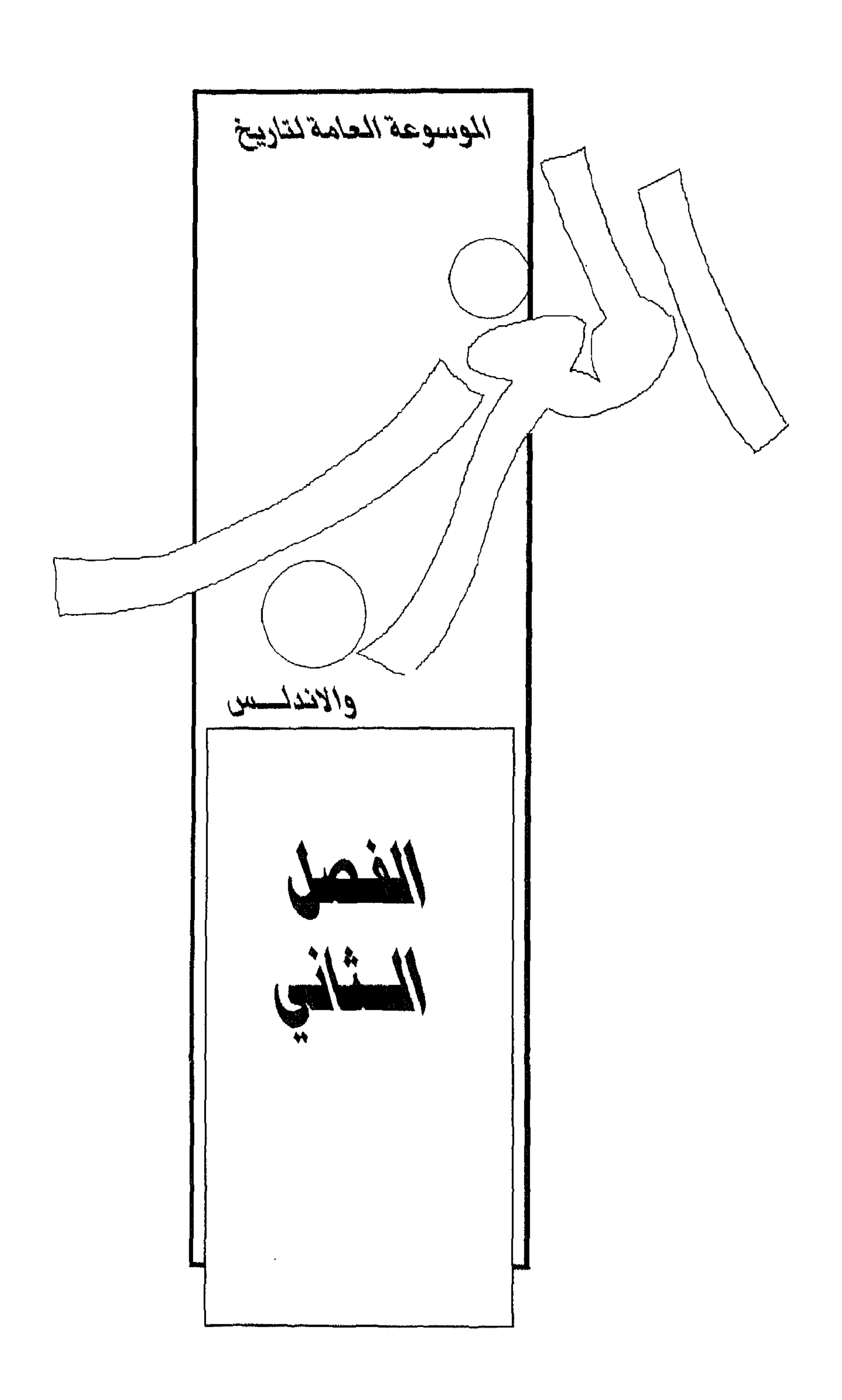
والمناقشة التي أعقبت ذلك دلت على اتساع الهوة بين المندوبين الذين ينتخبهم مواطنوهم وأولئك الذين تُعَيِّنُهم الإقامة العامة، ومنهم عبد الرحمن التازي وهو من المتعاونين المؤيدين لنظام الحماية الفرنسي.

وبعد أن انتهى السيد أحمد اليزيدي من تلاوة تقريره الذي انتقد فيه السياسة المالية التي تخدم المصالح الفرنسية فقط، قال عبد الرحمن التازي موجهاً الكلام إلى الجنرال جوان سيدي الجنرال أن تقرير سيدي أحمد

اليزيدي مبالغ فيه ونحن لا نوافق عليه قط. وقد أعانه نفر من المندوبين الذين عينتهم فرنسا فصرح شخص آخر مؤيد لنظام الحماية من المُعَيِّنين يدعى محمد بن الهاشمي، بأن اليزيدي يريد التصرف كما لو كان دكتاتوراً ونحن لا نوافقه، ولو أن مصيرنا يتوقف على السيد اليزيدي لكنا أصبحنا عبيداً. وختم مندوب ثالث من المُعَيَّنين أيضاً خطابه بقوله: «نحن لفرنسا وفرنسا لنا».

وهكذا كان الحال وكان الحوار والجدل يدور ـ في مجالس الادارات وفقاً لسياسة «فرق تسد»، فالكلمات المشتطة الخارجة عن نظام تقارير الموازنة والتي تفوه بها عبد الرحمن التازي ومحمد بن الهاشمي والشخص الثالث الذي أخفي أسمه، إنما وضعت في أفواههم والذي وضعها في أفواههم هو الجنرال جوان نفسه.

ثم أليس عجيباً أن يتلو موظفو الموازنة تقاريرهم باللغة الفرنسية في المغرب العربي المسلم؟ . . .



الفصل الثاني

تفاقم الأزمة بين الملك وجوان

بعد أن اتسعت الهوة بين القصر والاقامة العامة، قرر الجنرال جوان أن يعمل بشكل فعال وعلى نطاق واسع، فلجأ إلى أكبر متعاونين مطواعين لنظام الحماية ومؤيدين لتصرفات المقيمين منذ عهد بعيد. وهما التهامي الجلاوي - باشا مراكش والشيخ عبد الحي الكتاني شيخ الزاوية الكتانية. وقد وقع اختياره على الأول لما له من قوة طاغية وجبروت واسع النطاق في منطقة نفوذه في السوس، ووقع اختياره على الثاني لتسلطه على السذج والبسطاء باسم الدين الاسلامي، والدين من المنافقين وأعمالهم براء، وكان الشيخ الكتاني يزعم أنه من أهل الكرامات وأصحاب المعجزات.

أما الكرامات فكانت تزوّده بها وتساعده على اخراجها أجهزة الحماية فيعمد هو إلى صوغها واظهارها بمظهر الكرامات، وأما المعجزات فقد كانت تقوم بها الطائرات الفرنسية عندما كانت تحلق ليلاً وتلقي حجارة في صحاري المغرب، نقش عليها هذه العبارة «الشيخ عبد الحي الكتاني وليّ الله» حتى إذا عثر عليها الدعاة ملقاة على الأرض، حسبوا أن السماء هي التي أمطرتها بإذن الله، وأن عبد الحي الكتاني هو حقاً «ولي الله» وقد وصل

الحكم الفرنسي بهذه الأساليب وأمثالها إلى أحط دركات الانحطاط وأرذلها.

الجنرال جوان يتهجم على الملك

ولجأ الجنرال جوان في أول هجوم له على الملك إلى تهامي الجلاوي ـ باشا مراكش ـ سننشر المزيد من تاريخ حياته في الفصل القادم ـ وقد نظم الجنرال جوان الهجوم بدقة، وأعد الباشا اعداداً مسرحياً لكي يقوم بدوره كاملا..

ففي أكتوبر عام ١٩٥٠ كان قد رافق الملك محمد الخامس إلى باريس في تلك الزيارة التي لم تسفر عن شيء، والتي تواطأت فيها الحكومة الفرنسية مع الجنرال جوان لاعداد خطة خلع الملك بعد عودته من باريس، ومحادثاته مع الرئيس الفرنسي أوريول.

ولما عاد الملك إلى المغرب، بقي تهامي الجلاوي في باريس، وهناك شرعت الحكومة الفرنسية ـ بواسطة بعض أعضائها تستشير الجلاوي في قضايا المغرب الهامة وموقفه منها ثم استدعي إلى زيارة رئيس الجمهورية أوريول، الذي أشركته الحكومة الفرنسية بالمؤامرة حتى يكون عمل الجلاوي وخصومته للملك مؤيدة من أعلى سلطة في الجمهورية الفرنسية.

وقبل عودة الجلاوي من باريس نظم الجنرال جوان حفلة استقبال ضخمة على شرف الجلاوي لكي يبرزه أمام المغاربة على أنه لا يقل شأناً بنظر الحماية عن ملك البلاد.

ولما عاد إلى البلاد حقق له الجنرال جوان ذلك الاستقبال الكبير الذي حشد فيه عدداً كبيراً من عائلة الجلاوي وأنصاره ومحاسبيه وعبيده وخدمه، بالاضافة إلى أنصار عبد الحي الكتاني من الناس البسطاء في الزاوية

الكتانية. وذلك هو الفصل الأول من المؤامرة . .

بين الملك والجلاوي

أما الفصل الثاني وهو أيضاً من اعداد واخراج الجنرال جوان نفسه الذي جعل من يوم الاحتفال بالمولد النبوي في القصر الملكي ليكون مسرحاً لهذا الفصل وكان ذلك في ٢١ كانون الأول «ديسمبر» عام ١٩٥٠.

وكان جلالة الملك قد دعا غداة عيد المولد النبوي كبار رجال المغرب وأعيانه ومن بينهم الجلاوي بوصفه باشا مراكش، إلى حفلة استقبال أقامها في القصر الملكي، فاغتنم الجلاوي فرصة تقدمه من الملك للسلام عليه ـ حسب المؤامرة الموضوعة ـ وابتدره قائلاً: «ابتعد عن حزب الاستقلال ونشاطاته وانفض يدك منه» وقد ألقى ذلك بصيغة الأمر وكأنه يوجه أمراً إلى ملك البلاد، فهمس السلطان بإذنه أن يرجىء الحديث في السياسة إلى مناسبة أخرى ـ وليس في يوم الاحتفال بالمولد النبوي.

ومع أن الملك استعمل أسلوبه الكيس اللبق، ولكن الجلاوي نفر من أمام الملك، وصاح بأعلى صوته ليقول لجلالته: أنت لم تعد سلطاناً على المغرب بل أصبحت سلطان حزب الاستقلال الشيوعي والملحد، فطلب إليه الملك أن يغادر القصر وأن لا يعود إليه الا إذا استدعي. .

وقد كتبت مجلة «تيموا نياج كريتيان» الصادرة في ١٠ ابريل ١٩٥٣ ما يلي: عندما خرج الجلاوي من القصر توجه فوراً إلى مقر القيادة العامة وأطلع أركانها على ما جرى بينه وبين الملك، فاستدعت أجهزة الحماية قوّاد القبائل المناصرة للجلاوي والكتاني وطلبت اليهم أن يؤيدوا الجلاوي، وأرسلت الادارة الجلاوي إلى مناطق البلاد، فنظمت له استقبالات فخمة واحتفالات عجيبة غريبة، كما طلبت من قواد كل منطقة أن يؤكدوا للجلاوي

تأييدهم في خصومته للسلطات والأحزاب الوطنية.

الجنرال جوان يهاجم حزب الاستقلال

وفي الأسبوع الأخير من كانون الثاني ـ يناير ـ عام ١٩٥١ كان على الجنرال جوان أن يرافق رئيس الوزراء إلى واشنطن، فزار الملك في ٢٦ منه، وطلب منه أن يوقع جميع المراسيم المجمدة، ثم هاجم حزب الاستقلال هجوماً عنيفاً، ثم قال مخاطباً الملك «يتوجب على السلطان أما أن يستنكر عمل حزب الاستقلال أو أن يتنازل»(١) فأجاب جلالته قائلاً: «بأنه لا يستطيع أن يستنكر عمل حزب بمفرده، فإنه كملك يقف فوق جميع الأحزاب، فإذا كان حزب الاستقلال قد أجرم، فثمة محاكم قائمة للنظر في هذه الأمور، ولكن الجنرال صرف النظر عن اقتراح الملك منذراً إياه: «أما أن تتبرأ علانية من حزب الاستقلال أو تتنازل عن العرش، والا فسأقوم شخصياً بخلعكم، أنا مسافر إلى واشنطن، وأمامكم متسع من الوقت للتفكير فيما طلبته منكم وسنرى بعد عودتنا ماذا يجب عمله».

العواصم العربية تندد بالاستعمار الفرنسي

هذا الانذار العجيب الوقح الذي هز المغرب هزاً عنيفاً، وازعج ـ كما قيل ـ فرنسا حكومة ورئاسة سرعان ما تطايرت شراراته إلى جميع أنحاء الوطن العربي في المشرق والمغرب، فانهالت برقيات الاحتجاج من الملوك والرؤساء في الدول العربية، والجمعيات السياسية والأدبية والفكرية على وزارة الخارجية الفرنسية.. وارتفع صوت الاحتجاج عالياً من خلال المظاهرات التي سارت في شوارع العواصم العربية منددة بالاستعمار

---

(١) ترجمة حرفية للتقرير الذي استلمه روم لاندو مؤلف كتاب المغرب في القرن العشرين. راجع هذا المصدر ص ٣٤٨ و٥٩٢.

الفرنسي ونهجه الوقح على ملك المغرب العربي.

وزير خارجية فرنسا لا يعرف حقيقة الوضع في المغرب!..

في ٢٦ شباط ـ فبراير ١٩٥١ ـ سأل أعضاء لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الوطني في باريس وزير الخارجية روبير شومان، أن يوضح لهم تصرف الجنرال جوان، فتجنب شومان إعطاء إجابة مباشرة على السؤال بقوله: «أن المباحثات الفرنسية المغربية ستستمر مع الممثل الوحيد للمغرب الذي تعترف به فرنسا وهو السلطان محمد الخامس» مؤكداً الخدمات التي قدمها سيدي محمد «السلطان» لفرنسا وأضاف: «بأن الحملة ضده شخصية ويجب أن تُوقف».

أما الحقيقة الصارخة فإنها تقول أن معرفة شومان بدقائق الأزمة في المغرب وملابساتها كانت أقل بكثير من معرفة زملائه بها ـ أي الضالعين بالمؤامرة» والا هل كان جوان يجسر على مهاجمة الملك ومطالبته بالتنازل عن العرش.

ومن المعروف عن الوزير شومان أنه كان يخالف سياسة الاستعماريين ولا يوافق على وسائل الجنرال جوان، ولكن غالب أعضاء الوزارة لم تكن تشاطره الرأي.

أمريكا تضغط على الجنرال جوان لوقف حملاته ضد الملك

وما لبثت أن سرت إشاعة تقول أن شومان لقي تأييداً من واشنطن وأن وزارة الخارجية الأمريكية تدخلت إلى جانب الملك، ونصحت الجنرال جوان أن يوقف حملته ضد ملك المغرب، لأن الولايات المتحدة كانت قد بدأت قبل ذلك بمدة قصيرة بتنفذ برنامجها الواسع الرامي إلى إقامة قواعد جوية لها في المغرب، وكان من الواضح أن السلطات الأمريكية ما كانت

ترغب في أن يسود المغرب أي اضطراب قد يعرقل تنفيذ برنامجها المذكور. وكانت فرنسا ترغب في تحقيق البرنامج الأمريكي ولكن وجهات النظر كانت مختلفة. فالمغرب المظلوم الذي ما زال يصارع القوة الفرنسية الغاشمة، كان يحتاج إلى قوى أعظم لمناصرته على نيل استقلاله. والولايات المتحدة خرجت من الحرب العالمية الثانية أعظم قوة مما كانت عليه قبل نشوب تلك الحرب، فالسيادة المطلقة في عالم الغرب كانت ـ إذن للولايات المتحدة التي انتصرت على الألمان بجيوشها وأموالها وعتادها الحربي الضخم الذي لا تنفذ موارده، وقد خرج حلفاؤها الأوروبيون من الحرب غارقين في محيط من ديون الاعارة والتأجير، كبقايا جرذان أفلتت بشق النفس من وباء الطاعون. فالكلمة الأولى في أوروبا الاستعمارية كانت للولايات المتحدة، وفي تلك الحقبة بالذات كانت الولايات المتحدة تزعم بأنها نصيرة الدول الضعيفة ضد الدول الاستعمارية المفلسة. والرئيس ترومان القوي بقنابله الذرية وأسلحته الحديثة، والدولار ـ بدا، وكأنه الحاكم بأمره في عصره وزمانه. لقد كان شخصية مختلفة عن الرئيس ولسون الأمريكي الذي خدعه المستعمرون بعد الحرب العالمية الأولى وفي أعقاب مؤتمر فرساي.

إذن، لقد كان المغرب يلعب دوره في تلك الأجواء المشحونة بالطغيان الاستعماري الفرنسي، فإذا كان الملك محمد الخامس يريد أن يعطي قواعد للأمريكيين في بلاده فإن ذلك لم يكن لحساب أي مطمع بل لمساعدته على وقف يد الاستعمار الفرنسي التي كانت تبطش بشعبه وتحاول التخلص منه بأيّة وسيلة انتقامية، وبأي ذريعة من الذرائع التي يختلقها منفذو إرادة الاستعمار الفرنسي. أما الجنرال جوان الذي رافق الصدر الأعظم إلى واشنطن، لكي يشل إرادته ويمنعه حتى من مجرد التعبير عن أماني مليكه ووطنه، فقد كان يريد أن يمنح الولايات المتحدة تلك القواعد في المغرب،

شريطة أن تطلق أمريكا يد فرنسا حرة في سياسة القمع التي تنتهجها ضد المغاربة وملك المغرب بالذات.

الجنرال جوان يتراجع عن سياسته الظالمة ويوجه دعوة إلى الأمير الحسن

عندما عاد الجنرال جوان من الولايات المتحدة، أخذ يتودد للناس ويتظاهر بالتسامح وهو يخفي وراء ذلك الكثير من المؤامرات والدسائس ولما عاد إلى مكتبه في الرباط بتاريخ ١١ شباط «فبراير» وجه دعوة إلى الأمير الحسن ولي العهد لكي يزوره في الاقامة العامة وهناك راح يكذب على الأمير ويؤكد له «حسب رواية الأمير» بكل ما أوتي من قوة البلاغة المصطنعة وبكثير من اللطف الساحر بأنه لم يهدد أباه قط باسقاطه عن العرش، واستمع إليه الأمير بصبر حكيم وإرادة واعية، وبصمت بليغ، ولكنه عف عن مجابهته برواية والده الملك، ورواية الشهود الذين سمعوا جوان في ذلك اليوم الأسود، وهو يهدد والده، تمسكاً منه بالمستوى العالي لآداب السلوك المغربية الاسلامية التي يحرص على التمسك بها.

ولكن زوجة الجنرال جوان ـ وهي كما كتب م. اغناس ليب وكانت ابنة مستوطن فرنسي عاش في الجزائر، واغتنى فيها، وكانت طموحه فوق العادة وتشارك تعصب وسطها الفرنسي في الجزائر فيما يتعلق بأبناء البلاد ـ اهتمت كثيراً بأن لا تدع زوجها يسترد انسانيته التي فقدها منذ زمن طويل، لذلك كان جوان ـ بسببها ـ محاطاً بحاشية فرنسية سبق لها أن عاشت في الجزائر، وحاشية كورسيكية وثق بها وراح يقضي أوقات لهوه معها، وكان ضعف جوان الرئيس هو أنه لم يكن يتحمل وجود أو رؤية أية شخصية قوية بارزة في حاشيته».

بعد تلك المقابلة مع ولي العهد الأمير الحسن بفترة وجيزة عاد جوان

إلى جبروته وطغيانه بتأثير زوجته وحاشيته العنصرية، فاعتبر أن تدخل الولايات المتحدة فيه وقاحة، لم يكن مستعداً للتسامح فيها. . لذلك عاد وجدد مطالب ٢٦ كانون الثاني «يناير» وزاد عليها.

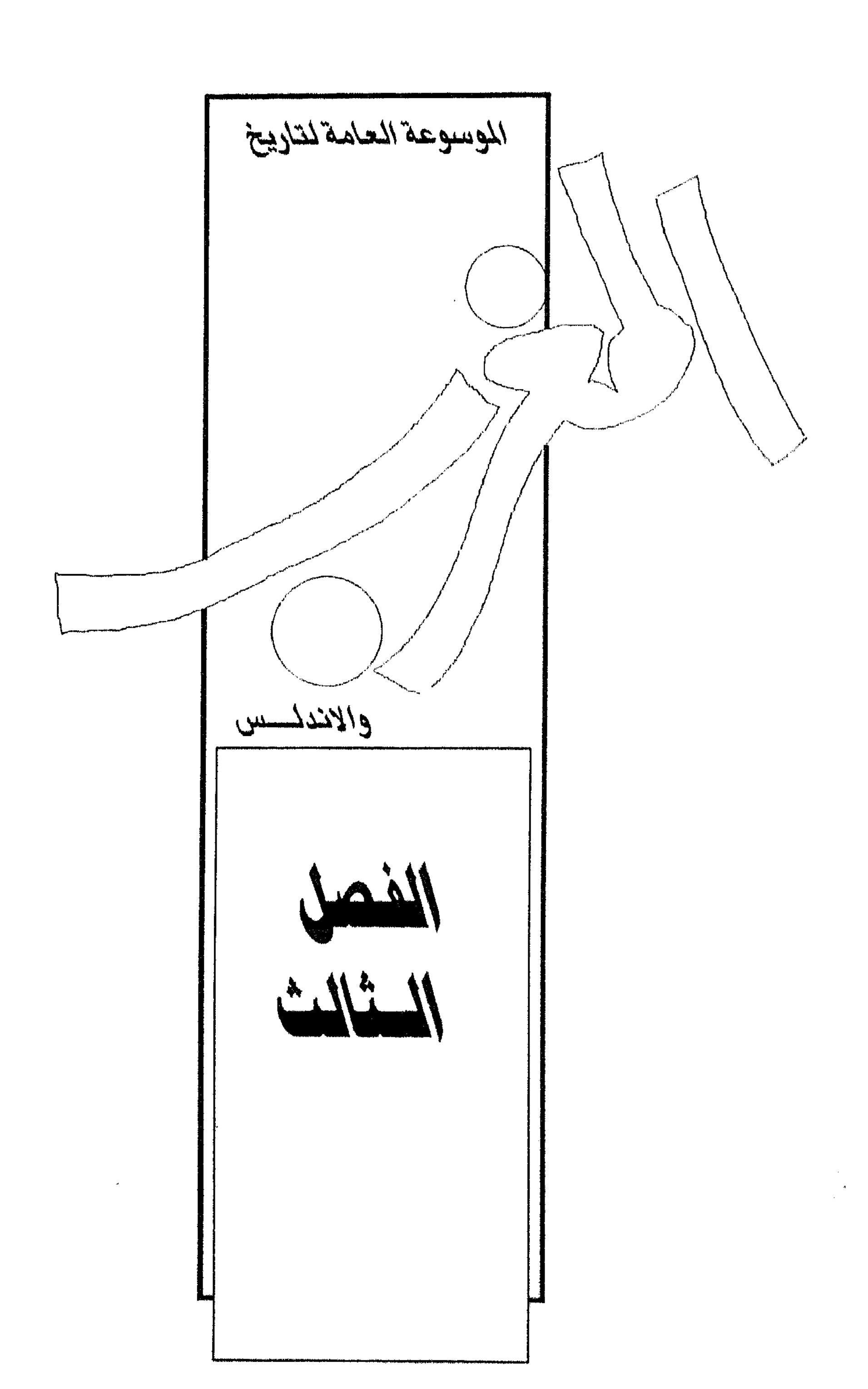
وكتب جوليان يقول: لقد طلب من ملك البلاد أن يصم حزب الاستقلال علانية بالتطرف، كما ألحّ عليه بأن يقصي من حاشيته كل أولئك الذين يعطفون على الحركة الوطنية، وأن يسمي عدداً كبيراً من الفرنسيين لمناصب القيادة والباشاوية، وأن يوقع العقوبة على جميع الذين عارضوا سياسة الجلاوي ـ باشا مراكش[1].

وهكذا نقض الفرنسيون في شمال أفريقيا والبريطانيون في مصر وفلسطين والأردن والعراق. كل ما قالوه ونشروه في دعايتهم عن «العالم الحر» الذي سيقام بعد الحرب العالمية الثانية. . ففي مصر فرضوا على «حكومة الوفد» معاهدة جديدة تكرس الحماية والوجود البريطاني في وادي النيل والهيمنة على قناة السويس، وفي العراق حاولوا فرض معاهدة «بورت ماوث» بالتواطؤ مع العائلة الهاشمية والباشاوات العراقيين من أنصارهم، وفي فلسطين انسحبوا منها في ١٥ أيار عام ١٩٤٨ وردوا «سلطة الانتداب» إلى هيئة الأمم المتحدة فأقرت التقسيم وأقيمت دولة العدو الصهيوني «وشرد مئات الألوف من الفلسطينيين في البلاد العربية المجاورة.

أما في المغرب فالأحداث ما زالت تتوالى. .

---

(١) أندريه جوليان في كتابه السابق أفريقيا الشمالية على طريق التقدم باريس ١٩٥٢.



الفصل الثالث

جوان ينفذ سياسة البطش والارهاب

في ٢٠ كانون الثاني يناير عام ١٩٥١، استدعى الجنرال جوان «المخزن» أي الحكومة المغربية. وعلى رأسها الصدر الأعظم الحاج محمد المقري الذي كان قد تجاوز المئة عام من عمره، فاستقبلهم على باب مكتبه، بعد أن أرغمهم على الانتظار ساعة ونصف الساعة حتى أتلف أعصابهم، ثم خاطبهم بكبرياء وغطرسة طالباً منهم أن يدينوا «حزب الاستقلال» ـ كما طلب ذلك في اليوم السابق من جلالة الملك أن يأمر الصدر الأعظم بأن يرمي حزب الاستقلال بتهمة الالحاد والكفر وأن يطردهم من حظيرة الاسلام ـ ولما احتج أحد الوزراء الواقفين منتقداً لهجة الجنرال غير اللائقة، قاطعه جوان قائلاً: «أن لم يدن حزب الاستقلال فإن قبائل البربر ـ التي كانت بانتظار كلمة الأمر ـ ستنقض على المدن، ثم أضاف: «وعندها ستأتون إليّ طالبين الحماية، فلا تمنوا أنفسكم بالحصول عليها، أيها السادة نحن مكلفون بحراسة السلطات وقد أوضحت هذا الأمر». .

وهكذا لجأ الجنرال جوان إلى لعبته المزدوجة، مهدداً بالبربر ولكن هل كان البربر حقيقة في جانبه، أنه الآن يلعب لعبة خطرة. . فالبربر الذين

يتحدث عنهم هم أولئك الخاضعون فقط للتهامي الجلاوي باشا مراكش وجماعة أخرى تابعة لعبد الحي الكتاني شيخ زاوية الكتانية وهؤلاء قلة لا يعتد بها.

ومع ذلك فإن الجنرال جوان كان يهدد بكل البربر.. ولسوف نرى ما سيسفر عنه هذا التهديد.

وفي هذه الأثناء أبرق الملك محمد الخامس إلى أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية طالبا منه أن يكون حكما بينه وبين الجنرال جوان، فكان موقفه كموقف المستجير من الرَّمضاء بالنار فالرئيس أوريول كان متأثراً بآراء مجموعة من الوزراء الفرنسيين من أمثال بلفن رئيس الوزارة الفرنسية وكوبي وهو أحد الوزراء، بدلاً من أن يستنير برأي شومان وزير الخارجية الفرنسية، لذلك أيّد أوريول الجنرال جوان ووقف إلى جانبه.

أما الملك فقد أبى أباء كريماً أن يكفّر ويدين بالالحاد حزب الاستقلال وهم حزب الله والوطن.

التهامي الجلاوي يحرض القبائل على الملك

بدأ الفصل الأخير من مأساة المغرب، بعرائض أعدها كل من الجنرال جوان وتهامي الجلاوي ـ فأما الجلاوي فقد راح موكبه يدور في القبائل لكي توقع على عرائض الحملة الموجهة ضد الملك محمد الخامس، فأرغم القبائل المناصرة له على توقيعها كبيرهم وصغيرهم، وتجدر الاشارة هنا كما يقول «روم لاندو» أن معظم الموقعين كانوا يجهلون محتويات تلك العرائض، لأن معظم أفرادها كانوا من الأميين، وقد رفض الكثيرون من أبناء القبائل أن يوقعوها.. ثم طلب من أنصاره أن يجمعوا فرسان القبائل معتمداً على ذرائع متباينة، فسار الفرسان في ركاب الجلاوي وهم يعتقدون بأنهم

ذاهبون لحماية السلطان محمد الخامس. وقيل للبعض الآخر أنهم ذاهبون إلى فاس أو إلى الرباط لأنهم يجب أن يطعّموا ضد مرض السل وبعض الأوبئة الفتاكة.. وقيل لآخرين أنهم ذاهبونَ للاشتراك باحتفال كبير، ووعد بعض القبائل بأنه سيقدم لهم هدايا من السكر. هذه «التعبئة العامة» التي هيأتها الادارة بالاتفاق من تهامي الجلاوي، وصفها الجنرال جوان «بأنها حركة تلقائية قامت بها جميع المناطق المغربية للتعبير عن وجهة نظرها»، وهكذا أطلق الجنرال جوان كذبته هذه وهو المعروف بالكذب والتدليس وتزوير الحقائق كما زور حلفاؤه الانكليز حقيقة فلسطين من قبل وأعطوها وطناً قومياً لليهود.

جوان يحاصر القصر الملكي بالدبابات والمدافع

أما المناظر التي أعدها «جوان» للفصل الأخير من المؤامرة فقد خص منها القصر الملكي، وقصر ولي العهد الأمير الحسن في «سويسي» بمنظر شائك إذ أحيط القصران بالقوى المسلحة والدبابات والمدافع لحماية سكان الرباط من ثورة البربر كما زعموا. وفي هذه الأثناء ورد جواب أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية، الذي أشرنا إليه آنفاً مؤيداً الجنرال جوان.. فأسقط في يد الملك، وقد روعي أن يأتي الجواب في الوقت المناسب على شكل المفاجئات في المسرحيات الكبرى، أي عندما كان قصر الملك وولي عهده محاطين بالسنغال القتلة. وجنرالات فرنسا حاملي اعلام القتل وسفك الدماء في المغرب وبعض جماعات من البربر المخدوعين.

وقبل أن يزحف الجنرال جوان على القصر بموكبه الرهيب حل هيئة المستشارين المحيطة بالملك وُعزل محمد الفاسي شيخ جامع القرويين في فاس، وواحد زمانه علماً وتقىً وكان هذان الاثنان من كبار مناصري الملك وحزب الاستقلال.

ثم أرسل إلى الملك محمد الخامس في مساء ٢٥ فبراير ـ شباط ـ وثيقة يخيّره فيها بين القبول بمطالبه «مطالب جوان» أو فقدان العرش[١] وأضاف إلى ذلك قوله وعلى الملك أن «يعترف بكرم العمل الذي قامت به الجمهورية الفرنسية، وكان على رئيس الوزراء المغربي «الصدر الأعظم» أن يوقع على إدانة حزب الاستقلال، وجاء في آخر الرسالة، «فإذا اتخذ سيدي محمد «أي الملك» قراراً نهائياً وايجابياً، أرسلت إليه الوثائق لتوقيعها».

ودعى الملك وزراءه إلى الاجتماع وهو يعلم بأن القوات المسلحة تحاصر القصر، وأن رجال القبائل يرابطون خارج اسوار المدينة، وكان الملك يظن وكذلك أركان حكومته، أن رجال القبائل حشدوا ضده، ولإراقة الدماء في الرباط وفاس.. ولم يكن يعلم بأن أكثريتهم كانت وما تزال موالية للعرش العلوي.

ومما زاد الطين بلة أن القوات الفرنسية والسنغالية جردت رجال الحرس الملكي من أسلحتهم.

وراح الملك يتداول مع حكومته في الاجراءات التي ينبغي أن تتخذ.. أما القبول بمطالب السفاح جوان أو رفضها، وفي حالة الرفض فإن مدينتي الرباط وفاس ستتعرضان للاستباحة وسفك الدماء.. وأسقط في يد الجميع.. ولكن الملك سرعان ما أنقذته بداهته عندما تذكر موقفاً مماثلاً من قبل قرر فيه التراجع خطوة إلى الوراء مقابل خطوتين إلى الأمام، ففضل العمل بالفكرة التي استوحاها من ذلك العمل المماثل السابق، استعداداً لجولات الأخرى يشنها على جوان.. في المستقبل القريب أو البعيد لذلك آثر جلالته التسليم بالأمر. ولما وصل المستشار الفرنسي للشؤون الشريفية

---

(١) الفقيه محمد المعمري وزير القصور الملكية هو الذي حمل رسالة الانذار.

السيد «غيزلان كلوزل» إلى القصر الملكي تحيط به جماعة من ضباطه وفي أيديهم سيوفهم المسلولة[1] سلمه السلطان وهو مرفوع الرأس رابط الجأش الوثيقة موقعة وهو يقول: «لقد وقعتها حقناً للدماء، وأنتم تعرفون كما أعرف بأنه لا قيمة قانونية لها لأن التوقيع تم بالاكراه».

وما أن تسلم الجنرال جوان الوثيقة الموقعة من الملك وهي الوثيقة التي اعتبرها «وثيقة استسلام السلطان» حتى انسحبت القبائل من الرباط.. لئلا يفتضح الأمر، وتنعكس المؤامرة على الذين وضعوا فصولها.

جلالة الملك يفضح فرنسا

ولكن جلالة الملك لم يسمح للفرحة أن تعمر طويلاً في نفس الجنرال جوان وذلك عندما سلم بعد ستة أسابيع، إلى الأستاذ محمود عزمي موفد جريدة «الأهرام» جواباً خطياً عن سؤال استطاع أن يرسله إليه سراً هذا نصه حرفياً: «لقد وقعت بروتوكول الخامس والعشرين من شباط - فبراير - سنة ١٩٥١ نتيجة للتهديدات التي قام بها بعض موظفي الاقامة العامة أثناء المفاوضات بين القصر والسلطة الفرنسية، ونتيجة لتحركات بعض القبائل من مختلف أنحاء البلاد، الذين كانوا يجهلون الحقيقة من تحركهم، لقد تمركزوا على أبواب مدن فاس والرباط وسلا. فشعرت بأني مكره على توقيعه تجنباً للعواقب الوخيمة التي قد تجرها هاتان الحالتان».

وما كادت جريدة «الأهرام» تنشر «تصريح الملك» حتى غدت سمعة فرنسا أضحوكة في المحافل والمجتمعات الدولية. فسارع مراسلو الصحف الأوروبية والأمريكية إلى تقصي الحقائق من شهود العيان، فيما راحت الصحف الأوروبية والأمريكية تنشر نتيجة لتقصيها الحقائق بعناوين بارزة،

---

(١) روم لاندو في كتابه: The sultan of Morocco P.P. 97

عندئذٍ تحركت الجامعة العربية فعقدت لجنتها السياسية اجتماعاً في شهر آذار ـ مارس ـ سنة ١٩٥١ قررت فيه اتخاذ كل التدابير الضرورية لتأييد المغرب.

وأرسلت الحكومات العربية كل منها مذكرة إلى الحكومة الفرنسية تطالب بحل قضية المغرب بما يكفل لشعبه ما يتوق إليه من تحقيق أمانيه القومية، ومع أن الحكومة الفرنسية تجاهلت تلك المذكرات، الا أن جامعة الدول العربية طلبت من الحكومة الأمريكية أن تقوم بدور الوساطة بينها وبين فرنسا فاعتذرت حكومة الولايات المتحدة.

الجامعة العربية تشهّر بسياسة فرنسا في المغرب

عندئذٍ لجأت جامعة الدول العربية إلى أسلوب التشهير بالحكومة الفرنسية، وما يرتكبه موظفوها في المغرب من فظائع وجرائم لا إنسانية لذلك رفعت القضية إلى لجنة حقوق الانسان في الأمم المتحدة، ولكن أغلبية أصوات الجمعية العمومية للأمم المتحدة أيدت اقتراحاً كندياً استعمارياً يقول بتأجيل تسجيل الشكوى العربية إلى وقت آخر . . ومن المعروف أن كندا تحتل خانة محدودة في نظام الكومونولث الاستعماري البريطاني، ولكن جامعة الدول العربية ما لبثت أن عرضت القضية مرة أخرى على الجمعية العامة للأمم المتحدة في أكتوبر عام ١٩٥٢، فقررت قبول الشكوى العربية ضد فرنسا كما أوصت باستئناف المفاوضات بين المغرب وفرنسا، لتنمية المنظمات السياسية الحرة للشعب المغربي . .

وكانت تلك واحدة من خطوتي الملك إلى الأمام، ثم أن الجنرال جوان نفسه ما لبث «بتصريح له» ضمّنه رسالة نشرتها له جريدة لوموند بتاريخ ٩ حزيران ـ يونيو ـ سنة ١٩٥٣ جاء فيه «قد يبدو في الظاهر أن أحداث شباط سنة ١٩٥١ وضعت حداً لحالة أصبحت لا تطاق ولكن الأزمة على ما اتضح

فيما بعد، لم تحل شيئاً بل أنها ساعدت على توسيع الهوة بين المغرب وفرنسا.

وهكذا نجح السلطان في خطوته الأولى إلى الأمام، وتقهقر جوان إلى الصف الأخير وراحت التحركات الديبلوماسية تتسارع في غير صالحه حتى أدت أخيراً إلى عزله نهائياً من وظيفته كمقيم عام للمغرب فاستراح المغاربة بعض الشيء من شروره ومفاسده.

لقد زيف إرادة القبائل وخدعها واستعمل السلاح ضد الملك لارهابه وارغامه على توقيع الوثيقة، وحاصر مدن فاس والرباط وسلا ولا ذنب لها في الأحداث الجارية، وجرد حرس السلطان من أسلحته، وأرسل ضباطه إلى الملك وهم شاهرو السيوف ـ وكل ذلك اعتبر تصرفاً وحشياً لا سابقة له في تاريخ الحماية في المغرب[1].

وفي فقرة من كتاب تاريخ المغرب الحديث لروم لاندو وصف ممتع للعواقب والمغبات جاء فيه: «حتى المنتصر ظاهراً في هذه الحالة لم يكن يستحق تهنئة نفسه على النجاح. فالموظفون الذين كانت لهم ميول وطنية كانوا قد أقصوا جميعهم تقريباً عن مناصبهم وكثيرون من زعماء حزب الاستقلال من أمثال ـ محمد اليزيدي، وعمر عبد الجليل، وعبد الكريم بن جلون، والمهدي بن بركة قد قبض عليهم لذلك جردت الحركة الوطنية من أبطالها ورموزها أما موقف البربر من سيدي محمد «جلالة الملك» فأنهم كانوا يحترمونه بوصفه «إماماً» وبعد عودة رجال القبائل من فاس والرباط أدرك الكثيرون منهم أنهم خدعوا وأن «إمامهم» كان مهدداً، وكاد ذلك يتم في غفلة منهم، ولم يلبث الدين أن دخل السياسة، وأخذت شعبية الملك

---

(١) جوليان: المصدر السابق ص ٣٨١ وقد استشهد به روم لاندو.

محمد الخامس تعم البربر، وتجذب جماعات كانت من قبل بعيدة عن تلك الشعبية، وقد كان احتجاجهم على الطريقة التي عوملوا بها غريباً في شكله، وقد وصفته جريدة لوموند في عددها الصادر بتاريخ ٣ نيسان ١٩٥١ بقولها: أننا نراقب وجهاً جديداً للأزمة المغربية وطوراً جديداً منها، فمنذ أواسط الأسبوع الماضي، نجد جماعات من الأهلين يتجمعون بهدوء على أطراف مناطق البربر إلى الجنوب من «مكناس» أنهم يقضون ساعات طويلة خارج المكاتب الادارية الفرنسية دون ضجة أو أي نوع من الازعاج، فإذا سئلوا عما يريدون أجابوا أنهم يطلبون عزل الباشا «تهامي الجلاوي» والقواد لأنهم سمحوا لأنفسهم بمقاومة السلطان مؤخراً. وكان هذا يتم بهدوء وأدب يحيران السلطات فلا تدري كيف تتصرف إزاء هذه الظاهرة المحيرة»[١].

وحتى لا يتمتع الجنرال جوان وخليفته «بمظهر نجاحه المكسوف» توحد حزب الاستقلال مع الأحزاب السياسية الأخرى التي كانت تنافسه من قبل وفي ١٠ نيسان ظهرت هذه الأحزاب في جبهة متحدة، فشكل هذا الاتحاد مرحلة هامة في تطور البلاد السياسي، وهكذا وافقت الجبهة المتحدة على برنامج حزب الاستقلال وتعهدوا جميعاً «بالنضال في سبيل استقلال المغرب» وعدم الانضمام إلى الاتحاد الفرنسي، ورفض أي مفاوضات مع فرنسا ما لم تحصل البلاد على استقلالها التام، والتعاون مع جامعة الدول العربية وقد تم الاتفاق على هذا الميثاق في طنجة بحضور صالح بو رياقيق وهو المندوب الذي بعثت به جامعة الدول العربية خصيصاً لهذا الغرض.

(١) روم لاندو في كتابه تاريخ المغرب الحديث ص ٣٥٤.

الجنود السنغال يدنسون المقدسات في فاس

ومنذ جريمة جوان النكراء بحق جلالة الملك تغيرت سياسة الدول العربية تجاه فرنسا، فصارت تعقد الندوات في القاهرة ودمشق وبيروت للاشادة بكفاح المغرب «ضد الاستعمار الفرنسي واذنابه» كما أخذت الأحزاب الوطنية في هذه العواصم وغيرها تنظم المسيرات والمظاهرات ضد فرنسا، وفي أثناء تلك المظاهرات كانت العواطف تتقد بسبب ما كان يصل إليها من أخبار مؤلمة، ومن اعتداءات على جلالة الملك محمد الخامس ومن تهجمات على الدين الاسلامي، خصوصاً عندما كان الجنود السنغال يقتحمون المساجد في فاس وينهالون ضرباً على المصلين وكان السنغال في إحدى هجماتهم قد هاجموا مسجد وجامعة القرويين ومزّقوا الكتب والمجلدات والقرآن الكريم وداسوها بأقدامهم واقترفوا من الذنوب والخطايا ضد النساء والأطفال ما لا حصر له ولا يمكن مقابلته بالصفح والغفران ـ ولا حتى بالنسيان ولسوف تدفع قوات الاستعمار الفرنسي وعملاؤها في المغرب وعما قريب ثمن تلك الاعتداءات والذنوب والخطايا.

السلطات الفرنسية تسحب الجنرال جوان من المغرب

أيّد الرأي العام الفرنسي الجنرال جوان أول الأمر لأن نشر قصة ما حدث في عهد جوان اقتصر على عدد ضئيل من المجلات السياسية التي تنتشر بين أهل الفكر فقط مثل «مجلة لوموند» وغيرها، ولكن بعد مرور سنة فقط عليها تنبّهت فرنسا إلى الأحداث المزعجة في المغرب، ورأت فيها انذاراً بالخطر، وقبل أن ترسل هيئات دينية وثقافية وسياسية مختلفة لتقصي الحقائق فإن تلك الحقائق لم تصل إلى المجتمع الفرنسي الا بعد «حمام الدم» الذي حدث في الدار البيضاء في كانون الأول عام ١٩٥٢.

ومع ذلك فقد قررت الحكومة الفرنسية في ٢٨ أغسطس ـ آب ـ سنة ١٩٥١ أن تسحب الجنرال جوان من المغرب وأن تعين بديلاً له مقيماً عاماً جديد هو الجنرال غيوم بناء على توصية من جوان الذي عين قائداً عاماً لحلف شمال الأطلس.

من هو الجنرال جوان؟

أن عزل الجنرال جوان بعد مسلسل الاعتداءات والفضائح يستحق أكثر من وقفة لاشباع نهم من يود معرفة الحقيقة، ولسد الثغرات في التاريخ العام، لأن الذين يضربون الأمثال عادة يقولون دائماً أن الحقيقة ضالة المؤمن، ولكن سها عن بالهم أن يقولوا أن الحقيقة هي بنت البحث وأن أباها هو التاريخ. والبحث هنا يقول أن الجنرال جوان عين قائداً عاماً لحلف شمال الأطلسي! والبحث والتاريخ يتساءلان لماذا عيّن هذا الانسان في هذا المنصب الخطير وهو رجل اثبتت الأحداث أنه دون المستوى المطلوب حتى للوظيفة التي كان يشغلها ودون مستوى رتبته التي أعطيت له؟ . . .

ثم أنه بعد أن نحي عن منصب القائد العام لحلف شمال الأطلسي منح عصا المارشالية وهنا يعود السؤال الآنف الذكر إلى البروز مرة أخرى ليقول: ولماذا؟

الجواب: لأن من قاموا بالمساومات في باريس طلبوا منه أن يغلق فمه فلا يصرح بشيء عن الأشخاص الذين كانوا يحرضونه على الاساءة لجلالة الملك محمد الخامس والتي لا يصرح في الصحف للرأي العام بأن الرئيس الفرنسي أوريول، ورئيس وزرائه بلفن، ونواب اليمين المتطرف في مجلس النواب هم الذين حرضوه على اضطهاد الملك وتهديده وحمله على توقيع تلك الوثيقة المشؤومة ولأن هؤلاء جميعاً وجدوا فيه من الصفات ما يؤهله

للقيام بهذا الدور الشائن فقد عيّن قائداً عاماً لحلف شمال الأطلسي، ثم منح بعد ذلك عصا المارشالية لضمان سكوته وتغطية هزيمته. ومن هنا نفهم بأن جوان كان موظفاً يتلقى الأوامر الصادرة إليه من رؤسائه وينفذها بحذافيرها كما هي.

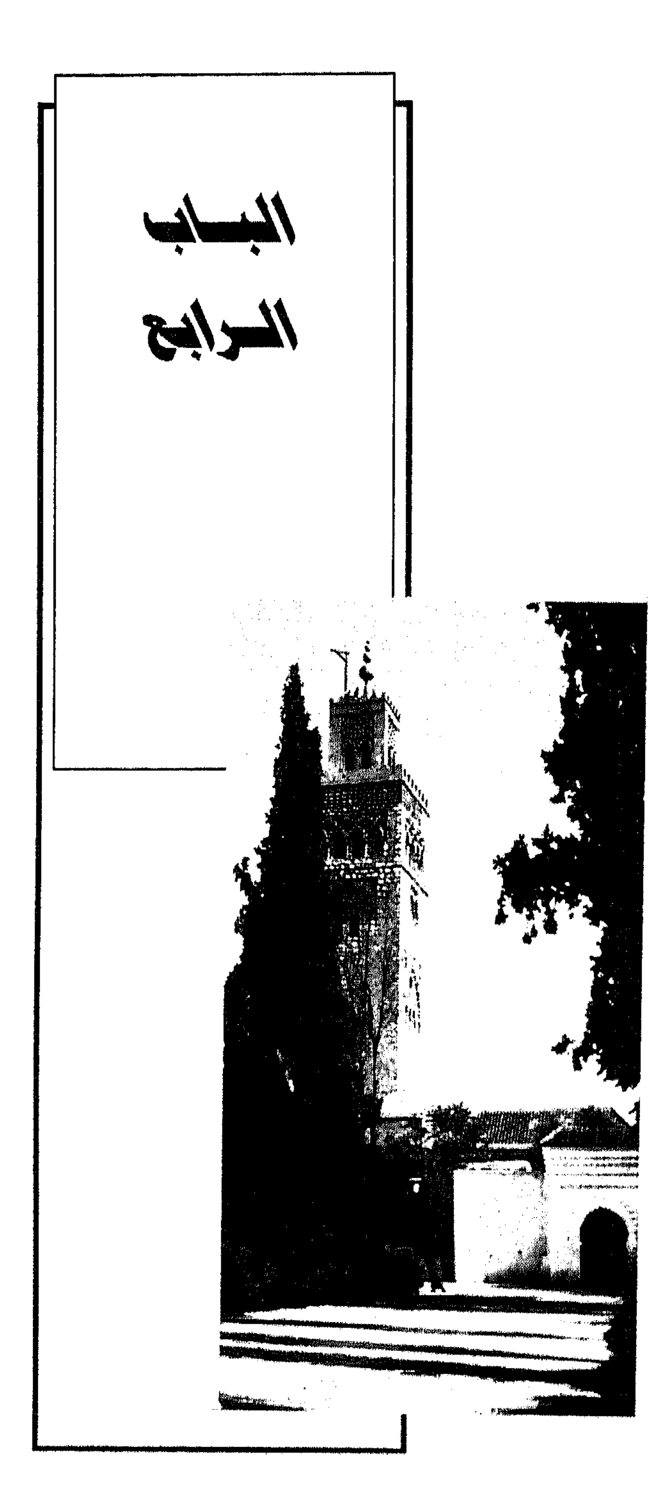
والحقيقة هنا هي أن المنهزمين الحقيقيين في هذه المؤامرة هم: الرئيس أوريول ورئيس وزرائه بلفن وبقية المشار إليهم أعلاه.

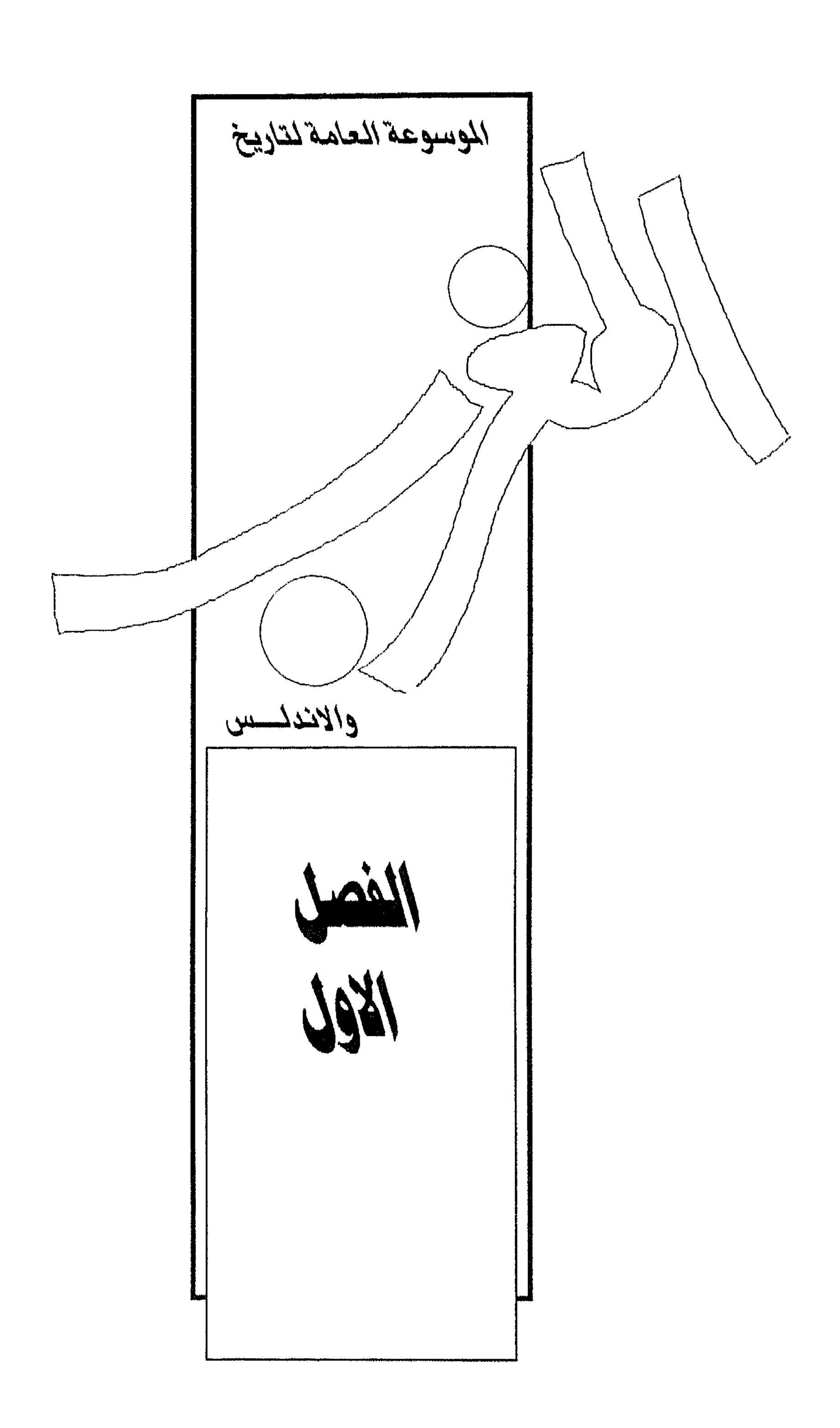
وكنا قد ذكرنا أن التهامي الجلاوي قد استقبله الرئيس أوريول وأركان الحكومة الفرنسية بعد مغادرة الملك محمد الخامس باريس. والمؤامرة بدأت فعلاً عند اجتماع الجلاوي بالرئيس الفرنسي أوريول.

أما حلف شمال الأطلسي وهو الحلف الاستعماري الجديد الذي تتبناه وترعاه وتسلحه الولايات المتحدة الأمريكية، فما هو الا الوجه المقنع الجديد للولايات المتحدة التي حلت محل الدول الاستعمارية القديمة في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.. وبذلك أصبحت واشنطن عاصمة للاستعمار الجديد. «والشيىءالبارز في هذه الحركة الجديدة هو أن الملك ربح الخطوة الثانية بطرد الجنرال جوان من المغرب».

وقبل أن يغادر جوان مدينة الرباط كلف الجنرال بواييه ـ دولاكور مساعده الأيمن ـ بوضع تقرير ضاف عن السياسة التي يجب أن يتبعها للقضاء على الحركات الوطنية في المغرب، وبنفس وسائل القمع.. مع فرض العزلة على السلطان محمد الخامس بقصره، وتقوية حركة تهامي الجلاوي المنادي بخلع الملك محمد الخامس عن عرش آبائه وجدوده وتنصيب سلطان جديد مكانه.

الباب
الرابع




الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الاول

عهد الجنرال غيوم

وصل الجنرال غيوم المقيم العام الجديد إلى مدينة الرباط في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ سنة ١٩٥١ .

وكان هذا الجنرال من جنرالات المارشال بيتان «الأربعين» الذين حارب الأمير عبد الكريم الخطابي بهم وقد كان من المنهزمين في أوائل المعارك .

وقد عاش منذ ذلك التاريخ في فرنسا جريحاً موتوراً حاقداً على المغاربة ، فجاء وهو يبيّت في نفسه شراً لهم بعد أن أصبحوا عزل ، محكومين بمعاهدة الحماية المسنودة بالأسلحة الفرنسية من طائرات حربية ودبابات ، ومدافع ميدان ، وجنرالات مشبعين بروح الاستعمار وعقليته ومن جالية فرنسية حاقدة تصفق لكل جنرال فرنسي يربح معركة ضد الملك المكافح .

وكان غيوم يعرف اللغة العربية وشيئاً من البربرية ، وعند وصوله طلب من هيئة قيادته ومكتبه أن يتعلموا العربية ، وأعلن أنه سيوثق صلاته وارتباطاته بالصحفيين القادمين من الخارج وأنه يحب الكلام المباشر ، كما أنه يرحب بأي أجنبي يريد أن يدرس الوضع في داخل البلاد ويعاينه عن

كثب.

تُرى هل التزم غيوم بكل هذه التعهدات أم أنها كانت مجرد «غيوم» كإسمه تحجب الحقيقة «لاخفاء مقاصده وأهدافه؟

بعد حوالي أسبوعين من تسلمه منصبه عمد هذا الجنرال إلى طرد مراسل صحيفة استرالية من المغرب لأنه لم يعجب بما كتبه عن «نظام الحماية» وأمر بالقاء القبض على صحفي فرنسي لأنه اتصل بالمغاربة لتقصي بعض المعلومات منهم، ورفض اعطاء سمة دخول لصحفي بريطاني آخر لاقترافه «الذنب نفسه».

وكان أول خطاب ألقاه «بعد أن شرب حليب السباع» مفعماً بالتهديد والوعيد وقد وجّهه إلى الوطنيين المغاربة محذراً إياهم من انتقاد سياسته فقال: «ستمرغ أنوف هؤلاء المتعصبين بالتراب، وأنه يجب أن ينتظروا حتى يداسوا بالأقدام».

وما أن وقعت هذه الخطب الرنانة تحت أبصار «سادة الاستعمار» في باريس حتى ذعروا. فاتصلوا به في الحال وطلبوا منه أن يخفف من غلوائه وفجأة كما يقول «روم لاندو» اختفت بلاغة المقيم العام ثم عادت إلى الظهور فيما بعد[1]. ولكن الجنرال جوان كان بالمرصاد، خصوصاً بعد أن قلد عصا المارشالية جزاء له على الأحداث التي مرغت سمعة فرنسا بالوحول.

فقد كتب كلود بورديه في صيف عام ١٩٥٣ ما يلي: بالرغم من أن المارشال جوان لم يعد «مقيماً عاماً في المغرب» فإنه ما يزال مهتماً بكل شيء يتعلق بالمغرب، فهو على اتصال دائم مع المستوطنين الكبار «أصدقاء

---

(١) روم لاندو في كتابه السابق: أنظر ص ٢٥٩.

زوجته» خصوصاً «بونيفاس» محافظ الدار البيضاء و«برونل» محافظ منطقة وجدة، والجنرال «دوتفيل» حاكم مراكش، وكان على الجنرال غيوم الضعيف المقيم العام نظرياً أن يحكم وسط هذه العصابة[1].

وقد تأكدت النظرية التي تقول بأن تأثير المارشال جوان على الشؤون المغربية حتى في زمن رئاسة منديس فرانس للحكومة الفرنسية.

فقد كتبت جريدة لوموند بتاريخ ٢٨ تشرين الأول «أكتوبر» سنة ١٩٥٤ تقول: «حتى عند مناقشة رئيس الوزراء سياسة جديدة من أجل المغرب مع فرانسوا لاكوست الذي عيّن مقيماً عاماً فيما بعد، كان المارشال جوان حاضراً».

كذلك عندما قام الجنرال غيوم بجولة في مدن المغرب وصحاريه فإنه لم يكف عن إطلاق «مارشات» التهديد والوعيد.

وقد كتب بول بوتين في كتابه مسرحية مراكش الدراماتيكية قائلاً: «كانت تحيط بالجنرال غيوم بطانة سوء وكانت تقدم إليه نصائح خاطئة»[2].

مجزرة الدار البيضاء الثانية

وفي إحدى خطب غيوم قال: «العراك حرفتي».. وسأطعم الوطنيين التبن».

ولكن الأحزاب الوطنية لم تعد تحتمل المزيد من تلك الاهانات فوجهت إليه أول صفعاتها الرنانة بنفس أسلوبه اللاديبلوماسي ـ وذلك عندما أراد أن يزوّر إرادة الشعب المغربي بتعديل نظم انتخاب الغرف التجارية

---

(١) Lest tems modernes. July 1953. 134.

(٢) أنظر Paul Buttin, le drame du Maroc P. 210.

والصناعية المغربية فرفع عدد من يحق لهم الانتخاب من ثمانية آلاف تاجر وصانع إلى اثنين وعشرين ألفاً نصفهم من تجار وصنّاع البداوي، حيث يلعب الضغط الفرنسي هناك دوره كاملاً لتزييف إرادة الناخبين، فرد حزب الاستقلال بدعوة الناخبين لمقاطعة الانتخابات، فاصطنعت سلطات الحماية صداماً دموياً عنيفا مع الجماهير الشعبية في الدار البيضاء أسفر عن سقوط عشرات القتلى والجرحى واعتقال المئات من الوطنيين، ولما حل موعد الانتخابات ارتفع معدل المقاطعة إلى ٩٥ في المئة في مدن: الدار البيضاء وآسفي وأغادير والقنيطرة وسلا وسيدي قاسم والخميسات وفي ذلك الوقت بالذات كانت الجمعية العمومية للأمم المتحدة تدرس قضية المغرب.



احدى الساحات العامة ـ الدار البيضاء

الملك يلقي خطاب العرش

وفي ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٥١، ألقى الملك خطاب العرش آملاً أن تؤدي المفاوضات الجديدة مع الحكومة الفرنسية إلى حل يضمن للمغرب سيادته التامة، ويقيم علاقات مع فرنسا على أسس جديدة، وراح في هذا الخطاب ـ الذي يسجل الذكرى الرابعة والعشرين لجلوسه على عرش آبائه وأجداده ـ يحث شعبه على فضيلة الثبات على المبدأ ودعا إلى المثابرة والصبر وذكّر شعبه بأن الدعوة الاسلامية لم تنتصر الا نتيجة لصبر النبي محمد«ص» على الأذى وثباته على المبدأ الحق وأعاد عليهم جواب النبيّ«ص» لعمّه أبي طالب حين عرض اخصامه عليه المال والجاه لقاء تخليه عن الدعوة فأجابه عليه السلام: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته».

وكانت دعوة جلالته صريحة واضحة فهو يدعو الشعب إلى الثبات على الكفاح حتى ينال استقلاله مهما تكبد في سبيل ذلك من التضحيات والأذى والظلم.

وقال جلالته أنه يفضل الحكم الديمقراطي الذي يتطابق مع الدين الاسلامي الحنيف يضمن للأفراد والجماعات حياة ملؤها الطمأنينة والاستقرار، ثم أطلع شعبه على نبأ نجاح الأمير الحسن في امتحان ليسانس الحقوق في فرنسا واحرازه شهادتها وأضاف: أن ولي العهد سيتابع دراسات التخصص بالقانون ليقتدي به الشباب ولتتوفر للمغرب الاختصاصات العليا ما دام يعد نفسه للاستقلال والسيادة.

وكان جلالته يأمل من وراء هذا الخطاب أن توافق فرنسا على تعيين اللجنة المشتركة التي وعد بها أثناء زيارته الأخيرة لفرنسا أو البدء بمفاوضات

جديدة لتغيير نظام الحماية بالاستقلال التام، ولكن الحكومة الفرنسية لزمت الصمت ولم ترد بلا أو نعم . . على خطابه.

مقترحات الملك في رسالة إلى الرئيس الفرنسي

في ٢٠ آذار سنة ١٩٥٢ طلب الملك محمد الخامس من المقيم العام أن ينقل رسالة جديدة إلى الرئيس الفرنسي وردت فيها المقترحات التالية: بحث وضع الحماية، والغاء حالة الطوارىء في المغرب، ومنح السلطان سلطة تأليف حكومة من شخصيات من ذوي الكفاءة للتفاوض مع فرنسا نيابة عنه، وأخيراً شدد على وجوب أن تدور المفاوضات حول تعديل العلاقات المغربية الفرنسية على أساس مذكرة السلطان المقدمة في تشرين الأول «أكتوبر» عام ١٩٥٠.

اغتيال المناضل التونسي فرحات حشاد وانعكاساته على الوضع في المغرب

ولكن الرأي العام الفرنسي ما لبث أن تلقى الصدمة الحقيقية الأولى في أوائل فبراير شباط عام ١٩٥٢ ذلك أنه في السادس من كانون الأول «ديسمبر» الماضي عام ١٥٩١ أي قبل ذلك بشهرين تماماً اغتيل الزعيم العمالي التونسي فرحات حشاد فكان اغتياله نذيراً بتجدد المصادمات والمآسي، وكان الزعيم العمالي المرحوم حشاد في طليعة الوطنيين المبجلين ليس في تونس فحسب بل وفي جميع دول شمالي أفريقيا وكان الذين قتلوه عصبة أشرار من غلاة المتعصبين الفرنسيين في تونس.

ونتيجة لموت الزعيم حشاه أعلن العمال المغاربة الاضراب العام تضامناً مع العمال التونسيين، وهو الاضراب الذي بدأ بصدام دموي بين البوليس الفرنسي والعمأل المغاربة في ٧و٨ كانون الأول «ديسمبر» سنة ١٥٩١.

وكان مركز المغرب القانوني قد تقوّي بسبب الحكم الذي أصدرته محكمة العدل العليا في لاهاي في ٢٧ آب «أغسطس» وأكدت فيه صفة السيادة والاستقلال للمغرب ومليكه.

وفي أوائل شباط عام ١٩٥٢ ـ كما ذكرنا ـ وصل وفد يمثل الأمم المتحدة فخرج الشعب في الدار البيضاء متظاهراً احتفالاً بتلك المناسبة، ورفع المواطنون شعارات المطالبة بالحرية والاستقلال وسيادة المغرب في ظل مليكه محمد الخامس. فتصدت سلطات الاحتلال الفرنسي لتلك المظاهرة وأطلقت عليها نيران بنادقها فسقط العشرات من القتلى والجرحى ولم تكتف سلطات الاحتلال بذلك وإنما أخذت تطارد الوطنيين المغاربة في كل مكان وتعتقلهم وتزج بهم في غياهب السجون.

الملك يثور في وجه الجنرال غيوم

وعندما قصد الجنرال غيوم إلى القصر الملكي برر عمله أمام ملك المغرب بقتل العشرات من أبناء البلاد بطريقة منافية للشرائع وحقوق الانسان فقال: أن بعض المغاربة ويقصد بهم «الجلاوي وعصابته» صاروا يتهمونه بالتساهل ويأخذون عليه عدم اللجوء إلى القوة. فرد عليه السلطان بحزم وقوة مدافعاً عن شعبه قائلاً: أن السبب في المشاكل التي تشكو منها هو فرض الحماية والحجر على حريات الشعب المغربي، وعدم وجود حكومة مغربية تتمتع بسلطات حقيقية تمارسها، وخلو المغرب من القضاء المنظم، وانعدام وجود المؤسسات الديمقراطية التي تضمن حقوق الأفراد والجماعات، وما دام الأمر على هذه الصورة فكيف تريد ألّا تسير الأمور من سيء إلى أسوأ.

ولما غادر غيوم القصر الملكي أرسل جلالته مذكرة شديدة اللهجة إلى

رئيس الجمهورية الفرنسية متجاوزاً بذلك الجنرال غيوم يطالب فيها بالغاء حالة الطوارىء «حالة الحصار» واطلاق الحريات العامة، ولا سيما حرية العمل للعمال المغاربة بتأليف نقابات واتحادات تضم تشكيلاتهم العمالية وتشكيل حكومة مغربية عصرية، وفتح باب المفاوضات بين المغرب وفرنسا لوضع أسس جديدة للعلاقات بينهما في المستقبل.

ولكن الحكومة الفرنسية لم تجب على مذكرة الملك الا بعد ستة أشهر، وذلك لافساح المجال أمام صحف المستوطنين، وغلاتهم في المغرب لشن حملات التضليل والأكاذيب للضغط على الحكومة الفرنسية حتى تتبنى وجهة نظر «غيوم».

فرنسا وفكرة تمدين المغرب

وجاء جواب الحكومة الفرنسية بما أسمته: «انجازات فرنسا لتمدين المغرب».

وفقرة «تمدين المغرب» تتذرع بها حكومة فرنسا كلما «دق كوز الاستعمار بجرة المغرب» فمنذ عام ١٩١٢ وسلطات الحماية تردد جملة «تمدين المغرب» على مسمع من العالم أجمع ولعل هذا العالم في قاراته الخمس كان يتساءل: ترى ما هو نوع هذا «التمدين الفرنسي» الذي تريد فرنسا أن تطبقه على المغرب وقد مضى عليه أربعون عاماً كاملة من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٥٢ . دون أن يظهر للمدنيّة الفرنسية أي أثر فيه؟

وفي خلال هذه الحقبة تخرج من المدارس المغربية، والمدارس والجامعات العربية في مصر والمشرق وجامعات باريس ولندن والولايات المتحدة وغيرها ألوف من الطلاب المغاربة وهم يحملون أعلى الشهادات الجامعية بكل الاختصاصات.

ولنفرض أن عملية «تمدين المغرب». كانت مؤلفة من مجموعة من المواد والدراسات النظرية أيمكن أن تستغرق أكثر مما تستغرقه الدراسات في إحدى الجامعات، ولو أن هذه الدراسات بوشر بها منذ عام ١٩١٢ لكان كل سكان المغرب متعلمين ومتمدنين..

ولكن الاستعماريين كانوا يوجهون كلامهم لشعوبهم المظللة عندما كانوا يزعمون بأنهم أعدوا إنجازات «لتمدين المغرب» لأن ثماني دول أوروبية كانت تفرض استعمارها على آسيا وأفريقيا وجزر البحار والمحيطات في تلك الحقبة وعند كل مناسبة تنشط أبواقهم الدعائية بين تلك الشعوب المستعبدة زاعمين بأن وجودهم في بلادهم إنما هو بقصد تمدينهم وتحضيرهم ففقرة «تمدين المغرب» أو تمدين الكونغو، أو تمدين السنغال ـ والنيجر، والسودان، والهند، والهند الصينية، وبورما وهندونيسيا وكينيا والصومال وتانزانيا وكل بلاد أميركا الجنورية والصين وو.. الخ.. ما هي الا ذرائع كاذبة لبقاء المستعمرين كي ينهبوا ثروات تلك البلاد النفطية والمعدنية والزراعية ـ من وراء ادعاءات التمدين والاصلاح الكاذبة ـ هذا مع العلم بأنه كان هناك حضارة في الصين وفي الهند وكذلك في المغرب وكان فيهما عواصم ومدن قبل أن يصبح «لبلاد الغال» اسم يدعى فرنسا، وقبل أن تصبح البلاد نفسها تحمل اسم بلاد الغال.. وفي عصر قريب جداً من عصر ميلاد المسيح وهو القرن الثاني قبل الميلاد، عندما كان القرطاجيون في اسبانيا عبر هنيبعل القرطاجي بلاد الغال «فرنسا» فلم يعترض طريقه أحد لا دولة ولا جيوش ولا ملوك فاجتازها بحرية إلى جبال الألب التي انحدر منها إلى ايطاليا في ذلك الوقت كان في المغرب الكبير تسع ممالك منها مملكة قرطاجة العريقة في المدنيَّة ومع ذلك فإن الاستعمار الفرنسي يزعم بأنه أعد «إنجازات لتمدين المغرب» بعد أربعين عاماً من توقيع معاهدة الحماية..

لقد كان الاستعمار الفرنسي يزعم ذلك ويقوله بصراحة تامة وهي الصراحة التي تخفي بين معانيها ارهاباً مبطناً «الويل للمغلوب» الويل لشعب لا يحافظ على حضارته. الويل لشعب يتهالك على الترف الذي هو ـ مقبرة الشعوب ـ وبه يسير إلى حتفه بقدميه. . الويل لكل العرب لأنهم مروا بمثل هذا الدور. . .

وقد ورث جلالة الملك محمد الخامس عرش دولة المغرب بعد أن جلس على هذا العرش من قبله أئمة الأدارسة وملوك المرابطين، والموحدين، والمرينيين، والوطاسيين، والسعديين، وفي أثناء ذلك كانت دولة المغرب تنحدر تدريجياً من سيء إلى أسوأ وانتقلت من امبراطورية تحتل الأندلس وكل شمالي أفريقيا، إلى دولة يحتلها الاسبان والفرنسيون. .

فرنسا ولعبة الكر والفرّ

إذن، لقد قررت الحكومة الفرنسية الممثلة بشخص رئيس جمهوريتها أن تجدد لعبة الكر والفر فأرسلت مشروع «تمدين المغرب» لتضع الملك محمد الخامس بين خيارين: أما القبول بالتبعية المشتركة لفرنسا، والوضع الراهن، وتجميد قضية المغرب في كل المحافل الدولية وإما الخلع عن العرش وما سيرافقه من مجازر مفتعلة مدبرة، ولكن الملك ظل متشبثاً بمطاليبه الاستقلالية، وقبل أن تعمد إدارة الحماية إلى افتعال الأسباب لارتكاب المجازر تمهيداً لخلعه عن العرش قرر جلالته الاستعانة بالآراء الحرة التي يتبناها أحرار فرنسا من علماء ومفكرين وكتاب وأصحاب عقائد تحررية فكلف ولي عهده الحسن بأن يتصل بأولئك الأحرار ويشرح لهم خطة المغرب، مؤكداً لهم أن الغاء الحماية ومنح المغرب استقلاله هما الوسيلة الفعالة لتحسين العلاقات المتدهورة بين المغرب وفرنسا، وكان سموه في ذلك الوقت يتابع دراساته في فرنسا للحصول على شهادة الدراسات العليا

في القانون الخاص فقام سموه بالمهمة خير قيام.

الملك يخاطب الرئيس الفرنسي من مقر الجمعية العمومية للأمم المتحدة

واغتنم الملك فرصة افتتاح الجمعية العمومية للأمم المتحدة اجتماعها السابع في مقرها الجديد في نيويورك بتاريخ ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٥٢، ليرسل إلى رئيس جمهورية فرنسا مذكرة جديدة لاحياء الاقتراحات التي قدمها له في المذكرة السابقة، ثم أتبعها ببلاغ إذاعة الديوان الملكي على الشعب المغربي أوضح فيه القضية المغربية والمساعي التي بذلها جلالته خلال عامين مع الحكومة الفرنسية ليحملها على الاعتراف بحرية المغرب واستقلاله كمقدمة لازالة أسباب تأخره. وهي الأسباب المرتبطة بفرض الحماية الفرنسية على أراضيه..

أما في نيويورك فقد كان الجو مكفهراً ومعقداً لكثرة القضايا المعروضة على الجمعية العمومية كقضايا نزع السلاح، والنزاع العربي - الاسرائيلي، وغيوم الحرب الكورية الكثيفة التي كانت تخيم على الجمعية العامة، وكان عدد كبير من الشخصيات العالمية قد قدموا من بلادهم لافتتاح دورة الجمعية العامة في مبانيها الجديدة في نيويورك وفي مقدمتهم السيدة بانديت نهرو، وظفر الله خان وفيشنسكي ودين اتشيسون وايدن والجنرال رومولوس، ومع أن القضايا الشائكة المعروضة كانت من الوزن الثقيل، الا أن مسألة حاضر المغرب ومستقبله أعطيت الأسبقية في المناقشات، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي كلفت بها الجمعية العامة بالنظر في القضية، الا أنها كانت المرة الأولى التي انتهت فيها مناقشاتهم بتوصيات معينة.

وكانت الولايات المتحدة في المرات السابقة قد وقفت إلى جانب فرنسا، وبذلك خيبت آمال الدول العربية والاسيوية، أما في هذه المرة فقد

أعطى تأييد الدول الآسيوية مثل اندونيسيا والهند وبورما والفلبين وسيام القضية المغربية زخماً كبيراً وقوة جديدة، ووقفت الدول الاستعمارية وفي مقدمتها بلجيكا وهولندا وبريطانيا ضد عرض القضية المغربية على الجمعية العامة بحجة أنه ليس من اختصاص الأمم المتحدة أن تعالج قضية المغرب.

الأمم المتحدة تعترف بالمشكلة المغربية

مع ذلك فقد صوتت الجمعية العمومية في الساعة الأخيرة من تلك المناقشات العقيمة على اقتراح جديد تقدمت به دول أمريكا اللاتينية، وبذلك جرى الاعتراف ضمناً بأن المشكلة المغربية داخلة في اختصاص الجمعية العامة، وكانت نتيجة التصويت ٤٥ صوتاً مؤيداً ضد ٣ أصوات مخالفة و١١ ممتنعاً، ولم يصمد إلى جانب فرنسا الا بلجيكا وجنوب أفريقيا واللوكسمبورغ وامتنعت الكتلة السوفياتية آنذاك عن التصويت . .

ولم يكن القزار مرضياً جداً بالنسبة للمغرب والدول العربية ولكنه كان نصراً خجولاً للمغرب وخذلاناً أدبياً لفرنسا.

وفي هذا الاجتماع الدولي الكبير تبلورت لدى الدول الآسيوية والأفريقية والكتلة العربية فكرة بأن الأمم المتحدة هي على وشك أن تصبح يوماً بعد يوم أداة في أيدي الدول الكبرى، وأن الشعوب المظلومة كالشعب الفلسطيني والشعوب الأفريقية المستعمرة، ليس لديها الوسائل التي تمكنها من توضيح ارادتها في الأمم المتحدة.

الملك يفضح فرنسا بخطاب جامع كامل بمناسبة عيد العرش

في الثامن عشر من نوفمبر سنة ١٩٥٢ أي في ننس العام وكان يوم عيد العرش وجه الملك محمد الخامس خطاباً جامعاً إلى شعبه وصف بأنه الخطاب الجامع الكامل لقضية استقلال المغرب، والديمقراطية المنتهكة

من قبل سلطات الحماية، والحريات الجماعية والفردية التي لا تراعى، وحقوق العمال المهضومة والضمانات الاجتماعية المفقودة والقضاء المموّه، المزيف. وتحدث جلالته عن وسائل التعليم واصلاح الاقتصاد المغربي الذي يدور بعجلة المستعمرين، ونادى بتحضير المرأة المغربية وتطويرها بعيداً عن المؤثرات ونبّه إلى ما يجري في الأحياء الفرنسية من أمور لا تتفق مع تقاليد المجتمع المغربي والاسلام، وخلص جلالته إلى القول «أن نظام الحماية مثل قميص فصّل لطفل صغير ولكن الطفل كبر ونما ومع ذلك فإن دوائر الحماية ظلت تصر على أنه ما زال طفلاً صغيراً».

ثم تطرق السلطان إلى لعبة الاصلاحات المزيفة التي تلجأ إليها الحكومة الفرنسية بين حين وآخر بقصد، الالهاء والتسكين..

وهكذا انقض خطاب الملك على رؤوس «جلاوزة الحماية» انقضاض الصواعق، فصمم المستعمرون على العمل بموجب سياسة القمع الحمقاء التي وضعها الجنرال جوان.. والتي تقضي بوضع البندقية والمدفع وجنود السنغال في موضع الحوار والتفاهم.

كيف حدثت المجزرة؟

ما أن أعلنت مدينة الدار البيضاء الاضراب العام استجابة لقرار الحركتين الوطنية والعمالية وخرجت المظاهرات في ١٥ ديسمبر ١٩٥٢، إلى الشوارع تضامناً مع كفاح الشعب التونسي واحتجاجاً على اغتيال النقابي البطل فرحات حشاد وقد اشتركت الجاليات الفرنسية العنصرية مع قوات الجيش الفرنسي والبوليس في تحويل احياء الدار البيضاء إلى سلسلة من المجازر المتعاقبة على مدى ثلاثة أيام متوالية ليلا نهاراً حتى بلغ ضحايا الدار البيضاء وحدها ثلاثة آلاف قتيل بينما بلغ مئات القتلى في بني ملال،

وعشرات القتلى والجرحى في الرباط، ثم بدأت عصابات الأشرار المستوطنين تتصيد المغاربة الأبرياء المارين في الشوارع فتقبض عليهم لتمارس في أجسادهم أبشع أنواع القتل والتعذيب، وتقطيع الأوصال، وطحن الرؤوس، في عمليات وحشية على مرأى من الجاليات الفرنسية رجالاً ونساء، وعلى مشهد من رجال الأمن وبين التصفيق والهتافات، تماماً كما كان يفعل المتوحشون في غابات أفريقيا قديماً عندما كانوا يقبضون على رجل غريب في منطقتهم فيحتفلون بالطبول والرقص أثناء تقطيع أوصاله ووضعه في مرجل فوق النار لطبخه ثم أكله.

وما أن وصلت تلك المجازر والفظائع إلى الصحف الفرنسية الحرة حتى نشرتها بحذافيرها وعلقت عليها مستفظعة ما وصلت إليه حالة إدارة الحماية والمستوطنين الفرنسيين من وحشية وهمجية ومن تحلل في الأخلاق والانسانية.

ولكن سلطات الحماية المتعطشة دوماً لسفك الدماء أصمّت آذانها عما تنشره الصحف الفرنسية والعالمية والعربية، فانطلقت أمعاناً بالوحشية وسفك الدماء، تفتك باحرار المغرب فحلت حزب الاستقلال، وقبضت على ٧٢ زعيماً مغربياً من أعضائه واحالتهم إلى المحاكم، وزجت في السجون والمعتقلات عشرين ألف مغربي من المتعلمين والمثقفين، وألقت القبض على عدد كبير من الباشاوات والقواد المؤيدين للملك، لتفتح المجال أمام قوات الحماية لسوق القبائل، وسكان المدن إلى تأييد المتعامل تهامي الجلاوي، في حين راحت صحافة المستوطنين تنادي بخلع الملك عن العرش.

الصحف الفرنسية تفضح سياسة حكومتها

وفي أثناء تلك المجازر أرسلت صحيفتا الفيغارو المحافظة وصحيفة تموانياج غير السياسية مراسلين للتحقيق في مجازر الدار البيضاء، وعلى الأثر أصدرت صحيفة تيموانياج ملحقاً في سبع صفحات روت فيها قصة المجازر، وكذبت الصحف الفرنسية ادعاءات جورج بيدو وزير الخارجية الفرنسية الذي كان ضالعاً في مؤامرة «المجزرة البشعة» فقالت: أنه ليس من الممكن اعتماد التصريحات الرسمية المتعلقة بأسباب الأحداث وطبيعتها وعدد ضحاياها الذين سقطوا في حلبة المجازر».

الأحرار الفرنسيون يحتجون

وكان في طليعة الأحرار الفرنسيين المناضلين عن حق المغرب، حلقة المفكرين الكاثوليك، تناصرهم جماعة من مفكري الجمعيات المسيحية، والأفراد، وعدد من الخبراء المعروفين بدراساتهم للشؤون الأفريقية وكان العقل المفكر المحرك لهذه الجماعات الأستاذ فرانسوا موررياك الذي وضع مقدمة «الدراما المغربية» أمام الضمير المسيحي «والسياسة المراكشية، نوفمبر ـ ١٩٥١» وأوضح فيها لماذا يعنى المسيحيون الفرنسيون بالبحث عن حقيقة دراما الدار البيضاء فقال: «ليست القضية قضية جدال، أننا ننشر الوثائق التي حملتنا على التدخل في المناقشة القائمة حول شمال أفريقيا، لقد تدخلنا كمسيحيين لأننا لا نستطيع أن نعتصم بالصمت، ولم يكن لنا اختيار، أن نقصي عن طريقنا شاهداً جاء يستنجد بنا بوصفنا فرنسيين كاثوليك، فلو لم يكن بيننا قلة رفعت صوت الاحتجاج يوم كان «لموسيليني» جماعة من المعجبين بسياسته الفاشيستية في بيتنا لانهار الاحتجاج الذي يجب أن يرتفع به صوت الضمير المسيحي دون انقطاع ضد جرائم التاريخ، وأن صمتنا اليوم لهو أشد خطراً، فمأساة شمال أفريقيا تمس شرف فرنسا وخلاصها الروحي... أن ضعف الدولة الفرنسية يضع في أيدي الحكام

هناك قوة هائلة، يفيد منها البوليس ويرتعد أمامها المقيم العام فرقاً، فيترتب علينا أن نوحد في فرنسا الرأي العام الذي يمكنه أن يقوي من سلطة الدولة تقوية فعّالة وأن يمنح الشعوب المظلومة الثقة، أننا نأمل أن لا يكون ضحايا الدار البيضاء قد فقدوا حياتهم دون جدوى».

جمعية فرنسا ـ المغرب

وبسبب ضغط احداث الدار البيضاء أنشأت جماعات مختلفة في باريس «جمعية فرنسا ـ المغرب»[1] التي أصبحت مركزاً لتصفية الأخبار الصادقة عن حوادث المغرب، وانضم إلى فرنسوا مورياك؛ كاترو، ومتران، ودوهامل، ودي بريتي وكورفال وماسينيون وغيرهم.

هؤلاء السادة دحضوا التهم التي كانت تكال للحركة الوطنية المتهمة بالشيوعية، وهي وسيلة كانت رائجة بين الاستعماريين آنئذٍ فكذبوا كل تلك الاتهامات ونزهوا حزب الاستقلال والضحايا الذين سقطوا على مذابح الأنانية الفرنسية وبرأوهم من تهمة الشيوعية وفي ذلك الوقت كان أكثر من ثلث الشعب الفرنسي من الشيوعيين في حين كانت الشيوعية موجودة في أوساط المستوطنين الفرنسيين في المغرب، وهم الذين كانوا يتفرجون على المذابح من النوافذ والشرفات. .

أما الشعب المغربي مدناً وقبائل فكان لا يؤمن بالشيوعية لأنه شعب مسلم متدين. ثم لأن حكومة موسكو كانت تقف دائماً إلى جانب المستعمرين الفرنسيين في هيئة الأمم المتحدة ضد قضية المغرب، وضد القضية الفلسطينية.

ولما طالبت الصحف الفرنسية الحرة بتكليف لجنة تحقيق لتحقق في

---

(١) روم لاندو في كتابه السابق ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

حوادث الدار البيضاء رفض الجنرال غيوم قبول دخول لجنة التحقيق تلك إلى المغرب وهدد بالاستقالة أن هي دخلت ومع ذلك فإنه لم يستقل . . .

فضائح سلطات الحماية

وفي السابع والثامن من شهر كانون الأول «ديسمبر سنة ١٩٥٢، اكتشف المحقق العسكري الذي تولى التحقيق في قضايا المعتقلين المغاربة ـ ومنهم أعضاء حزب الاستقلال المقبوض عليهم ـ أنه ليس ثمة أسباب قانونية موجبة لملاحقتهم وكان سحب التهم الموجهة إلى الواحد والخمسين معتقلاً من أعضاء حزب الاستقلال الذين أطلق سراحهم معناه رفض التصريح المضلل الذي قدمه الجنرال غيوم عن أسباب الشغب» وتكذيب كل اتهاماته التي وجهها إلى أعضاء حزب الاستقلال وغيرهم وسرعان ما استيقظ الضمير العام في فرنسا، بعد أن تكشفت له حقائق المجازر عن فضائح سلطات الحماية وتآمرها مع المستوطنين المتعصبين هؤلاء المستوطنون الذين جيء بهم من مختلف طبقات الشعب الفرنسي للاستيطان في المغرب ـ كما ذكرنا من قبل وكانوا من الفقراء المعدمين فلما امتلأت جيوبهم واتخمت بطونهم تنكروا للشعب المغربي، في دياره التي أطعمتهم اللحوم والزبدة والبيض والسمن والعسل، وبدلاً من أن يعترفوا بجميل الشعب المغربي انقلبوا عليه، وصاروا يعدون أنفسهم أصحاب البلاد الشرعيين.

فرانسوا مورياك يتهم

قلنا أن الضمير العام استيقظ في فرنسا بعد أن شعر بالخطر العظيم الماثل في مذابح الدار البيضاء وبعد أن أصبحت فرنسا أضحوكة في الأوساط العالمية، فانطلق صاحب جريدة الفيغارو ـ بياربرسون من نطاق الكذب والنفاق والتمويهات الرسمية المضللة ـ ليعلن على رؤوس الاشهاد في بيان

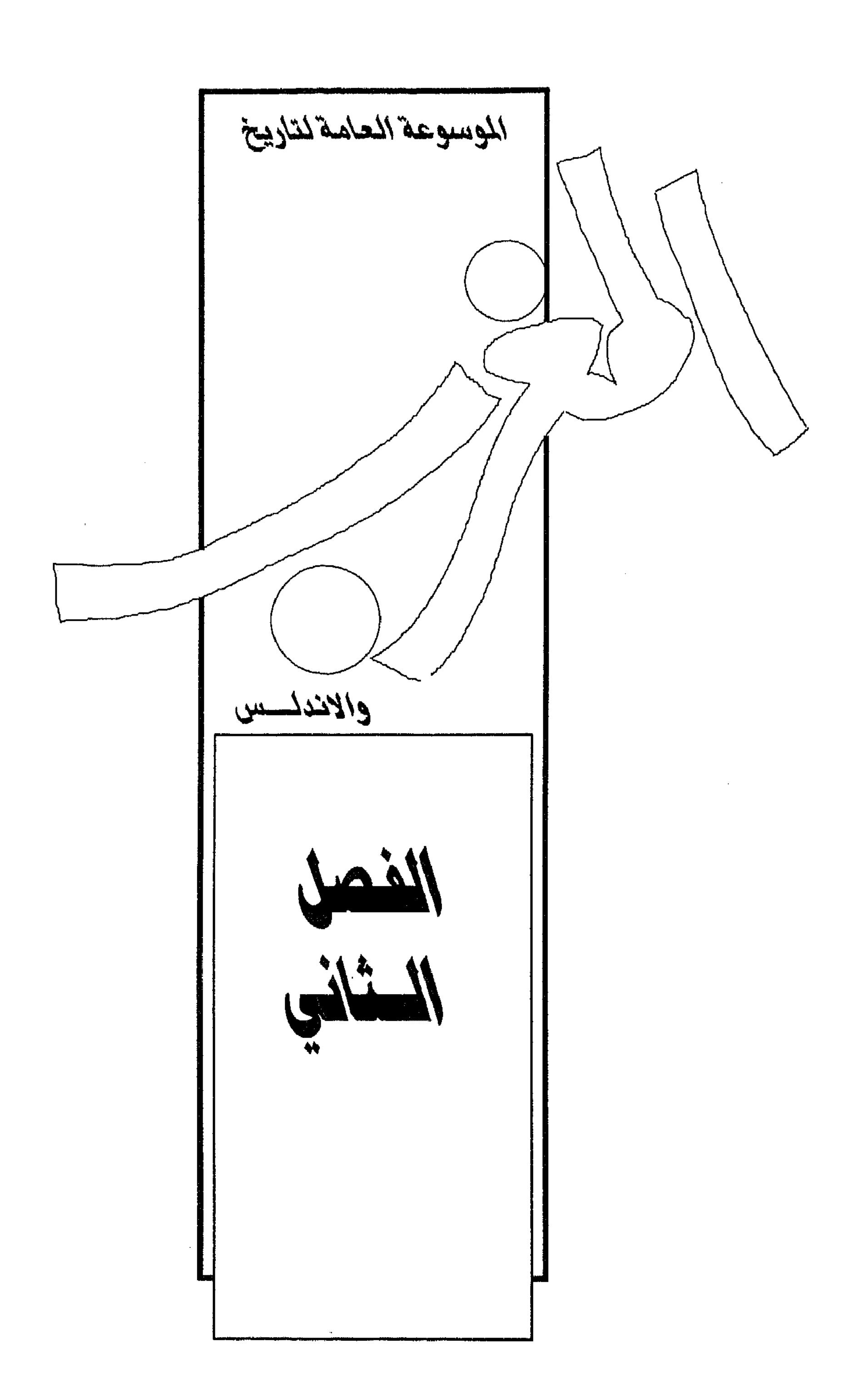
شخصي قائلاً: «أننا نعتقد، خلافاً لما يراه كبار الموظفين والحكام الفرنسيين أن أزمة المغرب لا يمكن أن تحل بالهراوات والرشاشات»[1] ولم يكن فرانسوا مورياك الفرنسي المسيحي الوحيد الذي أدرك أن قضية المغرب كانت امتحانا للضمير المسيحي، وأن الذي تعرض للخطر هو شيء أكبر من علاقات فرنسا بالمغرب. فعلى سبيل المثال كتب قس مبشر في المغرب يقول: «أن الهوة المغربية الفرنسية العميقة تنذر بأن تؤدي إلى انقسام حاسم بين المسيحية والاسلام. فممثلو المسيحية في المغرب لا يجوز أن يصبحوا رسل الاستعمار وأن الذي يقلل من قيمة فرنسا في المغرب هو إقامة ظلم بوليسي، ونظام الادانة والشك والترويع، فقد جعلت هذه الحالة من الجاسوسية قوة يخشى جانبها في البلاد ومكنت للغوغاء من النفوذ»[2] .

---

(١) جريدة الفيغارو الصادرة بتاريخ ٩ شباط/ فبراير سنة ١٩٥٣ .

(٢) نشرت هذا التصريح مجلة : Cahiers du Témoignage chrétien P. 70. sous titre: le drame Marocain devant la conscience chrétienne.

(الدراما المغربية أمام الضمير المسيحي).


الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلس
الفصل
الثاني

مؤامرة الاقطاعيين...

بعد فشل محاولة سنة ١٩٥١ بدا أن مسألة خلع الملك محمد الخامس أصبحت أمراً لا بد منه في نظر «غيوم» المقيم العام وعصاباته.

وكانت الشخصيتان المهيئتان ضد الملك هما تهامي الجلاوي باشا مراكش العتيد، وعبد الحي الكتاني. رئيس الزاوية الكتانية. والحقيقة أن هذين الشخصين قدّما خدماتٍ جلّى لسلطات الحماية في المغرب في جميع العهود وفي كل الأحداث والمناسبات، بينما كان «المخزن» ينبذهما. وكانا يشعران أنه في حال خلع الملك محمد الخامس فانهما سيختاران السلطان الجديد ليصبحا القوة الرئيسية في البلاد من وراء العرش..

وقد كتبت الصحافة الفرنسية اليمينية والصحافة الانكليزية الموجهة بسياسة ونستون تشرشل زعيم الاستعمار في اوروبا الكثير عن الجلاوي، لدرجة أنها رسمت له صورة، ادعت فيها بأنه سلطان البربر، ونشرت حول ذلك المطولات عن قوته وثروته و.. شجاعته. وقالت أنه رمز السيادة الاقطاعية في المغرب وأنه تجسيد «للروح البربرية. والحقيقة أن كل ما كتبته

تلك الصحف البريطانية والفرنسية كان نتيجةً للأموال التي كان الجلاوي ومن وراءه يغدقونها على تلك الصحف المأجورة. .

وأنه لمن المضحك جدا أن يرى ونستون تشرشل، الذي كان يمثل أعلى وأضخم عمود في الاستعمار البريطاني - كثيراً ما كان ينزل ضيفاً معززاً على تهامي الجلاوي في قصره المنيف، الأمر الذي كان له قيمة اعلانية كبيرة للجلاوي وجماعته.

وكانت الصحف الفرنسية ذات الموارد المحدودة تكسب كثيراً من أموال الجلاوي، عندما كانت تخصص صفحات عديدة للكتابة عنه، لأن ثروته على حد زعمها كانت تفوق الاحلام والأساطير، وكانت كلمة الجلاوي في مراكش - عاصمة امبراطورية المرابطين - وما وراءها القانون بعينه. . مع أن باني مدينة مراكش السلطان يوسف بن تاشفين المرابطي كان يعيش على الخبز الأسود ولحوم الجمال، ويلبس الملابس الصوفية الخشنة. .

من نشاطات الأخوين الجلاوي

وقد لاحت الفرصة للجلاوي والكتاني في عام ١٩٠٨ عندما بدأ السلطان عبد الحفيظ الذي اتخذ من مراكش مركزاً لحملته ضد أخيه السلطان عبد العزيز، وكان المدعو مدني الجلاوي اخو تهامي الأكبر منه سنا رئيساً للمنطقة آنذاك. فلما أيّدا السلطان عبد الحفيظ ضد أخيه السلطان عبد العزيز، وأوصلاه إلى عرش السلطنة، كان من الطبيعي أن ينال مدني الجلاوي وأخوه تهامي الجلاوي المكافأة المنشودة.

ولكن بعد أن وقع السلطان عبد الحفيظ على معاهدة الحماية تحت الضغط والاكراه والتهديد والوعيد، وبعد أن امتنع عن التعاون - بعد توقيع

المعاهدة ـ مع سلطات الحماية ـ وراح يحرض القبائل سراً على الثورة ـ انضم مدني وتهامي الجلاوي إلى الفرنسيين بدليل انهما كانا من أدوات الضغط التي مارسها المستعمرون على السلطان عبد الحفيظ لإرغامه على توقيع معاهدة سنة ١٩١٢ .

ومن النشاطات التي قام بها تهامي الجلاوي في تلك الحقبة أنه حمى في سنة ١٩١٣ جماعة من الضباط الفرنسيين الذين لجأوا إليه ليحفظ حياتهم من الموت على يد «هبة الله «الهبه» بن ماء العينين، وقد حفظ المارشال ليوتي هذا الجميل، ولكن الاعتراف بالجميل كان موجهاً إلى مدني الجلاوي، باعتباره الرأس المنفّذ للسياسة الفرنسية في المغرب وليس لتهامي الأخ الأصغر، وبعد وفاة مدني الجلاوي استولى الثاني على مخلفات أخيه الأكبر من أموال وأراض ونفوذ لدى الفرنسيين، وقد زاد في ثروته خلال الغارات التي كان يشنها على أراضي جيرانه المغاربة، فيعمل على مصادرتها وضمها إلى ممتلكاته. وقد دأب على ذلك طيلة حياته بموافقة دوائر الحماية.

وقد تحدث الكثيرون عن ثروة الجلاوي التي كانت يروى عنها كما يروى عن الأساطير القديمة.

قال روبير بارا متحدثاً عن ثروة تهامي الجلاوي وضخامتها: «لقد جمع تهامي الجلاوي ثروة ضخمة تبلغ المليارات عن طريق الغزو والنهب والسلب وحرمان أقاربه من حقوقهم في الارث»[١] .

ويقدم لنا كلود بورديه تفاصيل أخرى فيقول: كان على كل شخص يسكن في الجنوب المغربي أن يضيف إلى الضرائب المغربية هدايا من أجل

---

(١) أنظر كتاب: روم لاندو ص ٣٧٨ نقلاً عن: Robert barrat: justice pour le Maroc. Paris. édition du seuil 1953. P. 71.

أسفار الجلاوي، سواء أكان ذلك من أجل الذهاب إلى مكة «للحج» أو للذهاب إلى فيشي للاستفادة من مياهها المعدنية، وكان عليه أيضاً أن يقدم هدايا في كل مرة يحتفل بها أحد أفراد أسرة الجلاوي المقربين بالزواج، وفي كل مرة يأتي المقيم العام لزيارته.. ومن المعلوم أن الهدايا التي كان يتلقاها المقيمون العامون على التوالي من تهامي الجلاوي كانت تقدم للقضاة للفوز بأحكامهم في صالحه - في القضايا التي كانت تقام ضده، وهداياه للحكام للافراج عن مساجين ارتكبوا جرائم مدنية واخلاقية.

وكان يحتكر الأتجار بالنعناع واللوز والزعفران والزيتون فيشتري هذه المنتوجات من أصحابها بنصف أثمانها ويبيعها بأثمان مضاعفة.. وكان يمنع بيع النعناع حتى يبيع كل ما لديه من محصول. كما كان يسخر العمال في أراضيه ولا يدفع لهم أجراً، وقد استولى بوسائل مختلفة على جزء كبير من أراضي الجنوب الجيدة.

وأكثر من ذلك فقد كان سكان الجنوب الذين كان يحتل أراضيهم بقوة الاستعمار يبغضونه إلى درجة الموت.. ولكي تبرهن سلطات الحماية عن شدة تمسكها بولاء الجلاوي لها أعلنت - وفي ذلك مخالفة للقوانين الشريفية - بأن ما في باطن الأرض في جنوب المغرب من ثروات ملك للقبائل[١] وبذلك أصبحت هذه الثروة ملكا لزعيمهم الجلاوي باشا مراكش.

وقد استطاع أن يتملص من ديون قدمتها له فرنسا ومقدارها ٧٨ مليونا من الفرنكات دون فوائد ولكنه لم يسدد المبلغ المذكور.

ومن بين المفكّرين الفرنسيين الذين كتبوا عن ثروة الباشا الجلاوي لويس ماسينيون في مقال كتبه عام ١٩٥٣ بالتفصيل ذكر فيه «الوسائل التي

---

(١) «El glaoui (الجلاوي) ou le feodalo - capitalisme» temps modernes paris jouillet 1953. P.P. 132-3.

لجأ إليها الباشا الجلاوي في تحسين وسائله لجمع الضرائب[1] .

ويضيف روبير بارا التفاصيل التالية على ما تقدم في كتابه عن الباشا التهامي، كان القاضي الذي يقضي بين المتخاصمين، كما كان يحاكم المتهمين بالولاء للسلطان محمد الخامس وحزب الاستقلال فيأمر بتعذيبهم والقائهم في السجن.

وكان ثمة من يزعم بأن الجلاوي كان من البربر وهو ادعاء كاذب لأن لونه كان أسود فاحماً في حين أن بشرة البربري النقي الدم بيضاء. .

نشاطات عبد الحي الكتاني

أما زميل الجلاوي وهو المدعو عبد الحي الكتاني شيخ الزاوية الكتانية، التي كان يدعي بأنها من الدين الاسلامي، كانت في الحقيقة بدعة من تأليفه واخراجه.

وكان الكتاني قد نُحِّيَ عن عمله كأستاذ في جامعة القرويين في العقد الثالث، وقد اتخذت الهيئات الدينية هذا القرار تحت ضغط الطلاب الذين عارضوا آراءه الالحادية وتذمروا منه في أمور اخلاقية أخرى.

وقد تقاسم الجلاوي والكتاني بشكل متساوٍ الأحداث لتهيئة الحوادث التي وقعت في آب «اغسطس» عام ١٩٥٣، فبينما كان الكتاني يعبىء رجال الطرق الدينية، كان الجلاوي يعبىء قواد القبائل والعناصر الثائرة في بلاد «السيبة»[2] .

وقد عقد الكتاني في نيسان ١٩٥٣ مؤتمراً لأصحاب الطرق الدينية في شمال أفريقيا لاصدار احتجاج موحد ضد الملك محمد الخامس، ولخلعِهِ

(١) «L,histoire du complot documentaire» en esprit paris Nø9, \v1953. P.360.

(٢) أنظر Esprit: الصادر في أيلول سبتمبر ١٩٥٣ ص٣٨٥.

عن العرش «لأسباب دينية» ولكن وزارة الخارجية الفرنسية، وهي أعرف بهذه الأمور، خشيت العاقبة، فأقنعت الكتاني، بأن يحصر المؤتمر اتهاماته بحزب الاستقلال فقط. بمعنى أن الكتاني كان يريد اتهام الملك محمد الخامس بالالحاد والشيوعية.

أما الجلاوي فراح يزور المناطق البربرية بصحبة الموظفين من كبار الفرنسيين فاستطاع أن يجمع حوالي ٢٨٧ توقيعاً بالتهديد والارهاب. ولكن الجلاوي خشي أن تكون فرنسا مهتمة باستغلاله أكثر من اهتمامها بالاعتراف بولائه لها. فآثر السفر إلى فرنسا للتثبت من ذلك. وهناك استقبله عدد من أعضاء الحكومة، ثم أدخلوه على أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية وكان من أضعف رؤساء فرنسا، ولم ينشر شيء عما دار في حديث خلوة «الباشا» مع الرئيس الفرنسي.

ومن المضحك أن المستعمرين كانوا يعتبرون المارشال جوان حاميهم الأول في المغرب والناطق باسمهم، وبعد أن نال عصا المارشالية انتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية، وهو أمر لا يفوقه في الأهمية سوى جائزة نوبل.

ولما ظهر «جوان» لأول مرة تحت قبة الأكاديمية، لالقاء خطبته الأولى، وكان المجتمع الباريسي يعتبر خطبة «الخالدين» حادثة بارزة، وكان من المتوقع أن يغتنم العضو الجديد الفرصة ليشيد بمآثر الفرنسيين في المغرب، ويحمل على النقاد الفرنسيين الذين ينتقدون عمل فرنسا هناك، وكان أحد هؤلاء النقاد فرانسوا مورياك الكاتب الكبير ـ الحائز جائزة نوبل، وأحد الخالدين ورئيس جمعية «فرنسا ـ المغرب» الحديثة النشأة ـ وكان من أعضاء هذه الجمعية: جورج دوهامل الأديب المعروف، والجنرال كاترو المستشرق الفرنسي، واندريه جوليان، وكلاهما أستاذ في السوربون،

ولويس ماسينيون، وإذا بالمرشال جوان يهاجم هؤلاء العلماء أسياد فرنسا في العلوم الحضارية، ويمدح تهامي الجلاوي، وقد بالغ المارشال جوان بفضائل الجلاوي ومقارنة تلك الفضائل بمساوىء رئيس وأعضاء الأكاديمية الفرنسية. والأفظع من ذلك أنه كان قد سرّب دعوة لحضور الجلاوي إلى تلك الجلسة. . لكي يستمع إلى خطبته.

وماذا يُنتظر من الجنرال جوان الذي كان يقود كتائب السنغال السود في الجزائر والمغرب. . ؟

وقد أثار الهجوم والمديح كثيراً من التعليقات، إذ رفع باشا مراكش إلى مصاف الأبطال، ولكن الفيغارو نشرت في اليوم التالي مقالاً على الصفحة الأولى لفرنسوا مورياك نال فيها من جوان والجلاوي الصنم كما سماه الذي أحضره وقد جاء في الخطاب: «إذا كان الوطنيون المغاربة هم الذين يفيدون من جهودنا، فلأنهم وحدهم يعانون اليوم آلام السجن، وعذاب النفي، وغدا قد يكون ثمة جلاوي آخر، لو حدث أن انتهى الأمر به إلى عذاب العطش فإنه سوف يجبر على شرب مياه المراحيض، أن تعذيب البوليس، على ما فيه من قسوة، ليس أسوأ ما في الأمر، لقد أهنّا العنصر العربي النبيل وأسأنا إليه. . أن اجتماع الأكاديمية هذا لا يتناسب مع أمةٍ عظيمة ولكنه تعظيم لخصم عنيد للسلطان وتابع متمرد من رعاياه. . وهذا المشهد المخزي ما كان ليمثل الا على سفينة تائهة كسفينتنا إذ أصبحنا بلادا بلا حكومة.

وعندما زار الجلاوي لندن كمتفرج في حفلة تتويج الملكة اليزابيت، ارتكب غلطة شنيعة سرّ لها خصومه، فقد كان من بين الهدايا التي حملها إلى الملكة تاج ثمين من الذهب مرصع بالزمرد ولكن حاشية الملكة أبلغته بأن هديته «مرفوضة». .

عريضة الجلاوي

كنا قد ذكرنا أن الجلاوي راح يدور على أنصاره ليوقعوا على عريضة تدعو لخلع السلطان، ولكن هذه العريضة لم يوقعها الباشاوات الكبار باشاوات فاس والدار البيضاء ومدينة صفرو، ولكنهم عندما علموا بالضجة القائمة حول العريضة نشروا بياناً شديد اللهجة ضدها على اعتبار أن الباشاوات والقواد الذين وقعوا عريضة الجلاوي وصحبه القادة الفرنسيين ـ هم موظفون مدنيون يُعَيِّنُهم السلطان، ولا يجوز لهم أن يوجهوا لوماً إلى العرش، وجاء في العريضة: «لا يمكن للجلاوي أن يجهل أن الشعب المغربي يعرف تمام المعرفة الوسائل التي يلجأ إليها هو وأولئك الذين يعملون معه لاغتصاب التوقيعات من أولئك الذين يتحدثون باسمهم». .

وقد تبين فيما بعد أن عريضة الجلاوي كانت تحتوي فقط على توقيع اثنين من الباشاوات وخمسين من القواد وباقي التوقيعات كانت لموظفين صغار والاسم الوحيد الذي اذاعته السلطات الفرنسية كان لقائد عيّن حديثاً وكان قبل مدة قصيرة شاويشاً «عريفاً» آذناً يقف على باب مكتب بونيفاس حاكم الدار البيضاء الفرنسي.

وبعد ذلك ببضعة أسابيع أطلع الملك محمد الخامس، روبير بارا[(١)] والنائب الفرنسي كلوسترمان على رسائل تلقاها جلالته من الموقعين على عريضة الجلاوي يؤكدون لجلالته أن «المراقبين» الفرنسيين قد ضغطوا عليهم كثيراً ليحصلوا منهم على تواقيعهم.

وقد حللت «لا تريبون دي ناسيون» التي تصدر في باريس الأحداث بقولها: «أن ٢٧٠ باشا وقائداً الذين وقعوا عريضة الجلاوي لا يمثلون سكان

(١) روبير بارا. المرجع السابق ص١٠٤ و١٢٨.

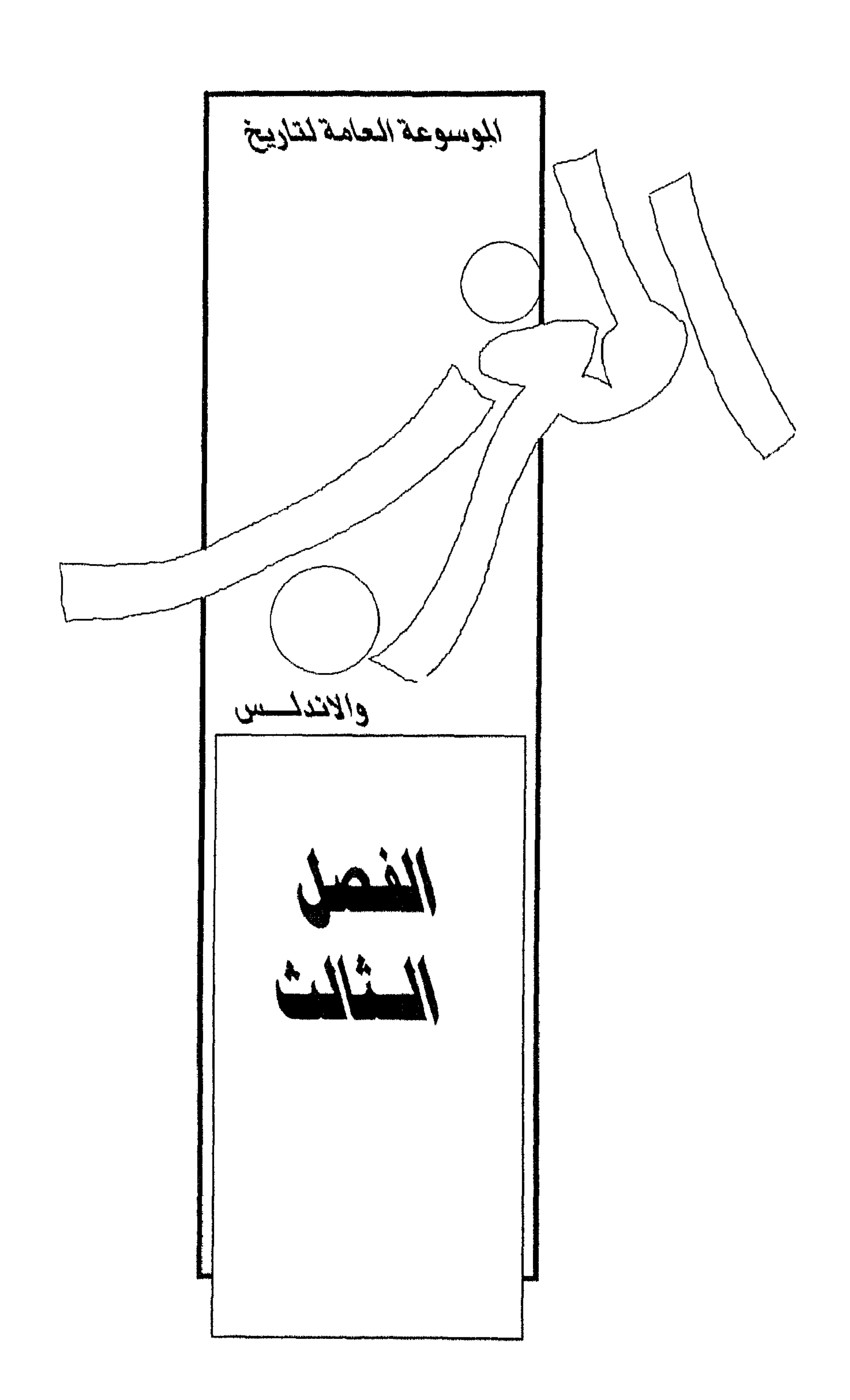
البربر في المغرب، لأن معظمهم من الموظفين اختارتهم الادارة الفرنسية، وأولئك الذين وضعوا توقيعاتهم ضد العرب وضد الملكية هم من قبيلة صغيرة من اقطاعيي الجنوب الذين يكوّن ابتزازهم ـ المستور من قبل الادارة الفرنسية أكبر فضيحة في نظام الحماية والجلاوي يمثل هذه الطبقة خير تمثيل، لأن الادارة الفرنسية وضعته في واجهة الشعب البربري وراحت تقول عنه بأنه سيد البربر.

أما العلماء الذين وقعوا العريضة المضادة وعددهم ٣١٨ عالماً فقد استنكروا تلك العريضة بقوة، ولم يترددوا في القول صراحة بأن الذين وقعوا عريضة الجلاوي كانوا أدوات في يد دمية، يقع عليها أكبر قسط من المسؤولية في هذه القضية ـ وختموا احتجاجهم بدعوة جاء فيها: «أن علماء المغرب بالاجماع يستنجدون بالشعب المغربي والعالمين العربي والاسلامي ويلفتون نظر العالم المسيحي والضمير العالمي إلى قضيتهم راجين أن يهب الجميع لنصرة التقاليد الاسلامية الصحيحة في شخص صاحب الجلالة سيدي محمد حرسه الله.

إذن، فالضربة الرئيسية التي أعدها الجلاوي والكتاني فشلت ولكنهما لم يعترفا بالفشل.. خصوصاً وأن مؤامرة خلع السلطان قد أصبحت قيد التنفيذ.

وقد جاء الانذار من عملية التحريض على خلع السلطان من الجلاوي نفسه عندما نشر تصريحاً في ١٨ آب، ١٩٥٣ جاء فيه: نحن الذين نمثل التقاليد والولاء «لفرنسا» والمستقبل في هذه البلاد، نودّ أن نحذر الحكومة الفرنسية، أنها تتحمل مسؤولية هائلة، فإذا عجزت عن إظهار العزم فإنها تكون قد خسرت مكانتها في المغرب، وقد يصبح أصدقاؤها غداً أعداء لفرنسا. أنهم ما برحوا يثقون بها، فعسى الاّ تخيّب أملهم.

لا يمكن إضاعة لحظة واحدة، إذا كان المقصود تجنّب المحذور، لقد كنت صديقاً لفرنسا أربعين سنة، أنني واثق من أن فرنسا تفهم أن ولائي له حدود.



الفصل الثالث

مؤامرة فرنسية للإطاحة بالملك محمد الخامس

في ١٥ آب «اغسطس» ١٩٥٣ عاد الجنرال غيوم من فرنسا حيث قيل بأنه كان يستجم، ولكنه في الواقع كان يضع اللمسات الأخيرة مع المارشال جوان والحكومة الفرنسية على خطة خلع الملك محمد الخامس عن العرش.

وبعد بضع ساعات من وصوله طوقت القوات الفرنسية حرس القصر الملكي، ومنع ولي العهد الأمير الحسن من مغادرة منزله في حي السويسي الواقع في ضاحية الرباط.

وصوبت المدافع نحو القصر الرئيسي. وقد صرح الملك محمد الخامس لروبير بارا الذي كان موجوداً في الرباط: «استطيع أن أدفع الشعب المغربي ضد دعاة السوء بإشارة واحدة، ويكفي أن أخرج من القصر يوم الجمعة القادم للصلاة في الجامع وأن أتلفظ «بكلمة واحدة» فأحرض الشعب على التمرد والعصيان، ولكن ديني يمنعني من إراقة الدماء لذلك يتوجب عليّ أن أحافظ على الأرواح، لا أرواح المواطنين فحسب بل وأرواح

الفرنسيين وغيرهم من ضيوف المغرب»[1] .

وفي الساعة السادسة من مساء ١٥ اغسطس ١٩٥٣ دخل الجنرال غيوم إلى مكتب جلالة الملك ماداً يده إليه «ببروتوكول المطالب الفرنسية ليضع عليه توقيعه» .

وبعد خروج المقيم العام بقي المستشار الفرنسي لويس دي لاتور دوبان؛ فسأله الملك: هل أُعِدَّت تلك المطالب بعلم من الحكومة الفرنسية؟

فأجابه المستشار بصلف ووقاحة: هي التي أعدته! فسأله السلطان: وماذا سيحدث إذا رفضت التوقيع؟

أجاب المستشار بوقاحة: «نطلع باريس بواسطة الهاتف عن رفضك ثم تخلع» .

وبعد أن فكر الملك طويلاً . . بمسألة التوقيع بالاكراه وقد مارسوها عليه من قبلٍ فلم تنجح ممارساتهم . . ورأى من باب أولى أن يجرب خطته القديمة: التراجع خطوة إلى الوراء ليربح بعدها لشعبه خطوتين إلى الأمام . .

وعندئذٍ وقع الملك البروتوكول، فأخذه المستشار وانسحب من مكتب الملك، وهناك في دار الاقامة العامة أسقط في أيديهم فماذا عساهم أن يفعلوا والمؤامرة مفضوحة والقصر مطوق بالمصفحات والمدافع . . والتوقيع أخذ بالاكراه على مرأى من عيون الصحفيين المحليين والاجانب الواقفين بعيداً أمام قصر الملك يكتبون وينظرون إلى ساعاتهم لتحديد الوقت عند دخول المقيم غيوم وعند خروجه من قصر الملك، وعندما خرج المستشار الفرنسي الذي كان يحمل التوقيع الملكي.

---

(١) «من كتاب روبير بارا ـ ١٩٥٣».

وكان أخشى ما يخشاه غيوم أن ينقلب السحر على الساحر والمؤامرة على اصحابها. فالمؤامرة السابقة التي دبرها جوان انقلبت عليه، صحيح أنه طرد من المغرب، ولكنه أصبح مارشالا . . وعضواً في الأكاديمية الفرنسية ورئيساً لهيئة أركان حزب الحلف الأطلسي. . فيا لها من مؤامرة أكسبته كل تلك الأمجاد.

وجوان لم يخلع الملك عن عرشه.

أما هو أي المقيم غيوم فإنه سيخلعه عن العرش ولسوف يرى ماذا ستكون مكافأته؟!

وفي ذلك المساء أيضاً أذاع الجنرال غيوم بيانا ليخدع الشعب المغرب والعالم أجمع، يقول: أن المغرب يجب أن يصبح مملكة دستورية ثم راح يعلن عن نقاط البروتوكول الذي وقعه الملك. ويؤكد في بيانه أن تطور المغرب أمريهم فرنسا وحدها، وأن أي تدخل أجنبي بشؤون المغرب يعرقل تطوره.

ثم أرسل غيوم مستشاره الخاص ليبلغ الملك محمد الخامس أن العلاقة مقطوعة بين القصر والأمانة العامة.

كان بين ضيوف الجلاوي أحد أعمام الملك ويدعى «ابن عرفة» وهو شخص مغمور لا يعرفه أحد في أواسط العقد الثامن من عمره، عاش معظم حياته في فاس ولم يسمع أحد بإسمه، على ما وصفه روبير باث، إذ كان طاعنا في السن أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف بسائط الحساب ولا يتكلم الفرنسية.

وكان قصر الجلاوي مكتظاً بجماعة من القواد الذين كانوا ينتظرون

الأوامر. وفجأة وبعد طول الانتظار وجد «ابن عرفة» نفسه محاطاً بالجلاوي والقواد وقد انتخبه أولئك الناس «إماماً» بمعنى أنهم جردوا الملك من «سلطته الروحية» وهي الركن الأساسي الذي ترتكز عليه السلطة الملكية وتركوا له «السلطة الزمنية»، وهذا الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية يعتبر «بدعة» وخروجاً على التقاليد والأعراف الملكية، ولكن جماعة الجنرال غيوم والجلاوي التي وضعت هذا الفصل الأخير من المؤامرة، أسقطت من حسابها الشرعية والدين ولم تحسب حساباً للعلماء الذين من حقهم اتخاذ مثل هذه القرارات البعيدة الأثر ولا للشعب المغربي ورجال الدين المغاربة.

تظاهرات شعبية تأييداً للملك

كان الشعب المغربي قد استوعب مضامين إذاعة الجنرال غيوم وأدرك أبعادها وعرف أن حياة السلطان ومركزه في خطر شديد.

وفجأة خرجت جموع الشعب إلى شوارع الرباط حاملة صورة الملك محمد الخامس. وهي تردد في صوت هادر: يا لطيف.. يا لطيف. وهو دعاء يستمطر رحمة الله في الشدائد والأخطار. ثم توجهت نحو القصر الملكي فوقف الجنود في وجوههم.

وكان جلالته ما يزال محاصراً في قصره يراقب الأحداث وقد قال لأصدقائه الفرنسيين وغيرهم: لقد انتزعوا مِنّي سلطاتي المدنية عندما وقَّعت على «الوثيقة» التي حملها إليّ غيوم والآن جردوني من سلطتي الروحية.

وكان الشعب يتوقع أن يذهب ملكه إلى الجامع ليقول كلمته الأخيرة ولكن الجنود الذين يحاصرون القصر لم يمكنوه من ذلك.

وظلت الجموع تسير في شوارع المدينة هادئة حزينة وهي تردد: يا

لطيف. . يا لطيف والأيام تمر بطيئة منذرة بشر مستطير.

وطار غيوم إلى باريس ليستشير حكومته ويقدم لها تقريره عما جرى في القصر الملكي.

وكما هي العادة فإن المفاجآت المضادة كانت متوقعة، وقد بدأت احداها في مدينة وجدة في الشرق وكان الغضب قد تحول إلى انفجار ثوري بسرعة مدهشة عندما انقض رجال القبائل من البربر على المدينة، وقتلوا عدداً من الفرنسيين، فانطلقت صحيفة «البتى ماروكان» العنصرية تندب القتلى، ونشرت تصريحاً للجلاوي قال فيه: لقد أريق بالأمس دم فرنسي وغداً قد تصدر أوامر جديدة من القصر الملكي تؤدي إلى إراقة المزيد من الدم الفرنسي.

وعقدت جمعية قدماء المحاربين الفرنسيين في الدار البيضاء اجتماعاً حضره صحفيون من باريس قيل فيه: أن السياسة التي اتبعت في الأيام الأخيرة تنطوي على اخطاء فاضحة، وقد أوحت بهذه السياسة المصالح الكبرى لفئة قليلة من الناس اسماؤهم على كل شفة ولسان. . وقد جنى أحدهم مئتي مليون فرنك خلال الأسابيع الماضية.

وفيما كانت القوات العسكرية تحتل المدن زحف عليها الجلاوي وهو يسوق أمامه بعض القبائل الموالية له.

والتقى بعض رجال القبائل في طريقهم إلى الرباط باثنين من أعضاء البرلمان الفرنسي كلوسترمان، ورايتزر اللذين كانا يقومان بالوساطة بين باريس والملك، فسألا أفراد القبيلتين: ماذا تصنعون هنا؟ فجاء الجواب: لا ندري فسألا مرة ثانية. ومن أرسلكم إلى هنا؟ فأجابوا: المراقب أي الحاكم الفرنسي المحلي.

الفرنسيون يُزوِّرون الحقائق

وقد حرص الفرنسيون على تشويه الحقائق وتزويرها في نشر البيانات زاعمين أن الحركة داخلية وأنها مجرد ثورة ضد الملك، وأمثال ذلك، إلى أن نشرت صحيفة الأوبزرفر اللندنية في ٣٠ أغسطس ١٩٥٣ صورة بعث بها مراسلها فيليب دين وكان يظهر فيها بدأ الزحف القبلي. وكان الموكب القبلي يتقدمه سيارتا جيب وقد جلس في مؤخرة السيارة الأولى مغربيان أحدهما تهامي الجلاوي، ولكن المقعدين الأماميين كان يحتلهما ضابطان فرنسيان وهما بالملابس الرسمية، أما السيارة الثانية فكانت تقل ضابطين فرنسيين وأشخاصاً آخرين.

والحقيقة أن الصحافة الاستعمارية قد اعترفت في ساعة النشوة والفرح بالمساهمة الفرنسية في التمثيلية الدموية التي مثلت في المدن المغربية فكتبت صحيفة «لافيجي ماروكان»: أننا نلاحظ فجر تعاون جديد، كان السلطان وحزب الاستقلال قد وطدا النفس على مقاومته بعنف»[1].

من القصر الملكي إلى كورسيكا

ولكننا سبقنا الأحداث بالتصريح الآنف الذكر، ولنعد إلى يوم ٢٠ آب اغسطس سنة ١٩٥٣ وهو اليوم السابق للعيد الكبير - عيد الأضحى - وكان التوتر بسبب مصير الملك قد بلغ أشده وكان الآهلون مضطربين إذ جرت العادة في صباح يوم الأضحى أن يبدأ الامام بالتضحية..

وفي هذا اليوم اتصل غيوم بالملك تلفونيا معلنا رغبته في الاجتماع به حالا.. وبعد ذلك بربع ساعة اقتحمت ساحة القصر فرقة من الجيش السيّار، فأحاطت بحرس الملك المسلحين ببنادق بدون ذخيرة، فانتزع منهم الجنود

(١) أنظر: Le petit Marocain - casablanca. August 19 - 1953.

بنادقهم ثم أمروهم بالدوران قبالة الجدار وأذرعهم مرفوعة، وصوبت الرشاشات نحوهم ولما تمت كل تلك الاجراءات للتأكد من سلامة غيوم وصل هو نفسه، قبل عشر دقائق من الموعد الذي عينه للملك.

فدخل القصر الملكي وخلفه رئيس قوى الأمن، وكان الوقت وقت قيلولة والحرارة تصل إلى مئة درجة فاهرنهايت في الرباط، وكان جلالته مستلقياً ساعتئذٍ فأسرع ولبس قفطانه ودخل المقيم العام ومعه روبليسون الوزير المعتمد بالاقامة العامة، ولويس دي لاتور دي بان، مستشار الحكومة الشريفية وجان دمتاي مدير الأمن وثلة من الضباط والشرطة.

وجلس المقيم عن يمين الملك وبدأ الفقيه المعمري يترجم كلام المقيم:

فقال للملك: لقد كنتم رمزاً للوحدة المغربية ولن تكون ـ بعد اليوم ـ رمزاً لها. .

ثم قال المقيم:

أن الحكومة الفرنسية تطلب منكم التنازل عن العرش، وستنقلكم ـ إذا قبلتم ـ أنتم وأسرتكم لتقيموا في فرنسا!

فرد عليه الملك قائلاً: أن طلب حكومته غير مقبول.

فقال له غيوم: «إذا لم تتنازل فإن حالتك لن تكون مثل حالتك إذا تنازلت».

فأجاب الملك: أنني ملك البلاد الشرعي، ولن أخون الأمانة التي أئتمنني عليها شعبي، وفرنسا قوية فلتفعل ما تشاء».

وعندئذٍ، طلب المقيم حضور ولي العهد الأمير الحسن وشقيقه

عبدالله، ولما حضرا. . قال للملك: هيا سنأخذك وولديك معك. وأشار إلى قائد الحرس الفرنسي إشارة متفقاً عليها، ونزع قبعته واخرج مسدساً غطاه بها وصوب ماسورة المدس إلى ظهر جلالة الملك وقال له: سر أمامي. . .

أما ولي العهد فقد اقتاده شرطيان وضع أحدهما مأسورة رشاشه بين أضلعه، وفعل شرطيان آخران مثل ذلك بالأمير عبدالله.

ووصل الملك ونجلاه إلى المشور فالتفت إلى قاعة العرش ليلقي عليها نظرة حزينة.

واقتربت ثلاث سيارات أَركبوا جلالة الملك في سيارة، وأَرْكَبُوا كل أمير في سيارة من السيارتين الباقيتين، وانطلقت السيارات الثلاث إلى مطار الرباط. ثم اقتادوهم إلى مكاتب قيادة السلاح الجوي فوضع الملك في غرفة ونجلاه كل واحد منهما في غرفة منعزلة.

ولما أزف وقت الرحيل. اجتمع الملك بنجليه في غرفة واحدة، استعداداً لركوب الطائرة، فاحتج ولي العهد قائلاً بأن والده لا يستطيع ركوب الطائرة لأنها مكان مغلق وطلب إحضار طبيبه الخاص فأحضروا طبيبه الخاص الدكتور دي بوا ففحصه وأكد لهم ما قاله سمو ولي العهد، ولكنهم تجاهلوا ذلك. . ثم اقتادوا جلالته ونجليه إلى الطائرة وكانت الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٢٠ آب ١٩٥٣.

ولما اتصل غيوم بوزير الخارجية بيرو وأنبأه باقلاع الطائرة العسكرية بالملك ونجليه قال بيرو بكل وقاحة: «هذا نصر للصليب على الهلال» فدلل بذلك على عقلية صليبية متأخرة وتابعت الطائرة مسيرتها الجوية، وبعد ثماني ساعات حطّت في مطار كورسيكا.

وحضر على الأثر والي الجزيرة فسلّم على جلالة الملك ونقله مع نجليه إلى سيارته ثم إلى منزله، حيث قدم لهم العشاء. . فأمسك الملك عن تناول الطعام بينما أقبل عليه بشهية نجلاه وكانا جائعين.

وعمت الفرحة الأحياء الفرنسية في المغرب، وصدرت الصحف في اليوم التالي تمجد بانتصار غيوم وعصابته.

وقبضت السلطات الفرنسية على العلامة محمد بن العربي العلوي وكان أشهر علماء المغرب، لأنه رفض الاعتراف بإمامة ابن عرفة الذي نصبه الفرنسيون سلطاناً جديداً على المغرب.

ولما وصل ابن عرفة إلى الرباط، بعد بضعة أيام لم يستقبله أحد من السكان سوى القبائل التي أحضرها الجلاوي والكتاني وقد اصطف فرسان الجلاوي ومشاة السنغال وقوفاً على جوانب الطريق وراحوا يهتفون للسلطان الجديد.



جلالة الملك محمد الخامس محاطاً بولديه ولي العهد مولاي الحسن والأمير عبدالله لدى وصوله الى مطار كورسيكا

لئلا ننسى

«عندما قال جورج بيدو وزير الخارجية الفرنسية كلمته المنقولة: «هذا نصر للصليب على الهلال» كان قد سبقه الجنرال اللنبي الانكليزي في عام ١٩١٧، عندما دخل القدس بمساعدة بدو سيناء، وبدو النقب وبدو الأردن، وفرقة من المجندين المصريين الذين كانوا يسيرون في مقدمة الجيش الانكليزي. فقال اللنبي لدى دخوله القدس: «اليوم انتهت الحروب الصليبية».

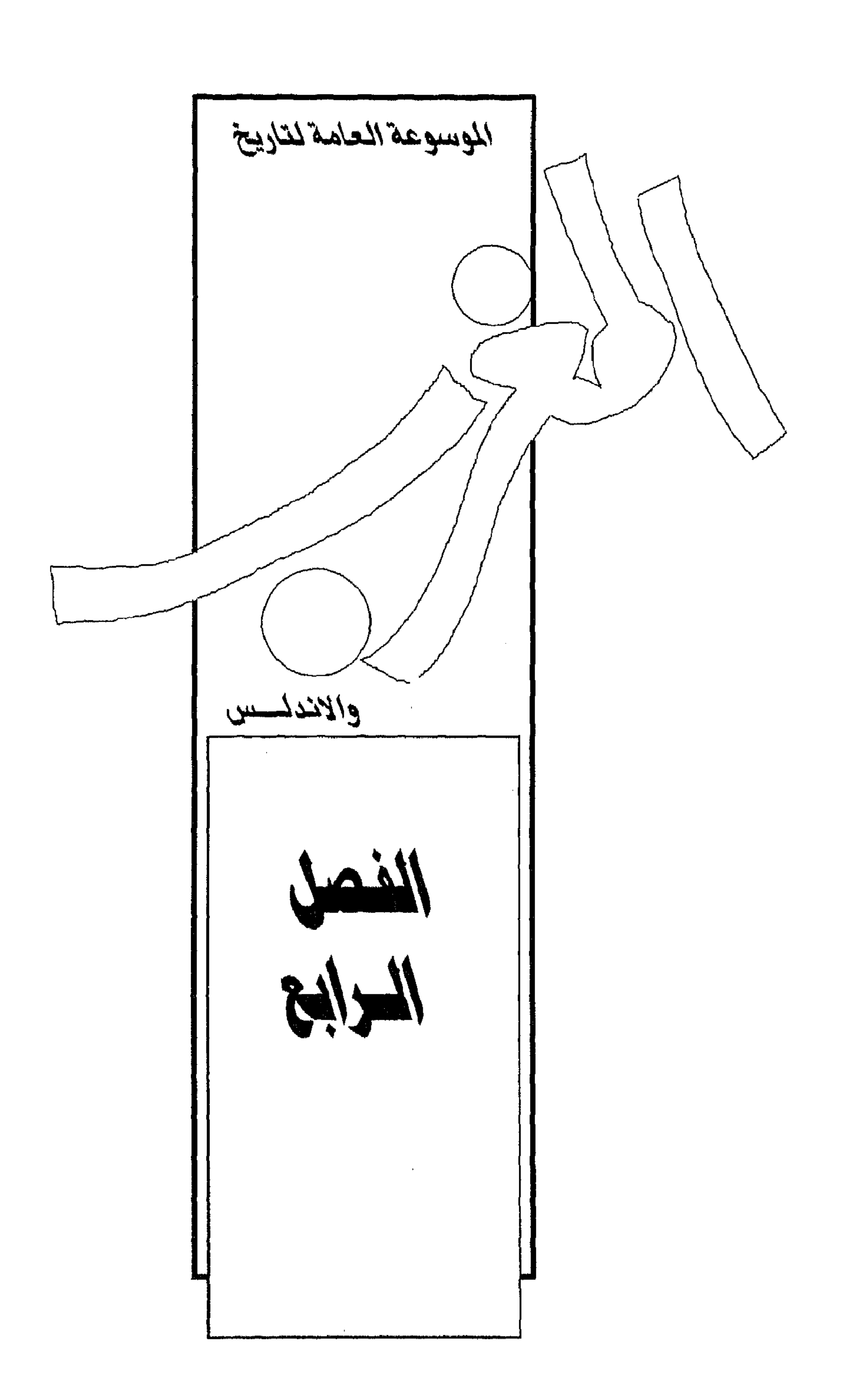
والجدير بالذكر أن المجندين المصريين الذي جمعوا من القرى المصرية بواسطة المخاتير وشرطة سلطان مصر، بالعصي والكرابيج واقتيدوا إلى معسكر الانكليز في القصاصين القريب من الاسماعيلية ـ كانوا على سذاجتهم من الوطنيين الذين خرج من أوساطهم أحمد عرابي قائد الثورة المصرية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر..

ولما اقتادهم المستعمرون الانكليز إلى القصاصين قبل الزحف على فلسطين الخاضعة وقتذاك للاحتلال العثماني ـ لحّن الشيخ سيد درويش الملحن والمغني الوطني المصري المشهور، نشيداً مطلعه: «يا عزيز عيني أنا بدي أروَّح بلدي» فالتقطها المجندون المصريون وصاروا يهتفون بها وهم يساقون في طليعة الجيش الانكليزي الزاحف على فلسطين كتعبير عن نقمتهم ضد عزيز مصر وهو السلطان الالباني أحد ورثة محمد علي وخديوية مصر..

أما البادرة العدائية الثانية فقد صدرت من الجنرال فوش الفرنسي، بعد معركة ميسلون القريبة من الحدود اللبنانية ـ السورية، وفي هذه المعركة هزم الجيش السوري الذي جمع على عجل من المتحمسين والوطنيين السوريين،

بعد أن كان الأمير فيصل وبناء على طلب الجاسوس البريطاني لورانس قد أرغم على حل جيش البدو الذي جمعه غودة أبو طابة عميل الانكليز في الأردن، وزحف به على دمشق واحتلها بعد طرد العثمانيين منها. . فلما توقف الانكليز عن مساندة فيصل في سوريا، جمع الشعب السوري جموعه وسار إلى ميسلون لرد الجيش الفرنسي الزاحف على سوريا.

وهكذا دخل فوش دمشق وتوجه إلى قبر صلاح الدين الأيوبي، وهناك قال مقولته الحاقدة: «لقد عدنا» أي لقد عاد الصليبيون يحتلون دمشق التي عجزوا عن احتلالها خلال الحروب الصليبية.



الفصل الرابع

ثورة الشعب المغربي انتصاراً للملك محمد الخامس

بدأت المقاومة ورد الفعل لدى الشعب المغربي في يوم خروج السلطان الدعيّ ابن عرفة إلى الصلاة. فتسلل شاب جريء يدعى علال بن عبدالله، عبر صفوف الحراسة المشددة حتى وصل إلى السلطان الدعيّ وكان هذا يمتطي جواداً، وفوق رأسه مظلة فانقض الشاب على السلطان الدعي فألقاه عن جواده، وفي اللحظة التي كان يهم فيها باغماد خنجره في صدره، أطلق عليه أحد الجنود الفرنسيين الرصاص فأرداه قتيلاً، فكان أول شهيد مغربي حر تصدر قوائم الشهداء بعد اعتقال الملك وأسره.

ولما حاول ابن عرفة الذهاب مرة أخرى إلى الصلاة شعر بوجود محاولة ثانية لاغتياله، فذعر وانخلع قلبه وكانت تلك المرة هي الأخيرة التي خرج فيها إلى الصلاة ـ فقد أدرك بعدها أن حياته أصبحت تحت رحمة الشباب المغاربة المتحمسين للانتقام.

أما مشاريع الاصلاح التي كانت دائما تتصدر لوائح المؤامرات الجلاوية ـ الفرنسية، فقد نشرت في الجريدة الرسمية بعد أن وقعها السلطان

الدعيّ. . ولكنها ظلت حبراً على ورق رخيص.

وفي فرنسا استقال ميتران وزير الداخلية في حكومة منديس فرانس عام ١٩٥٤، احتجاجاً على خلع الملك محمد الخامس وأعلن: «أن خلع جلالته قد زاد من الصعوبات» وقال شومان ودانيال ماير رئيس لجنة الشؤون الخارجية مثل ذلك.

وحملت صحيفة «تموانياج كرتيان» حملة شعواء على الحكومة الفرنسية فقالت: «أن فئة من موظفي الحكومة القائمين على خدمة المتمولين الكبار في المغرب، هم الذين أخرجوا هذه المهزلة وأساسها ثورة الاقطاعيين ضد الملك ـ الذي يعتبر المعقل الحصين لشعبه، أما وقد ذهب ضحية لجشع عصابة المستوطنين والنصَّابين، فإن استعمال القوة ضد شعب أعزل يعتبر جريمة، خصوصاً وأن هذا الشعب كان يثق بنا قبل أحداث أغسطس ـ ونحن الذين ألقينا به في هاوية اليأس».

وهكذا ارتفعت الأصوات تنتقد اقصاء الملك عن عرشه وكان من بينها صوت «كونت باريس» المطالب بعرش فرنسا، وأصوات جورج دوهاميل الأكاديمي المشهور وفرنسوا مورياك الذي كتب يقول: «لم يكن سيدي محمد بن يوسف قط أقوى منه اليوم، ونحن بحاجة للاعتماد عليه أكثر من حاجته للاعتماد علينا، وإذا كان جسمه فقط في قبضة أسرنا فإن روحه التي تحرك المغرب قد أسرت نفوس الملايين من المغاربة، بدليل امتناعهم عن اداء صلاة الجمعة لأن الحماية لا تسمح للخطباء بذكر اسمه على المنابر والدعاء له».

وبالرغم من أن المستوطنين استأجروا أقلاماً في فرنسا للافتراء على الملك، لكن تلك الأقلام المأجورة لم يكن لها أي تأثير على الرأي العام

الفرنسي، الذي كان يعتقد أن الملك أقصي عن عرشه بعد سلسلة من اجراءات الارهاب مارسها المقيمون العامون ـ وافتضحت في عهد المارشال جوان، ثم في عهد خليفته وحسب رواية مجلة «اسبري» الأدبية السياسية التي تصدر في باريس «لم يكن الجلاوي ولا الكتاني ولا رجال القبائل البربرية مسؤولين عن الحوادث بقدر ما كان المارشال جوان مسؤولاً عنها فهو الذي تمكن من تهيئة الأجواء خلال السنتين السابقتين، وقد أيدته في ذلك فئة من كبار الفيشيين السابقين ورجال يرغبون في الاثراء السريع، ورجال أعمال مفلسون».

وقابلت «الاسبرى» بين سقوط فرنسا سنة ١٩٤٠ وقيام حكم فيشي من جهة واحداث المغرب في الجهة المقابلة فقالت: «ما أشبه اليوم بالبارحة، فإن فرنسا تقف ملوثة في شرفها باسم الوطن أمام العالم، فنراها تسمح اليوم بقتل ونفي وسجن أولئك الذين كان يجب أن تحميهم وهم الذين وضعوا ثقتهم فينا، أن استعمال القوة على نحو ما جرى في المغرب أثار السخط في نفوس الملايين ضد فرنسا، والقوة التي تحكم المغرب اليوم غير واضحة لأنها مموهة بالكذب والفساد ومعسكرات الاعتقال، أن الآلاف من الأهليين قد زج بهم في المعتقلات، أو نفوا.. وشر من ذلك استخدام الدبابات في عزل الاحياء الوطنية، ونهب الحوانيت الوطنية، وهي الوسائل نفسها التي مكنت فرق الصاعقة النازية من الحصول على القوة في المانيا».

وكتبت جريدة المانشستر غارديان اللندنية في ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ سنة ١٩٥٤ بعد أكثر من سنة على اقصاء الملك ما يلي: كانت الغلطة الفادحة التي ارتكبتها حكومة «لانيل وبالأخص الوزير بيرو في سماحها بالدعاية ضد الملك محمد الخامس، ثم أن اقصاءه تحت الضغط عملية واضحة جداً، وقد اعترف «لانيل» بعد مضي سنتين على الحادثة بمسؤولية

حكومته، عندما قال في خطاب ألقاه بتاريخ ٢٤ حزيران سنة ١٩٥٥ : «لقد تطلبت سلامة الحماية «وسلامة الملك نفسه أن يزاح هذا الأخير فوراً وهكذا نفذت الخطة» ولكن الأمن لم يستتب حتى بالرغم من أكاذيب رئيس الحكومة الفرنسية.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الذين انتصروا في المغرب لم يفرحوا تماماً بانتصارهم فبالرغم من أن بعض المتعاونين مع الحماية قد أعطوا مناصب في الادارة، وآخرين رقّوا وانهالت عليهم أوسمة «اللجيون دونور» فإن أطيب الثمار انتزعت من أولئك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم حريين بها، من أمثال الجلاوي، وهو القوة الحقيقية المتربصة وراء العرش، ولكن نفوذه بقي على حاله ولم يزدد ولم ترتفع مكانته، وقد كانَ يتوقع أن يولّى ابناؤه الوزارات، وينعم عليهم بالباشاوية التقليدية ليصبحوا حكاماً للمدن الكبرى، لكن الاقامة العامة لم تقص الملك الشرعي الذي كانت تخاف من نفوذه القوي لتزيد في نفوذ الجلاوي وابنائه، ولأن وضع «المخزن» وإدارة الولايات تحت نفوذ الجلاوي ومناصريه قد يكون معناه في النهاية وضع مصالح فرنسا في مركز أكثر حرجاً من وضعها السابق مع الملك محمد الخامس.

رسالة المستوطنين الفرنسيين إلى رئيس جمهوريتهم

في أيار/ مايو بعث سبعة وخمسون من كبار الفرنسيين في المغرب رسالة إلى رينيه كوتي رئيس جمهورية فرنسا الجديد، يرجونه أخذ الأمر بعين الاعتبار قالوا فيها: «أن التخويف الذي كانت سياستنا تضمره لسنوات قد اثبت فشله يضاف إلى ذلك أن الأخطار الراهنة تحول دون التوفيق بين المغاربة والفرنسيين، وبدلا من أن تحل المشاكل ازدادت تعقيداً في جو يتعذر فيه ادخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لرفع مستوى المغاربة، ولا يمكن تحقيق الاصلاح بدون مساعدة السكان

المغاربة، ولكن الخلط بين المقاومة السلمية، والثورة ومعاملة جميع أولئك الذين يسيرون في بلادهم على نهج يختلف عن وجهة نظر الحاكمين، كأنهم أعداء لفرنسا معناه تهيئة الجو للترويع وتبرير الترويع والتخويف. .

ثم أن الحاجة العملية الملحة للتعامل مع مفاوضين مسؤولين تفرض علينا اطلاق سراح جميع المسجونين بسبب آرائهم السياسية فقط. واننا نؤكد لك يا حضرة الرئيس أن عملاً كهذا إذا شرع بتنفيذه ـ ولو كان معناه العدول عن السياسة المتبعة منذ ديسمبر سنة ١٩٥٠ سيكون من شأنه كسب تأييد غالبية السكان في هذه البلاد».

تمسك الشب المغربي بالشرعية

كانت العواطف الانسانية المتقدة، تتدفق وتتفاعل في اتجاه سيدي محمد بن يوسف ملك البلاد الشرعي، والأماني والطموحات تؤازره، وطائر اليمن يسير في ركابه محلقاً بأجنحة العواطف والميول.

وانطلقت الأزمات الحادة من عقالها لتجابه حكام فرنسا الظالمين المتواطئين مع سلطات الحماية، والمستوطنين العنصريين ـ بالحقيقة الصارخة التي تقول: بأن جهودهم كلها ما هي الا فقاقيع في الهواء أو فقاقيع آنية لن تلبث أن تزول وتتلاشى عندما يرتفع هدير الشعب الصاخب عالياً.

وانطلقت بوادر الأزمة من شمال المغرب الخاضع للحماية الاسبانية عندما تحرك مولاي الحسن بن المهدي خليفة الملك في تطوان الذي أعلن عن تمسكه بالشرعية ورفض الاعتراف بالذعي ابن عرفة. فاضطرت اسبانيا بدورها إلى عدم الاعتراف بالاجراءات الفرنسية الجائرة، والاستبداد الفرنسي الغاشم، وتحركت أيضاً الأحزاب الوطنية في الشمال وراحت تقنع السلطات الاسبانية بالموافقة على أن يصبح شمال المغرب القاعدة الوطنية

التي تنطلق منها الحركة الوطنية العاملة على إعادة الملك المبعد إلى عرشه في الرباط.

على كل لقد كان خليفة السلطان الحسن بن المهدي في تطوان واعياً يقظاً وفي منتهى الحذر لئلا تعمد حكومة اسبانيا إلى التفاوض مع الحكومة الفرنسية على تقسيم المغرب باعطاء اسبانيا مدينة فاس وتنصيبه ملكاً على القسم الخاضع لاسبانيا.. كل هذه الأمور ظلت حبيسة في النوايا ولم ترَ النور.

تدهور العلاقات العربية ـ الفرنسية

واجهت فرنسا تحركاً عربياً في المشرق العربي أدى إلى تدهور العلاقات الفرنسية مع الدول العربية من جهة وجامعة الدول العربية من جهة أخرى.

وراحت إذاعة «صوت العرب» من القاهرة تصور بحملاتها المتواصلة فرنسا بالدولة المستبدة التي ما زالت تتمسك بعناد وتصلب بمبادئها الاستعمارية المرفوضة عالياً والممجوج إسمها في كل الأفواه..

كما انطلقت تذيع الأناشيد الثورية محرضة المغاربة على اشعال نار الثورة على أدعياء الحرية والعدالة والمساواة.

وكانت الحكومة الفرنسية قد وضعت يدها على أموال الملك المحتجز في جزيرة كورسيكا فأخذت تحسم منها مليون فرنك في كل يوم بحجة تسديد نفقات الملك ونفقات سجّانيه...

نقل الملك إلى مدغشقر

والأغرب من ذلك كله أن الحكومة الفرنسية رفضت طلباً من الملك

لنقله إلى فرنسا ولكن الفرنسيين أصروا على نقله مع عائلته التي انضمت إليه في كورسيكا ـ إلى جزيرة مدغشقر تمهيداً لنقله إلى جزيرة تاهيتي.

وفي آخر الأمر نقل جلالته إلى جزيرة مدغشقر وكانت تسمى في ذلك الوقت باسم «جزيرة الشيطان» لأن فرنسا أقامت فيها معتقلاً أفظع من معسكرات النازيين لجميع السياسيين، للتخلص منهم بوسائل القمع والتعذيب والتشغيل في الأشغال الشاقة.

وتم نقل جلالته مع أسرته في ٢٩ يناير إلى مدغشقر في المحيط الهندي. ولكن الحكومة الفرنسية أبقته بعيداً عن السجن الجهنمي المذكور. وكان الاستعمار الفرنسي مثل الاستعمار البريطاني يكذب ويلفق التهم ضد الوطنيين الأحرار من أبناء البلاد سواء في ذلك رؤساء الجمهورية والحكومة وكل المسؤولين ليبرروا وجودهم في تلك البلاد وكان الجنرال غيوم مثل أسياده في فرنسا ضليعاً بفنون الكذب والتضليل وتلفيق التهم ضد الملك المبعد وولي عهده الأمير الحسن، ولكن أكاذيبه وتلفيقاته كانت من النوع الذي لا يعيش طويلاً إذ سرعان ما كانت تنكشف وتنقلب عليه.

البرقيات المزعومة

ومن جملة أكاذيبه تلك التهمة التي لفقها ضد ولي العهد الأمير حسن عندما اتهمته بأنه أرسل برقيات إلى الاستقلاليين في وجدة يحرضهم فيها على الثورة، يوم أن هاجمت القبائل مدينة وجدة وقتلت عدداً من الفرنسيين وقد مهّد الجنرال غيوم لتهمته الملفقة تلك بتسليم مدير جريدة «لورو» الفرنسية، صور البرقيات المزعومة وكان غيوم قد عرض البرقيات على الحكومة الفرنسية في ١٧ أغسطس عام ١٩٥٣، لذلك أطلقت يده بإلقاء القبض على الأمير الحسن وتقديمه إلى المحاكمه. بتهمة تحريض القبائل

والسكان في وجدة. وجيء بعدد من المتهمين للادلاء بشهاداتهم ضد الأمير، ويبدو أن معظمهم أصروا رغم تعذيبهم على أنهم أبرياء من التهمة الملفقة ما عدا واحداً منهم كان قد انهار تحت وابل التعذيب، فجيء به إلى المحكمة ليدلي بشهادته، ولكنه سرعان ما نفى التهمة أمام هيئة القضاء وقلب السحر على الساحر، فاعترف بأن السلطات التي كانت تعذبه طلبت منه أن يلقى بشهادة تدين الأمير الحسن، فأقرهم على ذلك ليتخلص من التعذيب. . وهكذا ثبت للمحكمة بأن الشهادة لقنت للمتهم أثناء تعذيبه، كما أكد سائر المتهمين بأن ولي العهد لم يرسل لهم تلك البرقيات.

وجاءت شهادة مدير جريدة لورو لرجال المباحث القضائية ضغثاً على إبالة. . عندما أخبرهم في باريس بأن الاقامة العامة هي التي سلمته صور البرقيات المزعومة وألحت عليه بنشرها بعد شهرين من ابعاد الملك. .

وبالرغم من تبرئة ولي العهد من التهمة الملفقة فإن السلطات الفرنسية محافظة منها على ماء الوجه اوعزت إلى هيئة المحكمة المضي في اجراء محاكمة المتهمين الآخرين الذين جيء ببعضهم للادلاء بشهاداتهم المزيفة ضد ولي العهد.

ولكن كيف جرت الأمور بعد القبض على السلطان ونجليه وابعادهم جميعاً إلى كورسيكا؟.

هذه الأمور بقيت مظاهرها على حالها فالشعب المغربي أصيب بصدمة عنيفة مثل «صدمة الحرب» التي تشل إرادة المحاربين في أول الأمر إذ خيمت سحابة من الذهول على الشعب المغربي، فراح الناس يتساءلون ويلغطون ماذا جرى؟ وإلى أين اخذوا الملك ونجليه، ولما أذيعت أنباء استبدال الملك الشرعي، بابن عرفة انقشعت الرؤية وانفضحت المؤامرة، فاستجمع

الشعب المغربي إرادته وأخذ يلملم شتات نفسه وأفكاره، ويتلفت حوله ملتمساً العون والمساعدة.. من وحي أو الهام.. أَوْ مِمَّنْ تبقى من المخلصين الأوفياء البواسل..

وقد زعم بعض الكتاب الفرنسيين بأن المفاجأة والذهول اللذين شده بهما الشعب المغربي قد تحولا إلى يأس وقنوط وتلك أكذوبة دعائية.. لأن الشعب المغربي سرعان ما استرد رشده ووعيه وبوادر اليقظة والحماسة.

الشعب يرى صورة مليكه في القمر

ونسوق إلى القراء الصورة الحقيقية التي كتبها روم لاندو وكان قد حل في المغرب بعد ابعاد الملك بثلاثة اسابيع: قال وهو يصف الوضع كشاهد عيان: «وفجأة أصبح سيدي محمد بن يوسف في خيال الناس شهيداً يطل عليهم من السماء، فكانوا إذا رفعوا رؤوسهم إلى السماء يرون صورة الملك في القمر الجميل الذي يطل عليهم من أعالي الفضاء.. وهكذا أصبح الملك في ضمير الشعب شهيداً ووليّاً».

«ففي طول البلاد وعرضها من وجدة إلى تافيلالت، ومن طنجة إلى غوليمين على أطراف الصحراء، كان الرجال والنساء والأولاد يتجمعون فئات.. فئات.. رافعين عيونهم نحو القمر حيث كانوا يعتقدون أن صورة سيدي محمد موجودة فيه[1] أن الهزة العنيفة التي أوجدتها أحداث شهر آب جعلت الشعب المغربي يرى صورة مليكه في القمر بعد أن انتزعت صوره من الحوانيت والمنازل وجنبات الشوارع بحيث لا يستطيع حتى المقيم العام أن يزيلها. وانطلقت الجماهير المسلمة بأصواتها الهادرة تهتف وتردد النشيد الأبدي الخالد: الله أكبر الله أكبر. وبصورة لا شعورية أخذ روم لاندو يهتف

(١) اقتبستها جريدة كومبات الصادرة في ٦و٧ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٥٣.

ويصيح الله أكبر الله أكبر.

«أما وقد أصبح سيدي محمد بعيد المنال، وهو نقطة ارتكاز للشعور الوطني، فقد أصبحت قوته ومكانته ظاهرة عجيبة جديدة».

وذلك ما جعل الأديب الفرنسي الكبير فرنسوا مورياك يكتب قائلاً: «لم يكن سيدي محمد بن يوسف قط أقوى منه اليوم ونحن أكثر اعتماداً عليه من اعتماده علينا، أن جسمه فقط أسير بين أيدينا، أما هو فانه قد أسر نفوس الملايين من المغاربة وقلوبهم ـ أولئك الذين يمتنعون اليوم عن إداء فريضة «الجمعة» لأنه لا يسمح فيها بذكر اسمه على المنابر»[١].

هكذا كان يكتب الفرنسيون الشرفاء دحضاً للأكاذيب والادعاءات والفرنسيون الكبار في باريس ومثلهم المستوطنون الفرنسيون ودوائر الحماية في المغرب، الذين تبادلوا الأنخاب وانتشوا فرحاً وسروراً بابعاد الملك.. سرعان ما شعروا بعد بضعة أسابيع فقط من ابعاده، ذلك أن جلالته كان قد اعتقل اثناء العيد الكبير ـ عيد الأضحى المبارك وسرعان ما اتضح للشعب الوفي أن اعتقال الملك في عيد الأضحى هو كفر.. واهانة.. فثارت ثائرة المغاربة.. وانطلقت الصيحة مدوية: الويل للفرنسيين أعداء الله..

الشعب المغربي يبحث عن القادة

وراح الشعب المغربي يبحث عن القادة لكي يقودوا الصفوف بنظام ثوري متطور، ولكن القادة كانوا في المعتقلات ولم ينج منهم سوى الزعيم أحمد بلفريج الذي هرب إلى نيويورك، والزعيم علال الفاسي الذي بقي في القاهرة يعمل جنباً إلى جنب مع الأمير عبد الكريم الخطابي..

---

(١) La vigie Marocaine. August. 23 - 1953.

حركة الضباط والثورة في مصر

حتى مصر نفسها لم تعد مصر الملك فاروق ولا مصر الأحزاب المتقلِّبة التي لا يثق بها الشعب المصري. . أنها الآن مصر جمال عبد الناصر الذي قاد مع زملائه الضباط حركة الانقلاب العسكري الذي أطاح بفاروق والأحزاب المصرية. . وهو انقلاب كبير أكبر من الثورة الفرنسية وأعظم فلم تسفك فيه دماء الملك وزوجته وحاشيته والباشاوات والباكوات ورجال الاقطاع لقد كان انقلاباً ابيض جامعاً لكل فضائل الثورات الوطنية دون أن تسفك خلاله نقطة دم واحدة.

حرب التحرير المغربية

وبالرغم من اعتقال معظم أركان حزب الاستقلال الكبار فقد بقي الذين هم أقل رتبة في الحزب منتشرين في المدن وبعضهم التجأ إلى الجبال والصحراء المغربية وبما أن فرنسا قد لجأت إلى العنف والقتل والتشريد والاعتقالات، وابعاد الملك وولي عهده، وخنق الحريات الأساسية فإن عنف السلطة صار من الواجب أن يجابه بعنف مماثل.

وفرنسا بالرغم من تجاهلها كانت تعرف طبيعة الشعب المغربي المتأججة بالعواطف الوطنية وتعرف تاريخه النضالي منذ ثلاثة آلاف سنة «وفقاً للتاريخ» ذلك أنه منذ ثلاثة آلاف سنة لم يتخل الشعب المغربي: ملوكه الاقدمون ـ وأئمته وخلفاؤه وملوكه المسلمون عن القتال بكل أنواع الأسلحة التقليدية المتاحة في كل تلك العصور، فحب القتال توراثه الشعب المغربي جيلاً بعد جيل.

إذن، فالشعب المغربي محب للقتال. . ولقد كان الفرنسيون هم البادؤون بالتحرش به فعليهم الآن أن يتحملوا العواقب والمغبات. . ارادوا

أن يسفكوا دماء المغاربة! إذن. . فليشربوا من كؤوس الدماء حتى الثمالة. . .

لقد بدأت حرب التحرير الوطنية ضد الطائرات الفرنسية والدبابات والمدافع والجيش الفرنسي والفرق الأجنبية والسنغال والمظليين المغاربة في الجيش الفرنسي.

فالشعب المغربي القوي الشعور بماضيه وتاريخه وحضارته على مدى ثلاثة آلاف سنة لن ترهبه نيران الفرنسيين وأن تنوعت الأسباب فالموت واحد سواء كان بقذيفة مدفع أو بطعنة سيف. .

وبدأت الحملة بالارهاب كما كانت تصفها الصحف الفرنسية، «وبحرب التحرير» كما أرادها المغاربة.

أجل! بدأت حرب التحرير المغربية بطريقة لم يكن الفرنسيون يتوقعونها فبينما كانوا يعتقدون أن الضحايا الأوائل سيكونون من الفرنسيين وإذا بالضحايا الذين راحوا يتساقطون يومياً كانوا من المغاربة الخونة ـ الذين كانوا عيون وآذان سلطات الحماية. . ولما سأل روم لاندو، أحد أبناء البلاد عن السر في قتل المغاربة؟ قيل له: «قبل أن نهاجم الفرنسيين يجب أن نجردهم من عيونهم وآذانهم أي من الجواسيس المغاربة.

ففي الهجمة الأولى التي شنتها «قوات حرب التحرير المغربية» جرت تصفية الجواسيس المغاربة والمتعاونين مع «الحماية» ومن المغامرين أصحاب الحوانيت. . وكان هؤلاء جواسيس في الأسواق يشكلون أكبر خطر على الحركة الوطنية ـ فجرت تصفيتهم على الفور، وراحت الهجمات والضربات المتوالية تتناولهم واحداً واحداً في ظلام الليل عبر الأزقة والمنعطفات.

وكان أحد المناضلين يمتطي دراجه حتى إذا صار في محاذاة أحد الخونة أطلق عليه الرصاص مباشرة من يده القابضة على زناد المسدس، فيرديه قتيلاً ثم يختفي وكأنه شبح من الأشباح. فإذا حضر البوليس لم يرَ أمامه سوى القتيل المضرج بدمه، أما الفاعل فإنه سرعان ما كانت تفتح له كل أبواب المنازل لإخفائه.

وازدادت حيرة المشرفين على الأمن فضاعفوا عدد رجال البوليس، وأنشؤوا قوة خاصة للتدخل السريع وفي اليوم التالي عثر على جثة ضابط «القوة الخاصة» ملقاةً في أحد الشوارع الفرعيَّة فراحت السلطات تلقي القبض على كل من هبّ ودب..

وفي هذا السعير المتأجج بالحقد والألم، راح أبطال التحرير يلقون قنابلهم في ميدان السباق المركزي والأسواق الكبرى في الدار البيضاء ويصفّون في الوقت نفسه «غلاة المستوطنين».

ولجأت سلطات الحماية على عادتها إلى الكذب والتلفيق فراحت تلقي التهم جزافاً على «عصابات المجرمين» دون أن تسمي الأشياء باسمائها فانبرت إليها الصحف الفرنسية وفي مقدمتها صحيفة temoignage chrétien في ١٤ كانون الثاني ـ يناير ـ سنة ١٩٥٤ قائلة: «على عكس ما ادعته الحكومة الفرنسية بجرأة فان ابعاد السلطان لم يسفر عن انتهاء الأزمة، أننا لن نثير ضجة حول ما يجري حاليا في المغرب، من زيادة القوات البوليسية في الاحياء الاسلامية، والقبض على الوطنيين بالجملة، وظهور «حركات التحرير» وانعدام الأمن، بسبب وجود سلطان مجهول لا يعترف به أحد، وهو من الضعف بحيث لا يستطيع أن يتدخل في هذا النزاع الناشب».

ونشرت الفيغارو تقريراً من ستة أعمدة بعث به مراسلها الخاص من

المغرب وهو دليل على مدى انتشار حملة جيش التحرير لانقاذ الوطن، فقد كتب المراسل يقول: «أن الارهاب في ازدياد، وقد حدث أكثر من ٢٠٠ اعتداء في الأشهر الأربعة الماضية، وشعور الأوروبيين بالخوف يزداد.. والناس يترددون في ركوب القطار ويتجنبون السفر ليلاً، فلنكف عن خداع انفسنا، فالشر عميق الجذور، ولن تجتثه اجراءات البوليس» ومع ذلك وبالرغم من أن جميع الزعماء الوطنيين ـ حتى أولئك الذين هم من الطبقة الثانية ما زالوا في السجون، فإن حركة المقاومة ما تزال تنظم بسرعة، وحتى أن الصحف الاستعمارية اعترفت بأن «الارهاب» كان يتغلب على السلطات بالرغم من تفوقها العظيم في التنظيم والسلاح.

وتساءلت صحيفة ماروك برس في ٢٧ أيلول عام ١٩٥٣.. تقول: أن حاكم الدار البيضاء الجديد قد عجز عن الاحتفاظ بادعاءاته السابقة من أن «كل شيء على ما يرام» لأنه استنجد بالأهلين في نداء عام وقال لهم: يجب أن تنظروا إلى أنفسكم على أنكم تدافعون عما هو لكم عندما تساعدونني على اكتشاف المحرضين والقضاء عليهم».

ولكن أحداً من «الاهلين» لم يلب نداءَه فراحت صيحته في واد.. وقد اقتصرت حركة التحرير في بادىء الأمر على المدن ولكنها سرعان ما خرجت من ذلك النطاق لِتَنْتَشِر في المناطق الصحراوية.

قرعت جريدة التايمز اللندنية الواسعة الانتشار في آذان الفرنسيين جرس الانذار بقولها: «أن الضغط يولد الانفجار والارهاب يؤدي إلى الضغط، إذن فالفوضى هي الحصيلة في المغرب..».

ارهاب البوليس الفرنسي

وفي ربيع سنة ١٩٥٤، اشتعلت البلاد بالثورة فكتبت صحيفة لوموند

في ٦ أيار تقول: «الاهلون يخافون من ارهاب البوليس الفرنسي ويخشى الفرنسيون رصاص الوطنيين وقنابلهم.. والارهاب يجري في المغرب مباراة رياضية.. ومن البذيهي أن مثل هذه الحركات يجب أن تنال تأييد الشعب كي تكون ناجحة».

وأشار روم لاندو إشارة ذات مغزى حين قال: «لم يكن الفرنسيون وحدهم الذين يعيشون في خوف دائم من الأخطار اليومية التي كان يسبِّبها لهم رجال المقاومة، فالأهلون يتحملون قسطاً من الارهاب أيضاً. «فإن المغاربة كائنة ما كانت وسائلهم واعمارهم ومواقفهم كانوا يرتعشون فرقاً من أهوال التعذيب أنهم معرضون للانتقام والتقييد والنفي والسجن وانتهاك الأعراض والسرقة، وما إلى ذلك من المعاملة السيئة وشرها جميعاً هو الموت».

إذن، فقد كانت سلطات الحماية تصب جام غضبها وعنفها فوق النيران المتأججة. دون أي شعور بالمسؤولية.. مقيم عام يُسحب ويأتي بعده مقيم عام جديد يحمل في رأسه نفس نوايا الشر للشعب المغربي.

وقد كتب هنري سارتو يقول: في المدن وخاصة في الدار البيضاء، نجد أن المراقبة البوليسية، وضيق النظر الذي تبديه «الاقامة العامَّة» قد بلغا حداً، لم يعد يشعر معه أي مغربي بأنه في وسعه أن يظل حراً من الصباح إلى المساء، فمجرد خلع الزي الوطني أو اطلاق شعر الرأس أو شعر العارضين، أو المجيء إلى المدينة أو الخروج منها كل هذه الأمور كانت تعتبر شعارات وطنية تؤدي بصاحبها إلى السجن».

«وأصبح من النادر جداً حتى على الأسر المتوسطة، أن تنجو من الملاحقة والارهاب البوليسي الفوضوي، فما من أُسره الا وقبض على فرد

أو أكثر من افرادها وزج به في السجن أو أبعد أو حقق معه. وموررست خلال التحقيق صنوف التعذيب والتنكيل. وبعض الأفراد كان يلقى عليهم القبض عدة مرات في الشهر الواحد.

وكانت اجراءات القمع تمارس بين الجدران فلا أحد يرى أو يسمح له برؤية ما يجري في غرف التعذيب لأن البوليس أقام جداراً حديدياً بين السجون والصحافيين والمراسلين والزوار والسواح.. لا بل حتى الشخصيات الفرنسية من وزراء ووكلاء وزراء كان البوليس الفرنسي لا يسمح لهم برؤية ما يجري في غرف التعذيب.

رجال التحرير يقاومون الارهاب الفرنسي

وكان رجال التحرير يقاومون الارهاب البوليسي وفرق القناصة التي شكلها المستوطنون الفرنسيون لاصطياد المغاربة الأبرياء ـ المارين في الشوارع ـ وطرق أحيائهم الاسلامية، برصاص بنادقهم ـ كما كان للمغاربة في كل يوم اساليب جديدة منظمة وممارسات تنخلع لها قلوب البوليس وأعوانه من المستوطنين.

ومن تلك الأساليب أنهم لجأوا إلى أعمال التخريب لتدمير مصالح الفرنسيين المستوطنين ففي ربيع وصيف سنتي ١٩٥٤و١٩٥٥ أحرقوا حبوب وغلّات المستوطنين الفرنسيين مراراً وتكراراً، كما أحرقوا المباني الفرنسية والتجارية والصناعية، وقلبوا القطارات واخرجوها عن السكك، واحرقوا السيارات، وعطلوا العديد منها، ونسفوا حوانيت الفرنسيين في الليل. وحرموا على الفرنسيين البقاء في مزارعهم ليلاً، كما حرموا عليهم ليلا مغادرة أحيائهم الخاصة بهم، مما اضطر الفرنسيين إلى تهريب ابنائهم وزوجاتهم إلى فرنسا، ولأول مرة منذ عام ١٩١٢، شرع المستوطنون

بالعودة إلى فرنسا هروباً من جحيم المقاومة.

وقد صدق من قال: «أن كؤوس الانخاب التي تجرعها الفرنسيون بعد إبعاد ملك البلاد عادوا فتقيئوها دماً..

وفي أوائل عام ١٩٥٤ بدأ المغاربة يشنون حملة شعواء على البضائع الفرنسية فقاطعوها جملة وتفصيلا فتوقفت أعمال الاستيراد من فرنسا ولم يعد يجرؤُ أي تاجر أو بائع مغربي على استيراد البضائع الفرنسية، وامتنع المغاربة عن التدخين لأن صناعة التبغ كانت محتكرة بأيدي الفرنسيين وهي أحد المصادر الهامة للضريبة الفرنسية وكان القسم الأكبر من هذه الضريبة يدفعه المغاربة الذين يكوّنون ٩٠ في المئة من مستهلكي التبغ.

ولو كانت الحركة الوطنية ـ كما كانت تقول أبواق الاستعمار ضئيلة لا قيمة لها، لما نزل المواطنون المغاربة عند رغبتها عندما امتنعوا عن التدخين. ولم يسبقهم إلى هذا الفخر أحد في العالم...

أنه التضامن الذي يتجاهله الفرنسيون، ولكن الوطنيين كانوا يتمسكون بالتضامن، ويضحون بمصالحهم، ويعمدون إلى فضيلة انكار الذات، لتدمير نظام الحماية والوجود الفرنسي على أرض المغرب، وقاطع المغاربة مقاهي الفرنسيين وحاناتهم ومراقصهم ودور السينما وكل الحوانيت الفرنسية.

المرأة المغربية تشارك في حرب التحرير

وأسهمت المرأة المغربية في الحرب التحريرية إسهاماً كبيراً برهنت فيه على أن وعيها الوطني لا يقل عن وعي الرجل. فكانت تحث زوجها إذا كان «خاملاً» أو «متواكلا» على مشاركة رجال التحرير في نضالهم الصادق. وكانت ترسل أبناءها بحماس للعمل مع رجال التحرير لينالوا شرف الجهاد،

وشرف الاستشهاد. . فليساعد الله قلوب الأمهات!

فرنسا وسياسة التجاهل

وظلت سلطات الحماية تتغنى وتتبجح بالاجراءات البوليسية، كما ظلت تردد معزوفة القمع والقتل والمصادرة والتنكيل. . إلى أن أصبحت أصواتها وأبواقها ممجوجة مكروهة حتى من المستوطنين الفرنسيين أنفسهم. .

وكانت الأصوات الفرنسية الحرة المستنكرة «للجمود» والتنغيم بالقمع الممل، تزداد استنكاراً لما يجري في البلاد.

وحتى عام ١٩٥٢ كان الرأي العام الفرنسي أقل تأثراً بالتصريحات الرسمية فيما يتعلق بالمغرب.

ولما كانت السلطات الفرنسية ما تزال تتظاهر بالصمم تجاه الاحتجاجات الصادرة من الفرنسيين ذوي الآراء الحرة، فقد كتب فرانسوا مورياك مقالاً قرع فيه آذانهم عندما قال: «ليس في فرنسا من يستطيع أن يدعي بعد اليوم، أننا نعرف ما يجري في المغرب».

ومع ذلك فقد استمرت الحكومة الفرنسية على تجاهلها وبعد سنتين أي في عام ١٩٥٤ ظلت تطنطن بمعزوفة السلطان الدعي، وتزعم بأن الشعب المغربي ما زال يدين بالولاء له وأما السلطان الشرعي فكانت تزعم بأنه «نُسي» أما الانتفاضات المدوّية الجارية فإنها من عمل بعض «رجال العصابات وتشير بطرف خفي إلى بعض بقايا حزب الاستقلال، وكثيراً ما كان المذيع في اذاعة باريس يصاب بالسعال والكحة والاختناق وهو يردد هذه المزاعم.

وبلغ من قوة التعبير لدى الصحف الفرنسية الحرة، أنها أخذت خلال حوادث عام ١٩٥٥ تردد. . «أننا نمارس كل شيء الآن، كما كان يفعل هتلر من قبل. .

صحيح أن السلطان المبعد كان يقيم في مدغشقر من وجهة نظر الحكومة الفرنسية ولكنه من وجهة نظر المغاربة كان يقيم في قلوبهم في اطار الحب الخالد.

ومما زاد في حيرة موظفي دوائر الحماية في المغرب أن السلطان الصوري الجديد توقف عن الذهاب إلى المسجد لاداء صلاة الجمعة خوفاً من الاغتيال، ثم انتقلت العدوى إلى الشيوخ والوعاظ منذ حوادث آب ـ أغسطس ـ عام ١٩٥٣ عندما وجدوا انفسهم أمام أمرين أما أن يعظوا في مساجد فارغة أو أن ينقطعوا عن الوعظ فانقطعوا. .

وفي تشرين الأول من عام ١٩٥٣ وفي كانون الأول عام ١٩٥٤ ذهب روم لاندو لمراقبة المصلين في جامع طنجة الكبير وهو يتسع لبضعة آلاف من المصلين فلاحظ أنه في أيام الجمع المتتابعة لم يدخل الجامع أكثر من ١٠٠ مصلٍ وهؤلاء كانوا في نظر المغاربة وكأنهم خارجون على الدين الاسلامي.

لقد ازداد السلطان المبعد قوة ونفوذاً بعد ابعاده وازداد تعلق الشعب المغربي به، وكانت صُوَرُه وإن لم تكن معلقة في البيوت والمنازل، فهي موجودة في قلوب المغاربة جميعهم. .

لقد كان جلالته تجسيداً حياً لاماني شعبه، واسطورة خالدة تعمل في نفسه وتتفاعل معها بقوة الحب والوفاء والاخلاص هذا بالرغم من تهجم البوليس على المنازل للقبض على من فيها إذا عثر على صورة الملك محمد

الخامس وكانت صورة الملك دليل اعتراف بالولاء لجلالته. . يصعدون في الليل إلى أسطح منازلهم ويصيحون: «يحيا سيدي محمد بن يوسف» وقد روت التايمز في ٩ تموز سنة ١٩٥٤ «أن هتافات «يعيش محمد بن يوسف» قد تلاها اشتباك عنيف مع البوليس ثم انتهى الأمر بأن اعتدى المتظاهرون على منازل الأوروبيين».

ابن عرفة يتهدد الشعب المغربي

وهكذا خابت آمال أنصار ابن عرفة، وكان أشدهم خيبة تهامي الجلاوي الذي ساقه إلى العرش وسنده بيديه طيلة هذه المدة، إلى أن ادركه اليأس، فقد كان ابن عرفة رجلاً لا يستطيع أن يفعل شيئاً يسر انصاره من مغاربة وفرنسيين واصبح في نظر الجميع مجرد «ختم» من الطاوتشوك، يطبع ويختم كل مرسوم جديد تقدمه له الاقامة العامة وبمثل هذه السهولة تخلى عن سلطات السلطنة التي أصبحت تنهب وتسلب يومياً بواسطة المراسيم التي كان يختمها ويوقعها. . فجعل الفرنسيون يسيطرون على مجلس الوزير الأكبر وألغى «يوم العرش» وفي ١٠ ايلول ١٩٥٤ وقع مرسوماً نقل بموجبه سلطته التشريعية إلى مجلس وزراء ومديرين مكوّن من ١٦ رئيس دائرة فرنسية، و١٤ مغربيا. وفي ١٩ ايلول، وقع مرسوماً آخر وافق فيه على المقترحات الخاصة بالانتخابات البلدية، ففي المدن الست الكبرى وهي فاس والرباط والدار البيضاء ومراكش ووجدة واغادير صار الأعضاء المغاربة والفرنسيون متساوين وقد طبق هذا الاجراء على ١٢ مدينة أخرى فبلغ مجموعها ١٨ مدينة. وبعد بضعة اسابيع من وصوله إلى العرش حول ابن عرفة البلاد من «محمية» إلى «مستعمرة»، كل ذلك بموافقته ومراسيمه التي كان يختمها. . لذلك اطلق عليه اسم «الختم الكاوتشوك».

وفي ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٥٤ وجه «ابن عرفة» انذاراً إلى المغاربة

انذرهم فيه بأن عصيانهم معناه اعتبارهم خوارج على الأمة الاسلامية[1] وقبل مرور بضعة اسابيع القى أحد الأهلين قنبلة اثناء صلاة الجمعة في جامع مراكش، اذ كان السلطان يزور المدينة لأول مرة «بمعية» تهامي الجلاوي، فعطلت فيه صلاة الجمعة واصيب ابن عرفة بجروح طفيفة وقتل عدد من مرافقيه وجرح آخرون[2] .

اتساع نطاق المقاومة

وسرعان ما انتشرت اعمال المقاومة في البادية والسهول وفي المناطق الجبلية واتخذت حركة التحرير المغربية من شمال المغرب قاعدة لأعمالها مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى تقديم احتجاج إلى حكومة الجنرال فرانكو وطلبت حكومة باريس إلى الجنرال غيوم أن يبلغ ابن عرفة انها ستتخذ جميع الخطوات اللازمة لصيانة وحدة المغرب وسيادته وبعبارة أخرى «صيانة سلطة ابن عرفة في المنطقة الاسبانية» .

اسبانيا لا تعترف بابن عرفة

ولكن هذه الوحدة المزعومة ما لبثت أن فقدت بعدما رفضت حكومة مدريد والمفوض السامي الاسباني وخليفة السلطان في تطوان الاعتراف «بابن عرفة» .

ففي ١٣ شباط ١٩٥٤ أعلن فرانكو رسمياً أن اسبانيا لن تعترف بابن عرفة سلطاناً، وهذا التأييد شجع معظم الاذاعات العربية على تقوية دعايتها ضد سلطات الاحتلال في المغرب، هذا بالاضافة إلى أن «اذاعة سرية» قد اقيمت في المنطقة الاسبانية راحت توجه التعليمات إلى الحركة الثورية

(١) روم لاندو: المرجع السابق ص ٤١١ .

(٢) أنظر: Francois Mauriac, en France - Magreb, Mars - 1954.

المغربية.

وقد أدى عدم اعتراف فرانكو بابن عرفة إلى ارتفاع أصوات الاستنكار في الأوساط الفرنسية والعالمية، تلك الأوساط التي خدعت بالبيانات الفرنسية الرسمية التي كانت تزعم بأن خلع السلطان محمد الخامس إنما كان بناء على طلب الشعب المغربي، فجاء اعلان فرانكو مكذباً لذلك الادعاء. وعندما تبين أن خلع السلطان تم بدون رضى وموافقة الشعب المغربي، وان المسألة كلها من أولها إلى آخرها كانت من تدبير الحكومة الفرنسية بالتواطؤ مع المقيم العام الجنرال غيوم والمارشال جوان..

وكان لاعلان فرانكو أيضاً أهمية كبرى لدى الجامعة العربية التي بدأت تعتبر الجنرال فرانكو مؤيداً للشعب المغربي الثائر على ـ السلطات الفرنسية ـ التي أبعدت سلطانه المحبوب..

وراحت فرنسا تخشى من أن يتحول شمال المغرب في المنطقة الاسبانية إلى قاعدة لتهريب الأسلحة لثوار حركة التحرير في المغرب.

الجنرال فرانكو



دول الغرب والعداء التاريخي

وكانت النقمة العربية في ذلك الحين منصبة على الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وسائر الدول الأخرى التي أيدت إقامة دولة الصهاينة في فلسطين، ثم زادت نقمة الدول العربية على فرنسا بصورة خاصة بعد خلع السلطان الخامس محمد، وشملت هذه النقمة بصفة خاصة بريطانيا العجوز والولايات المتحدة التي تقوم بدور الاستعمار المقنع الجديد وغيرها من دول أوروبا التي قابلت خلع السلطان الخامس محمد بالصمت الثقيل، والصمت يمكن اعتباره دليلاً على التواطؤ، إذن، لم يكن في أوروبا كلها سوى اسبانيا التي وقفت مع السلطان محمد الخامس واعترفت بأنه ما يزال سلطاناً شرعياً على الشعب المغربي في الأراضي التي تحتلها اسبانيا.

وفي «يوم العرش» اضربت مدن المغرب يومين احتجاجا على خلع السلطان محمد الخامس.. فتصدت القوات الفرنسية للمتظاهرين وأوقعت فيهم بعض القتلى والجرحى.

وفي اليوم نفسه وهو الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٥٤، أقامت السلطات الاسبانية احتفالاً رائعاً بيوم العرش للتأكيد على صحة هذا اليوم وعلى اعتبار أن السلطان محمد الخامس ما زال هو صاحب العرش وسيده، فأعلنت السلطات الاسبانية ذلك اليوم يوم عطلة رسمية، ونشرت صحيفة دياريو دي أمريكا، صورة كبيرة لجلالة الملك محمد الخامس وعلقت بقولها: «أنهم يبحثون اليوم في المنطقة الفرنسية» عن حلول انتهازية ويسمونها قضية الأسرة المالكة وليس لهذه القضية من وجود على الاطلاق..

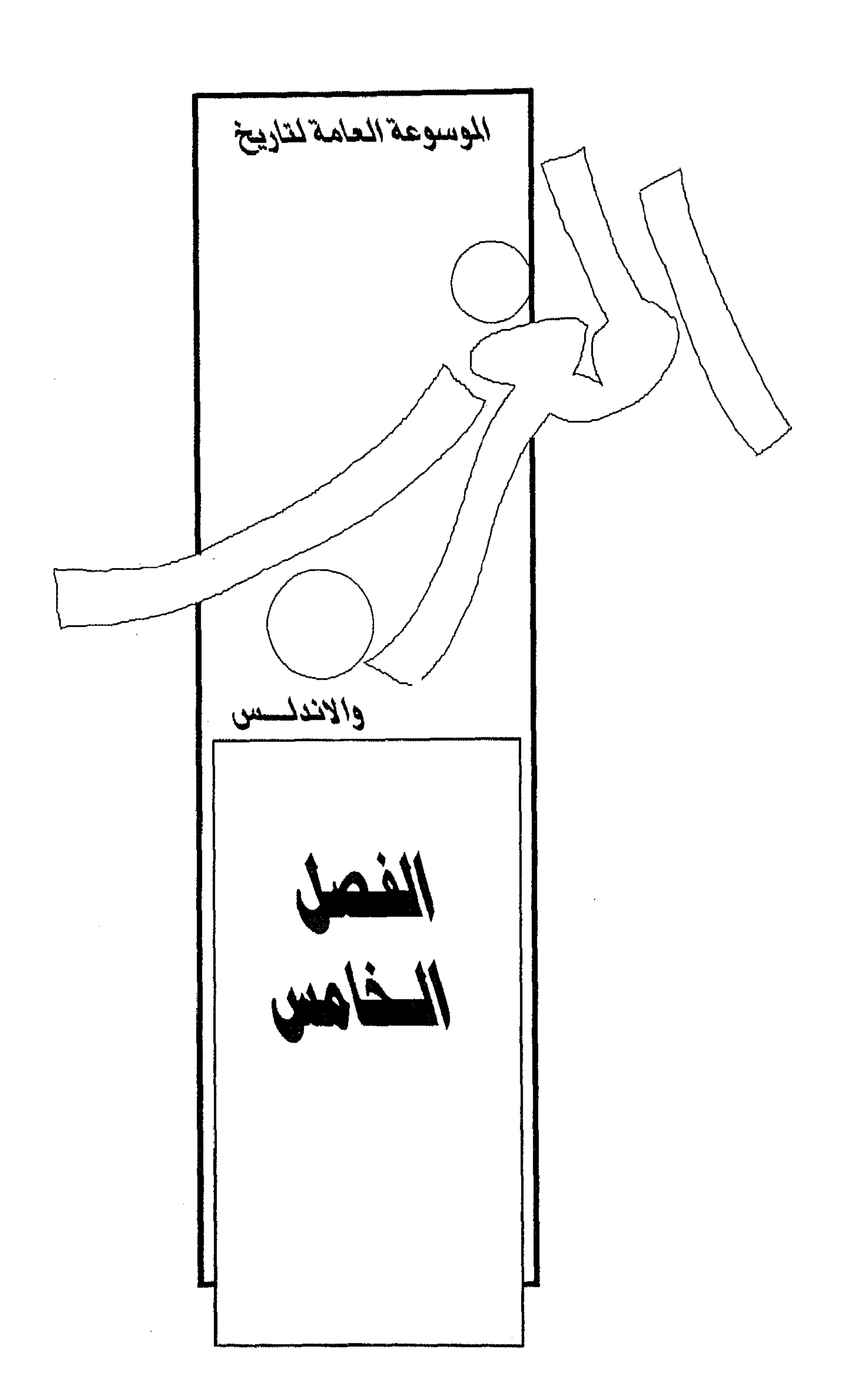
وأذاع راديو تطوان إذاعة رسمية جاء فيها: «أن فرنسا ستمر باختبارات

حاسمة في السنة القادمة بسبب سياستها الاستعمارية الخرقاء» وأخيراً فإن للمغاربة الحق في أن يعتقدوا أنهم عثروا على حليف ـ أي اسبانيا .

وفي سنة ١٩٥٤ ، أطلق الاسبان سراح المساجين السياسيين المغاربة، ورحبت بالهاربين من السياسيين المغاربة إلى المنطقة الاسبانية ومنحتهم اذونات للعمل، وخصصت لهم ابنية للاقامة فيها، واصدر المفوض السامي الاسباني مراسيم عدلت بموجبها الحكومة المغربية في القسم الاسباني، وأدخل فيها عناصر الشباب فأصبح عبد الخالق الطريس وهو من زعماء الحركة الوطنية وزيراً للشؤون الاجتماعية وعين اثنان من المغاربة وزيرين للعدل والتربية والثقافة .



ساحة الملك الحسن الثاني في مدينة تطوان


الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الـخامس

المناقشات في مجلس الأمن

كانت بريطانيا بموجب المعاهدة البريطانية الفرنسية المشؤومة سنة ١٩٠٤، قد تخلت عن مصالحها في المغرب، ولكن الولايات المتحدة ظلت تبيح لنفسها حرية العمل المستقل، لأنها لم تكن قد اعترفت بنظام الحماية الفرنسية في المغرب، وكانت تبدو في المواقف العلنية كمواقفها في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة، مؤيدة أثناء التصويت، للحكومة الفرنسية، إذن فالموقف الأمريكي الرسمي كان يتضمن تأييداً واضحاً للاستعمار الفرنسي، وهو موقف يتعارض مع ادعاءاتها الدائمة بأنها تقف وتساند الشعوب المطالبة بالحرية والاستقلال من نير المستعمرين.. إنه موقف شاذ من دولة امبريالية متقلبة، وقبل اسابيع من تصويت الوفد الأمريكي ضد «حق الشعب المغربي في أن يكون له مؤسسات سياسية حرة ديمقراطية وحق تقرير المصير التام «كان فوستر دلاس وزير الخارجية الأمريكية قد قال: «لا يمكن لسلام أن يدوم إذا كان يرفض الفكرة القائلة بأن الحكومات يجب أن تقوم على أساس القبول الاختياري أو إذا كان ينكر على الآخرين حرية الأخذ بمثل هذه الفكرة».

وكان ظفر الله خان وهو من مؤيدي الاستقلال التام للمغرب يتمتع باحترام كبير في الجمعية العمومية لدى معظم دول الأمم المتحدة، وقد كانت المناسبة التي انتقد فيها موقف الجمعية العمومية فريدة في نوعها إذ أنه ألقى خطاباً في ٣ تشرين الثاني عام ١٩٥٣ يوم كان ملك وملكة اليونان يزوران الولايات المتحدة زيارة رسمية، وكانت الجمعية العمومية يومها تعج بالزائرين، فذكر وزير خارجية الباكستان السيد ظفر الله خان في خطابه: أنه حتى في السياسة الدولية ثمة مبادىء روحية معينة لا يمكن التغاضي عنها دون تحمل العواقب، وهناك شيء يسيّر الكون أعلى بكثير من هذه الجمعية العمومية، فإذا نحن سرنا حسب مشيئة الكائن الأعلى، كانت أعمالنا نافعة، أما إذا لم نفعل ذلك فلنتحمل العواقب، إذ يجب أن نفتح أبواب الأمل أمام تلك الشعوب «يعني المغاربة والتونسيين» التي استولى عليها اليأس والقنوط، قبل أن تطغى نظرة اليأس عليها فجأة فتلجأ إلى سبل مريرة، قد نهنىء أنفسنا لأننا خدمنا فرنسا إذ لم تتخذ قراراً بشأن المغرب، ولفرنسا أن تفرح بذلك، وإذا كان فقدان العزم عندنا قد خنق الرغبة عند اي شعب في الحصول على حريته، فنحن نعد الطريق للعنف. . لسنا هنا لنقول شيئاً ثم نقوم بعمل شيء آخر، صدقوني أنه ليس ثمة شيء مهما تفهت قيمته في أعيننا يمكن أن يحدث دون أن يخلف وراءه نتائجه للخير أو للشر[1] .

المفاوضات بين المغرب وفرنسا والمسألة المغربية

وقد خشي مندوبو افغانستان وبورما ومصر والهند واندونيسيا وايران والعراق ولبنان والباكستان والسعودية وسوريا واليمن، أن يخذل مشروع القرار الأصلي في مثل هذا الجو المشحون بالمكائد والدسائس

---

(١) انظر: The Middle East journal عدد ربيع سنة ١٩٥٤ ص ١٩٨.

والمؤامرات، فقرروا استبداله بمشروع قرار عادي جاء فيه: أن الجمعية العمومية بعد فحصها القضية المغربية أخذت بوجهة نظر بعض المندوبين الذين أعلنوا أن مفاوضات ستبدأ قريباً بين فرنسا والمغرب. وحول هذه المسألة تقرر تأجيل السير فيها في الوقت الحاضر. وقد أجازت الجمعية العمومية هذا القرار بـ١٣ كانون الأول بأكثرية ٣٩ صوتاً ضد ١٥ صوتاً وامتناع أربع دول عن التصويت[١].

وبما أن المفاوضات بين المغرب وفرنسا لم تجرِ بعد فقد ظل الوضع في المغرب يتفاقم ويسير من سيء إلى أسوأ يوماً بعد يوم، فقد تقدمت الدول العربية والاسيوية الأربعة عشرة في ٢٩ تموز - يوليو - سنة ١٩٥٥ إلى الأمين العام للأمم المتحدة طالبة منه وضع «المسألة المغربية» على جدول الأعمال، ولكن عندما جاء الوقت لمناقشة هذه المسألة كان الوضع في المغرب قد تغير تماماً بعودة السلطان الشرعي محمد الخامس، لذلك فقد سحب طلب المناقشة بالاجماع.

وكان الوضع في المغرب قد بلغ ذروة العنف في عام ١٩٥٤، ومع أن زعماء حزب الاستقلال كان بعضهم في السجون والبعض الآخر في المنفي، فإن ذلك كله أفسح في المجال لقيام «منظمة وطنية سرية» لتكون أنشط من غيرها في أي وقت سابق وكانت أوامر «المنظمة الوطنية المغربية» تصدر تباعاً ليلاً ونهاراً على شكل نشرات مطبوعة توزع سراً، وهي حافلة بالانذارات إلى شخصيات معينة من رجال يتعاونون مع المستعمرين ضد الحركة الوطنية، كما كانت تصدر أوامرها إلى التجار ليتقيدوا بمطالب الأحزاب المعينة، وكان كبار المستوردين في الدار البيضاء ينصاعون لأوامرها عندما تصدر إليهم محذرة من استيراد البضائع الفرنسية.

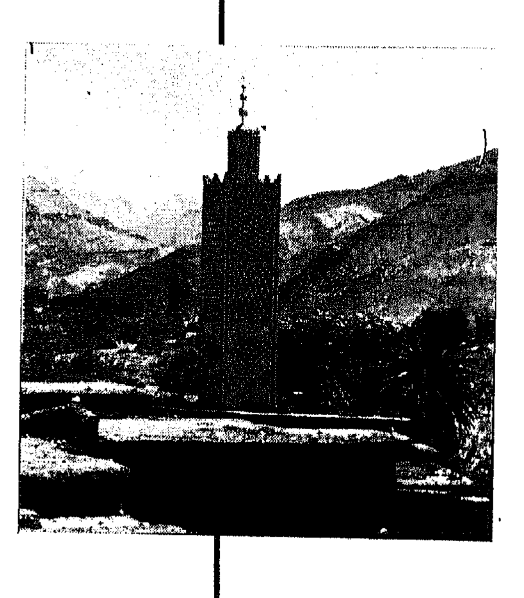
---

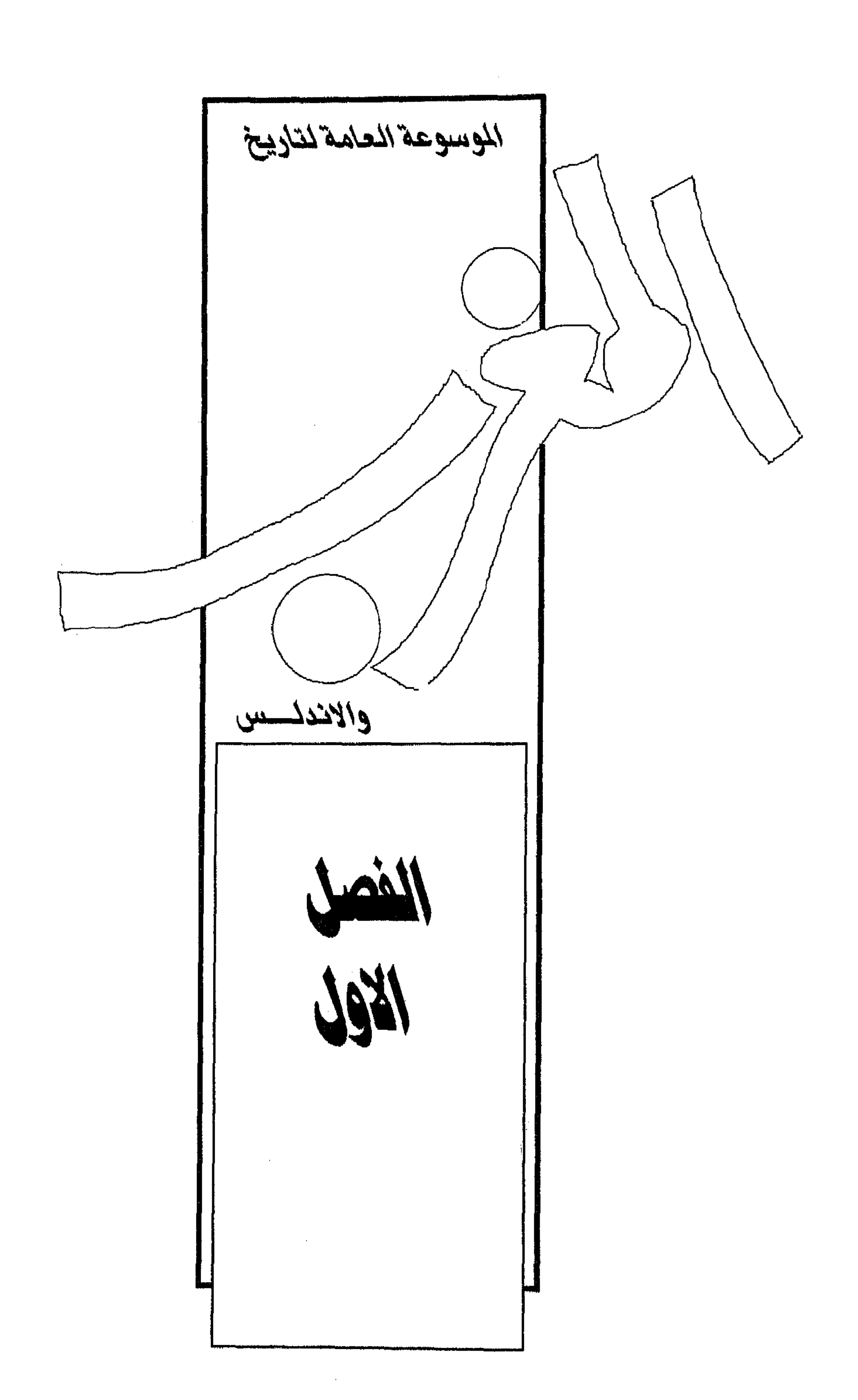
(١) روم لاندو، المرجع السابق ص ٤٢٥.

وفي الأسابيع الأولى من آب ـ أغسطس عام ١٩٥٤ بلغ عدد ضحايا العنف ٧٦ قتيلاً في القنيطرة وسيدي سليمان وفاس، منهم ثمانية من الفرنسيين. فكتب مراسل جريدة وول ستريت جورنال النيويوركية من المغرب يقول: «أن الحركة القومية المقرونة بالعنف أحب إلى الأهلين من الحركة السلمية السابقة، وعندما أخذ «الحزب» باللجوء إلى الارهاب مؤخراً صارت له قواعد شعبية واسعة».

وفي الوقت نفسه ثبتت صحة نبوءة المتنبئين بأن الأسلحة ستهرب من المنطقة التي يحتلها الاسبان إلى المنطقة الثائرة في الجنوب.


الباب
الخامس




الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الاول

عهد الجنرال لاكوست

لاكوست بدلاً من غيوم

في خلال هذه السنة ١٩٥٤ وقع حادثان كبيران كان لهما أثر بارز على سير الأحداث، ففي باريس استقالت حكومة لانييل الفاشلة التي تآمرت على خلع السلطان محمد الخامس وكانت السبب باندلاع نيران الثورة الشعبية المغربية، وخلفتها حكومة منديس فرانس «اليهودي» وهو تقدمي معروف بعدائه للأفكار الاستعمارية وفي ١٤ يونيو ـ حزيران من نفس العام «١٩٥٤ استبدل المقيم العام غيوم، بفرنسيس لاكوست وهو ديبلوماسي محترف، وكان قد عمل في الماضي في السفارة الفرنسية في واشنطن، كما عمل على مدى بضع سنين رئيساً للوفد الفرنسي لدى الأمم المتحدة، وكان ضليعاً في القضية المغربية عارفاً بها ففي الأيام السود من حكم الجنرال جوان شغل منصب الرئيس الثاني في الادارة الفرنسية في الرباط، لمدة سنتين، استطاع خلالهما أن يكسب صداقة عدد كبير من المغاربة أما آراؤه فكانت ليبرالية تحررية كما كان يظن.

وثمة حدث آخر كبير له قيمته وقع عندما منح منديس فرانس رئيس الحكومة الفرنسية الحكم الذاتي لتونس ـ بعد هزيمة فرنسا في الهند الصينية، وقد انتقد كل من الأمير عبد الكريم الخطابي، والزعيم علال الفاسي سياسة الرئيس بورقيبة من القاهرة معتبرين ما آلت إليه القضية التونسية تسوية غير معقولة. كما انتقد غلاة المستوطنين حكومة منديس فرانس على منحها تونس حق الاستقلال الذاتي.

مطالب حركة التحرير المغربية

أما حركة التحرير في المغرب فقد كان لها مطلبان رئيسيان: عودة السلطان المبعد، والاستقلال التام. وكان هذان المطلبان يعارضهما في المغرب حليف دوائر الحماية الفرنسية ـ وحليف السلطان الداعي بن عرفة تهامي الجلاوي. فلم يكن إذن من المستغرب أن يعلن منديس فرانس في ٢٧ اغسطس ـ آب ـ ١٩٥٤ أنه لم يفكر بعد بهذا الحل المعين للقضية المغربية.

وكانت الحركة المغربية على صواب عندما ربطت القضية المغربية بعودة السلطان المبعد عن عرشه، أما الأحزاب الصغرى التي كانت في الماضي متهمة بانحرافها لجهة الفرنسيين واستعدادها لقبول الحلول الوسط، فقد ظهر منها ما لم يكن متوقعاً إذ هي الأخرى ربطت مسألة حل القضية بعودة السلطان محمد الخامس.

وفجأة وبدون سابق نية أو قصد أعلن تهامي الجلاوي بأنه يؤيد عودة السلطان المبعد إلى عرشه..

وهكذا أصر المغاربة الوطنيون والمعارضون والاعداء المتهمون بالخيانة على أن مفتاح المفاوضات ـ أن كان ثمة من مفاوضات ـ فهو في يد السلطان محمد الخامس. وأكد هذا الرأي المقدم البكاي باشا «صفرو»

السابق وهو مغربي ومن خصوم حزب الاستقلال، ولكنه كان من أنصار سيدي محمد بن يوسف السلطان المبعد، وقد ضحى بمنصبه عندما خلع السلطان عن عرشه فاستقال من منصب الباشوية في مدينة صفرو، وانتقل إلى فرنسا ليعيش فيها حزيناً. . وكان قد فقد إحدى ساقيه وهو يحارب مع الفرنسيين في الحرب العالمية الثانية.

وقد أوضح الأمين العام لحزب الاستقلال نقاطا ثلاثا ضرورية لحل القضية وهي عودة سيدي محمد، واطلاق سراح جميع الموقوفين، والغاء كل تشريع صدر في المغرب منذ اغسطس عام ١٩٥٢.

بعد خلع السلطان الشرعي عن عرشه جابه الفرنسيون مشاكل عديدة لا حصر لها كان من اسبابها أنهم خسروا كل شيء أعدوه وبنوا عليه الآمال العريضة الواسعة.

الاحتيال الأوروبي المتبادل

وأكثر من ذلك فقد فقدت فرنسا شرفها، وسمعتها التي تمرغت بالوحل في الأوساط العالمية، فأصبحت قضية الاستعمار الفرنسي المستبد الغاشم في الواجهة تطغى على معظم القضايا الأخرى، ومنها قضايا الاستعمار الانكليزي وسائر الدول الأوروبية التي أصبحت تفرض استعمارها على القارة الأفريقية، واندونيسيا وبعض الأجزاء الأخرى في آسيا وجزر المحيطات، وقضية فلسطين التي باعتها بريطانيا إلى اليهود والصهاينة وقبضت أثمانها مساعدات مالية وأعتدة حربية، وجر الجيوش الأمريكية إلى الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية. فالولايات المتحدة هي التي دفعت الثمن وكان باهظاً، ولكن دخول الولايات المتحدة الحربين المذكورتين لم يكن عملاً مشرفاً لها ولا لسمعتها، وكما كان الانكليز

يحتالون عليها، فهي بدورها راحت تستعد لتقابل الاحتيال الانكليزي الأوروبي باحتيال مثله. وبمشاريع أمريكية جديدة تخوّلها الحلول محل الاستعمار القديم في البلاد التي راحت الدول الاستعمارية تجلو عنها واحدة بعد الأخرى فنتج عن ذلك كما هو معروف ميلاد الاستعمار الأمريكي الجديد المموه بالديمقراطية والسلم الأمريكيين . .

أما العالم الحر الذي كان يطنطن به ونستون تشرشل وروزفلت فقد أصبح في ذمة الماضي أسطورة مثل الأساطير الاغريقية القديمة.

وانطلقت بريطانيا العجوز تبحث عن ملهاة تلهي بها واشنطن لتبعدها عما تبقى لها فيما يدعى «بالكومنولث» فذهب ونستون تشرشل إلى الولايات المتحدة وهو يحمل في جعبته حزماً من الأوراق تتضمن «الملهاة» ثم شرع في قراءتها على شكل محاضرات يلقيها في بعض المدن الأمريكية ومنها مدينة سان فرانسيسكو.

الرسول المزيَّف

وفجأة وفيما كان يلقي إحدى محاضراته ألقى قنبلته التي تدور حولها «ملهاته» وفجرها في وسط الجموع التي جاءت لتستمع إليه ـ وكان معظمهم من كبار المتمولين والممولين اليهود والصهاينة ورجال الأعمال والشركات الاحتكارية الأمريكية، زاعماً «أن الخطر الأكبر الذي يهدد «العالم الحر» هو الاتحاد السوفياتي ـ حليف الأمس، في الحرب العالمية الثانية، وأشار بأصبعه وقد ألقى على وجهه قناع «رسول مزيف» يريد أن ينقذ «العالم الحر» من الشيوعية وقال هناك يرقد «الرجل الأحمر الرهيب» أي الرئيس ستالين الذي يستعد لابتلاع عالمنا الحر ومدينتنا المسيحية.

وفجأة ارتفع هدير صاخب من وسط الجموع في قاعة المحاضرات

سرعان ما انقلب إلى سباب وشتائم وأوامر عصبية تأمره بالسكوت والتوقُّف: أُسْكُت أيها الاستعماري العجوز.. إخرس أيُّها العجوز القذر. فسكت العجوز وتوقف عن القاء محاضرته وخرج محاطاً باليهود والصهاينة الذين استوعبوا مقاصده ومراميه، وهو يغمغم ويرطن بكلمات فهم منها أنه قام بواجبه وحذر العالم الحر من «الخطر الأحمر» وبالرغم من أن تشرشل أهين في تلك المحاضرة الا أنه «والحق يقال» نجح في تحريك أرباب الرأسمالية واليهود والصهاينة ووضع بين أيديهم وفي أفواههم مادة للتحريض على المعسكر السوفياتي والدول التي تدور في فلكه.. ولكن تهديده وتحذيره وانذاراته ضد الخطر الأحمر أصبحت حديث الساعة وكل ساعة، وسرعان ما تبنى الحزبان الرئيسيان في الولايات المتحدة الجمهوري والديمقراطي أفكار تشرشل ضد الخطر الأحمر وظلت الحرب الباردة قائمة بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة والاتحاد السوفياتي وحلفائه من جهة أخرى إلى أن تفكك الاتحاد السوفياتي وزال من الوجود.

فرنسا تتصيَّد الحلول

أما فرنسا الغارقة في «مشكلة الأسرة المغربية المالكة» فقد راحت تتصيد الحلول تصيداً..

وفي ربيع عام ١٩٥٤ وصيفه اللاهب كان الفرنسيون يبحثون عن شخص ثالث يعتلي عرش المغرب بدلا من السلطان المنفي وابن عرفة الذي كان يرتعد فرقا بعد أن أدرك أن أيامه على العرش اصبحت معدودة.

فأوفدت حكومة فرنسا الطبيب الخاص لسيدي محمد بن يوسف ليعرض عليه مشروعاً يقضي بالمناداة بنجله الصغير الأمير عبد الله ليكون السلطان الجديد المقبول من جميع الأطراف المعنية، هذا بالرغم من وجود

ولي العهد الأمير الحسن ولكن جلالته سرعان ما فهم اللعبة الخبيثة فرفضها رفضاً باتا ولكنه أبقى باب الحوار مفتوحاً.

ثم ابتكر المستعمرون الفرنسيون فكرة أخرى تدعو إلى استبدال ابن عرفة بمجلس وصاية مؤقت تتمثل فيه مختلف وجهات النظر الوطنية[1].

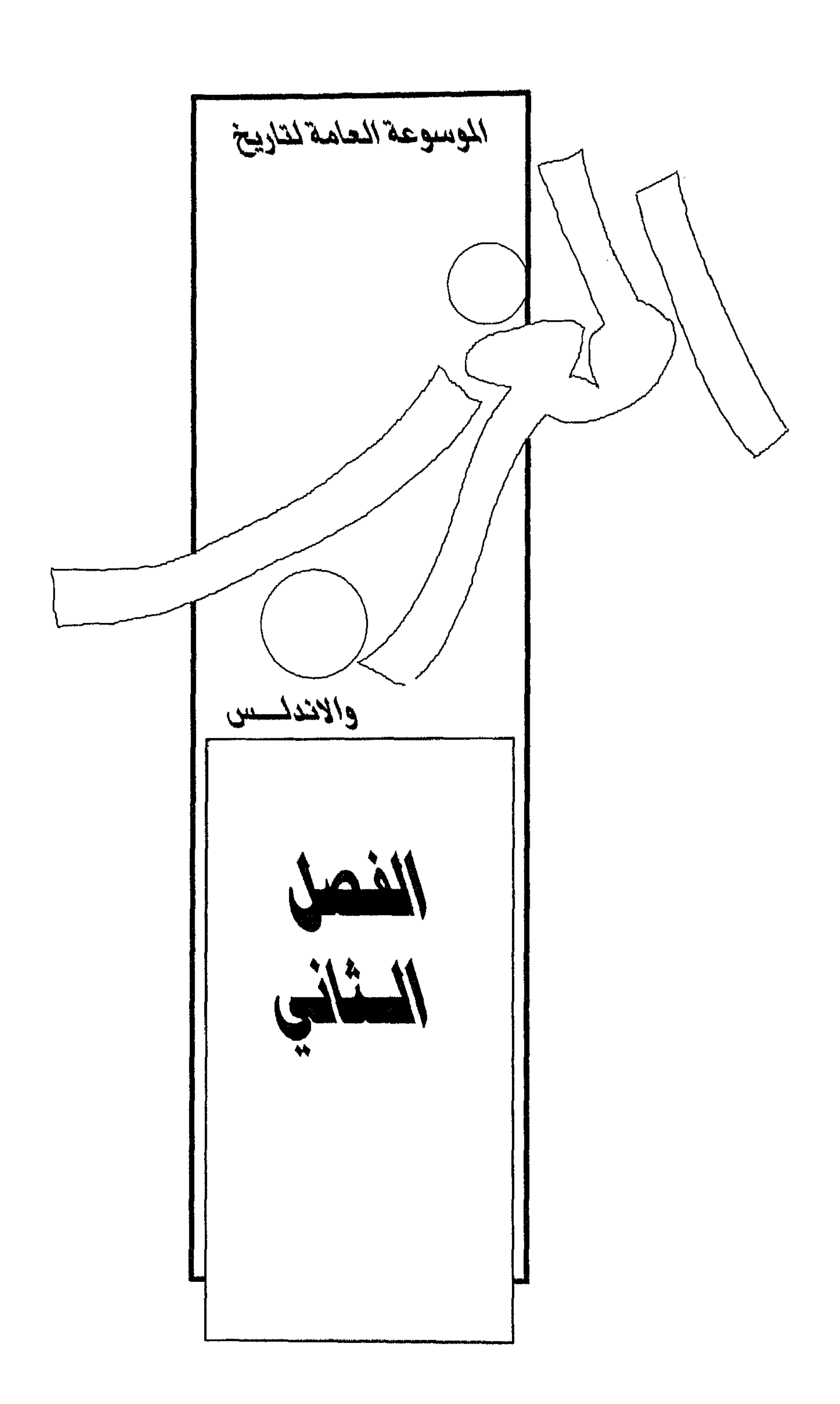
منديس فرانس ومعزوفة الاصلاحات

وفي ٢٧ آب ـ اغسطس ـ من العام نفسه ١٩٥٤ ألقى رئيس الحكومة الفرنسية منديس فرانس «اليهودي» خطاباً عرض فيه ملخصاً «للاصلاحات» التي يقترحها، وهكذا عادت الحكومة الفرنسية إلى معزوفة «الاصلاحات» المصطنعة الموضوعة من أجل القضاء على الثورة المغربية الملتهبة في جميع انحاء المغرب واحتوائها والهاء الشعب المغربي بالقشور. .

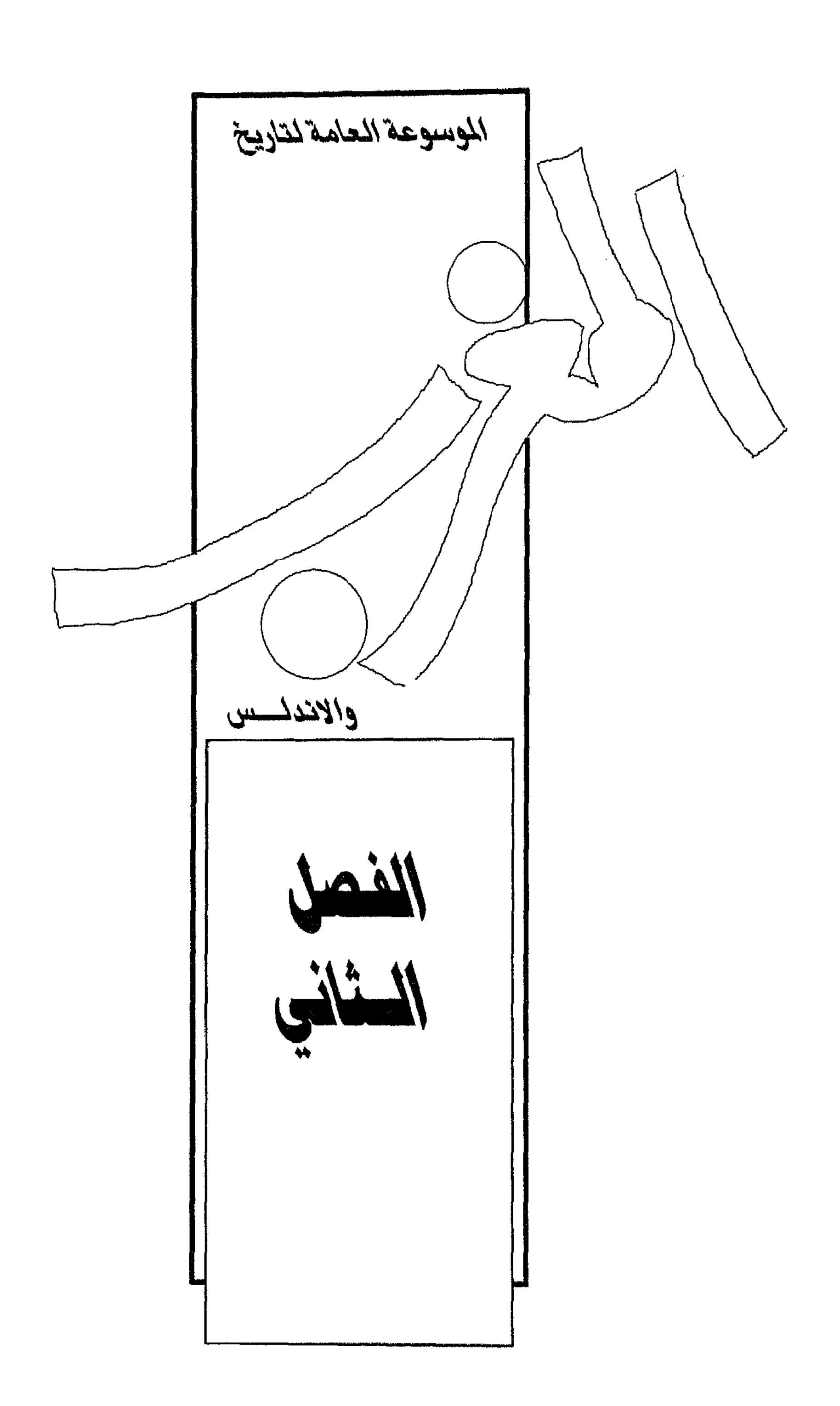
وحولت اصلاحات رئيس الحكومة منديس فرانس إلى لاكوست المقيم العام في المغرب ليعرضها على الشعب المغربي ولما كانت «معزوفة الاصلاحات» لا يمكن عرضها على الاقطاعيين فحسب، بل كان لا بد من عرضها على اعضاء حزب الاستقلال الموجودين في السجون والمعتقلات والمنفى، لذلك فقد حث لاكوست قضاة الصلح في المغرب على الاسراع بمحاكمة المعتقلين. وكان قضاة الصلح قد قضوا عشرين شهراً للتأكد من التهم المزيفة التي لفقتها عقلية زبانية دوائر الحماية. ضد المعتقلين. وكان جميع المعتقلين منذ عام ١٩٥٢ من حزب الاستقلال والشخصيات الوطنية البارزة، وأخيراً وبعد التحقيق والمداولة والمراجعات ثبت بأن التهم الموجهة إليهم «لم يكن لها أصل بالمرة».

---

(١) السجلات الرسمية للجمعية العمومية الاجتماع ٤٥٥ المنعقد بتاريخ ١٩٥٣/١١/٣.


الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الثاني





الفصل الثاني

انفجار الثورة في الجزائر

فجأة وما أكثر المفاجآت التي انقضت على رأس فرنسا في تلك السنوات السوداء..

ففي أوائل تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٤، انفجرت الثورة في منطقة قسنطينة في الجزائر...

وكان انفجارها ضربة موجعة على رأس الحكومة الفرنسية، ومع أن الثورة كانت متوقعة لكن فرنسا كانت ترفض دائماً الاعتراف بما يجري في الجزائر حتى لا تضطر إلى نشر فضائحها القذرة، وكانت الدعاية الفرنسية القائمة على الأكاذيب والتلفيقات تنكر دوما الاعتراف بوجود حركة استقلالية في الجزائر، فلما ظهرت الروح الجريئة الجزائرية في نوفمبر ١٩٥٤ زعمت أقلام الدعاية الفرنسية أنها فورة مؤقتة. مع العلم بأن الحركة الجزائرية كانت قد بدأت منذ سنوات على شكل حركات وطنية منظمة وكانت تلقى تأييداً في الجزائر نفسها ومن الطلاب والعمال الجزائريين الموجودين في فرنسا.

وكما أيد مجلس الثورة المصري القضيتين المغربية والتونسية في المحافل الدولية، والجمعية العامة، فقد وضع كل امكاناته أيضاً في سبيل تأييد ثورة الجزائر. وهكذا أشهر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سيفه في وجه فرنسا متحدياً، كما استلّه في وجه بريطانية العجوز مناوئاً ومهاجماً واستله في وجه بريطانيا العجوز مناوئاً ومهاجماً.

وقد برهنت الأحداث أن «وسائل اليأس» التي أشار إليها وزير الخارجية الباكستانية ظفر الله خان في الأمم المتحدة «كانت أفعل من الدبلوماسية السياسية».

جماعة الضمير الفرنسي تصف الوضع في المغرب

وفي شهر تشرين الثاني أيضاً من سنة ١٩٥٤ تلقى منديس فرانس بعد توليه الحكم بخمسة شهور عريضة من «جماعة الضمير الفرنسي» وهي نفس الجماعة التي أرسلت من قبل عريضة إلى الرئيس الفرنسي «وكان على رأسها فرانسوا مورياك وزملاؤه الأكاديميون» وكان في هذه العريضة وصف مؤثر لحوادث القمع في المغرب نَسْتخلص منها ما يلي: «ما زال البؤس في المغرب على المستوى الاجتماعي قائماً، والعامل الصناعي يتقاضى راتباً أقل مما يتقاضاه العامل الفرنسي في المغرب نفسه، والبطالة ما زالت تنذر بالخطر، أما على المستوى السياسي فالمرء يتساءل ما هي أهمية هذه المحاولات «القمعية» الجارية؟ فإلقاء القبض على الناس وسجنهم ما زال مستمراً، وهناك ارهاب فرنسي معاكس، وأن بعض أعضاء الجالية الفرنسية والبوليس وبعض الحكام المحليين وحكام الأقضية يقفون عثرة كأداة في طريق سياسة بنّاءة، وهذه في الواقع ثورة صحيحة منظمة، والذين ينظمون الثورة المغربية هم أنفسهم الذين خلقوا مسألة الخلافة على العرش، أن

الوقت يمر ولكنه لا يعمل لحسابنا، وستعتبر يا حضرة رئيس الوزراء مسؤولاً عن نتائج الجرائم التي اقترفت».

الارهاب الفرنسي المضاد

وبسبب تأخر السلطات الفرنسية وعدم قيامها بأي عمل يحل المشكلة المغربية، تجرأ مقاومو الارهاب من الفرنسيين على اغتيال جاك لوميجر دوبري صاحب صحيفة ماروك برس وناشرها وهي الصحيفة الفرنسية الوحيدة، التي كانت تفضح المتطرفين الفرنسيين وتبشر بسياسة «حسن النية» وكان قبل ٢٤ ساعة فقط من اغتياله يتحدث مع ادغارفور رئيس الوزراء الفرنسية الجديد الذي حل محل منديس فرانس.

بعد هذا الحادث الارهابي الفرنسي اتضح للفرنسيين أن الارهاب المضاد الذي كان يقوم به المستوطنون الفرنسيون كان قائماً، أمام أعين البوليس الفرنسي في المغرب، الذي كان يتعاون مع أولئك الارهابيين.

ولما ألقى القبض أخيراً على ارهابي مستوطن فرنسي اتضح أيضاً أنه كان رئيس فرقة بوليسية في الدار البيضاء، كانت مكلفة بمكافحة الثورة المغربية الوطنية، وكان صديقاً لجان دلريو رئيس مفتشي البوليس في المغرب.

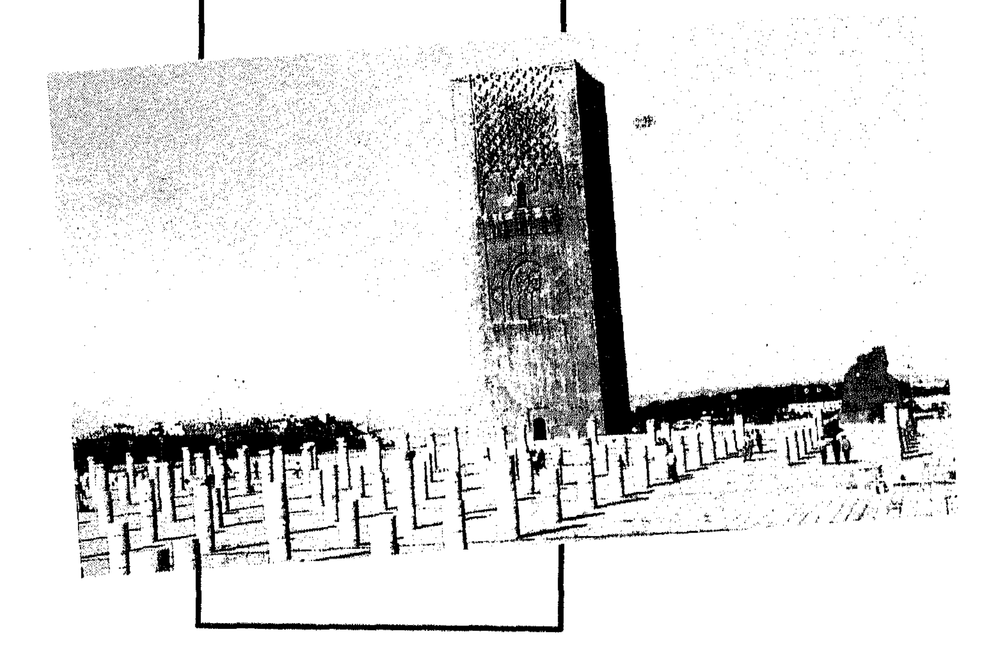
وكتب «جان رو» في صحيفة «فرانك تيرور» يقول: «أن أولئك المسؤولين عن الاغتيال «بين المستوطنين الفرنسيين» ينتسبون إلى نفس العصابة من استعماريِّي شمال افريقيا التي أصبحت منذ اغتيال فرحات حشاد الزعيم العمالي التونسي» تقوم بدور دولة ضمن الدولة».

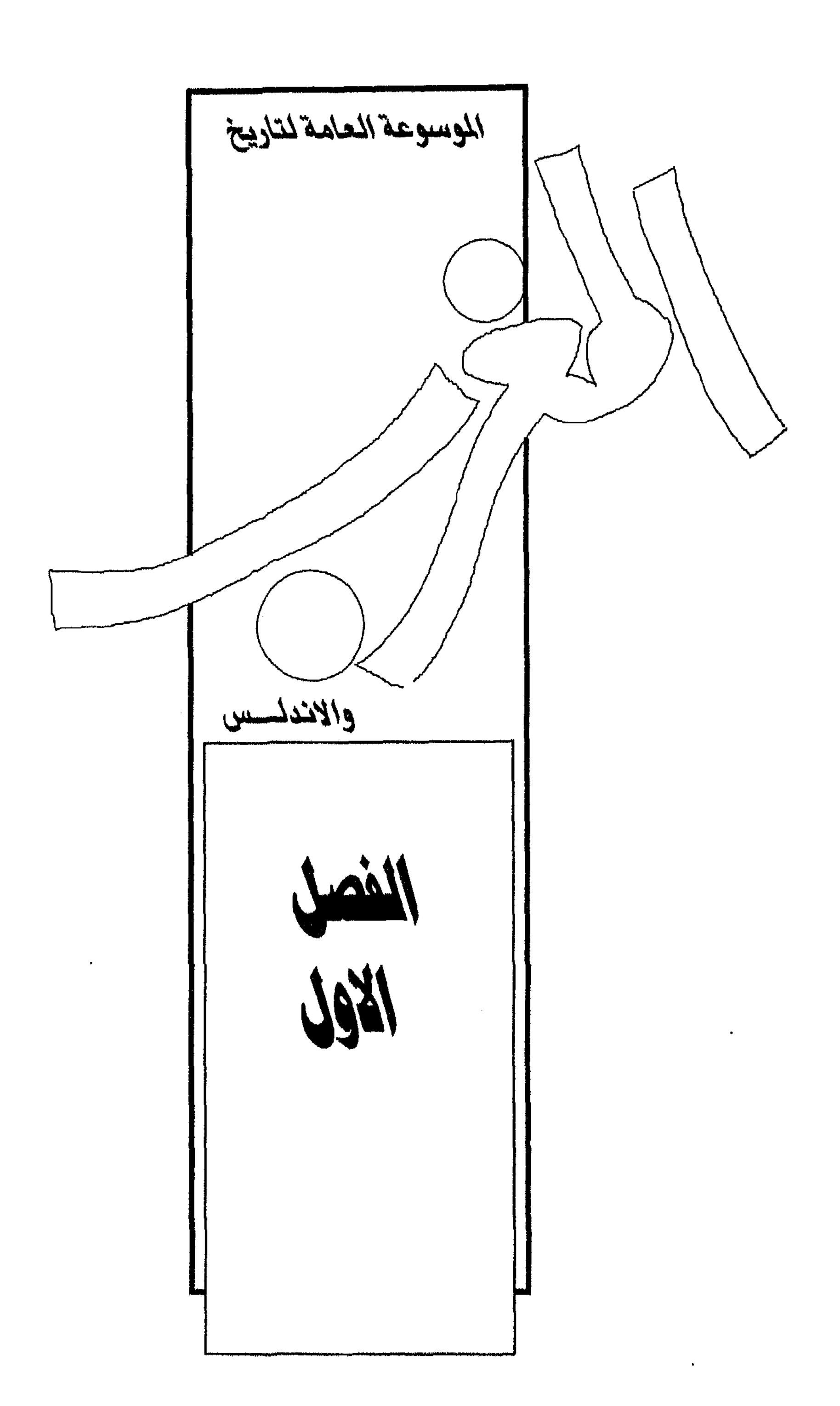
وفي ١٣ حزيران سنة ١٩٥٥، كتبت صحيفة لافيجي ماروكان تقول: «أن خير طريقة للخروج من فترة الاجرام والعنف هي التخلي عن الجمود،

لأن هذا الذي نسميه «فترة ترقّب» والذي هو في الواقع عجز «فاضح» عن البت في الأمور، لا بد وأن يؤدي إلى استمرار الارهاب».

وعندئذٍ، تحركت الوزارة الفرنسية في ١٦ حزيران - يونيو - سنة ١٩٥٥، فقررت استدعاء المقيم العام لاكوست، بسبب انعدام السياسة البناءة في باريس وبسبب نفوذ الاستعماريين فيها وازدياد أعمال العنف بين «الأهلين» الذين دفعهم اليأس إلى ذلك وعدم تمكنه من ضبط الأمن. كل هذه الأمور جعلت مهمة لاكوست مستحيلة، وأكثر من ذلك فقد اتهم بأنه كان عاجزا عن القاء القبض على الارهابيين الفرنسيين في المغرب لمحاكمتهم أو أنه كان لا يرغب في ذلك.

الباب
السادس




الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الاول

عهد غرانفال ومبادىء معاهدة فاس لعام ١٩١٢

في ٢٠ حزيران من السنة ذاتها استبدل لاكوست بالسفير جلبرت غرانفال رئيس البعثة الديبلوماسية في السّار، وقد أعلن ادغارفور رئيس الحكومة الفرنسية في الجمعية الوطنية أن المقيم العام الجديد سيواصل عمله على أساس «مبدأ الحماية الصحيح» بموجب معاهدة فاس سنة ١٩١٢، وستسترشد سياسة الحكومة الجديدة بالمبادىء التالية:

١ ـ حماية المصالح الفرنسية.

٢ ـ الغاء الادارة الفرنسية المباشرة تدريجياً.

٣ ـ إقامة النظم الحديثة التي يتطلع إليها المغرب.

٤ ـ تكوين مجتمع فرنسي مغربي متفاهم[١].

وهي نفس السياسة التي كان ينفذها كل من الجنرال جوان والجنرال غيوم، اذ حلت الفقرة الرابعة التي تقول: «تكوين مجتمع فرنسي مغربي

(١) وثيقة الأمم المتحدة. التصريح الصحفي رقم GA/ps/672 الصادر بتاريخ ١٣ كانون الأول ديسمبر ١٩٥٤.

متفاهم» محل سياسة دمج المغاربة بالفرنسيين والفرنسيين بالمغاربة لربط المغرب بفرنسا مباشرة.

كلام عقيم ومحاولات تدور كلها في حلقة مفرغة، ورئيس وزراء فرنسي يحاول التقرب من أحزاب اليمين في فرنسا لكسب تأييدهم.. مع العلم بأن الثورة المغربية قامت نتيجة لتلك الاجراءات عندما رفض السلطان وحزب الاستقلال قبولها وأدى رفضها إلى خلع سيدي محمد بن يوسف وزج أعضاء حزب الاستقلال في السجون.

وكان المقيم العام الفرنسي الجديد غرانفال يجهل الكثير من أحوال المغرب ومن ممارسات السلطة الفرنسية في ربوعه بالتعاون مع المغاربة الاقطاعيين «الجلاوي وأمثاله» والمستوطنين الفرنسيين.

ولعله أراد أن يقوم بعمل يمتص به النقمة المغربية ونقمة المعتدلين المستوطنين في المغرب، لذلك فقد صرف من الخدمة أكثر الموظفين الكبار من الفرنسيين الذين عين معظمهم في عهد حكومة فيشي، كما نجح بالقاء القبض على بعض الارهابيين الفرنسيين في الأسبوع الأول من وصوله إلى الرباط، وكان أكثر هؤلاء أعضاء في قوة البوليس الفرنسية من أصحاب الرتب العالية والأقل منها على السواء ـ لقد كانوا غستابو فرنسا الارهابي في المغرب.

وكانت تهمة الارهاب حتى وقت قريب توجه عادة إلى الوطنيين المغاربة لأن هناك فرقاً بين الكفاح الوطني المنظم المنبثق عن الشعور الوطني، والارهاب الفرنسي «المضاد» القائم على سياسة الاستيطان وسلب الأرض وفرض الحماية بالقوة.

وقد تعرض المقيم غرانفال إلى عملية ارهابية جديدة من صنع وتأليف

المستوطنين الفرنسيين انفسهم ففي ١٤ تموز ـ يوليو ـ ١٩٥٥ شن الارهابيون الفرنسيون حملة ارهاب بالقنابل في الدار البيضاء ذهب ضحيتها العديد من المغاربية والفرنسيين، ثم تلاها هجوم منظم قام به المستوطنون الفرنسيون وجموع من الأوروبيين على الأحياء الوطنية في الدار البيضاء، فنهبوا بيوت المغاربة وحوانيتهم وأحرقوها وقتلوا عدداً كبيراً من المغاربة رجالاً ونساء وأطفالاً . .

قدماء المحاربين الفرنسيين ينددون بغرانفال

وفي تلك المجزرة الشنيعة وقف الاميرال الفرنسي «لوفلوخ» يخطب ويحرض الارهابيين ضد السكان المغاربة والمقيم العام الجديد، فانطلقت جموع الفرنسيين والأوروبيين كالمجانين يصيحون «غرانفال» إلى المشنقة، ثم تعالت أصواتهم بتحية «الجلاوي» حليفهم لأكثر من ربع ساعة وهم يهتفون: «جلاوي . . جلاوي».

وامتدت نقمة الارهاب الفرنسي الأوروبي إلى شارع ستراسبورغ فحرقوا حوانيت المغاربة واليهود.

ولم تأتِ الساعة العاشرة مساء حتى كانت الدار البيضاء قد سقطت بأيدي الارهابيين الفرنسيين والأوروبيين[١] .

وبعد يومين وعندما كان غرانفال يدخل الكنيسة للصلاة على أرواح الفرنسيين الذين قتلوا بالقنابل الفرنسية حاولت جماعة قدماء المحاربين الفرنسيين منعه من دخول الكنيسة، وبعد القداس، هجموا على سيارته وهو فيها فبصقوا في وجهه، وحاولوا ضربه وأطلقوا عليه اسم خائن . . وسفاح وانتزعوا إحدى شاراته الرسمية من

(١) روم لاندو: المرجع السابق ص ٤٦١.

سترته[1] .

وفي أثناء هذا التمرد والعصيان المنظم لم تحرك قوات البوليس الفرنسية ساكناً لأن البوليس كان مشتركاً مع المتمردين العصاة .

وروى شاهد عيان وهو مراسل لوموند في ١٩ تموز ـ ١٩٥٥ ، أن البوليس لم يعمل شيئاً لحماية المقيم العام غرانفال ، وقد رأينا أحدهم يضحك ، ورأينا مفوض البوليس يبدي استحسانه لما يحدث ونشرت لوموند في اليوم التالي الخبر التالي : «لقد كفت يد مفوض البوليس العام «فرغنول» عن العمل»[2] .

لقد أراد غرانفال أن يحقق السياسة التي كلف بها دون محاباة ، ومع أن ٨٠ في المئة من تلك السياسة كان في صالح المستوطنين ولكن هؤلاء انقلبوا إلى ضباع وذئاب شرسة متعطشة إلى سفك الدماء لقد عادوا إلى طبيعتهم الغوغائية الكامنة في أعماق نفوسهم الشريرة .

منطق منظمة الدفاع عن الارهابيين الفرنسيين

وبعد حوادث ١٤ تموز ١٩٥٥ ببضعة أيام قامت منظمة الدفاع عن الارهابيين الفرنسيين وهي فئة مؤلفة من غلاة الاستعماريين بتوزيع منشورات تحمل العبارات المهينة التالية : أن اليهودي المارق هرش أو لندورف المعروف باسم غرانفال ـ أي المقيم العام ـ شريك المجرم اليهودي ابراموفتش المعروف باسم منديس فرانس جاءا ليبيعا المغرب كما باعا تونس من قبل ، وقد ذاقا مرارة القوى التي لا تغلب لشعب ـ فرنسي ـ جرحت كبرياؤه .

---

(١) راجع جريدة نيويورك تايمز الصادرة بتاريخ ٢٢/٦/ ١٩٥٥ .
(٢) جريدة لوموند الصادرة بتاريخ ١٧ و١٨ تموز/ يوليو سنة ١٩٥٥ .

أوَ يوجد بعد هذا مغالطات مثل هكذا مغالطات ينشرها شذاذ الآفاق الذين جيء بهم بعد الحماية سنة ١٩٢٢، وهم عراة جياع لا يملكون شروى نقير، وهم الآن، يدعون أنهم هم المغاربة سكان البلاد، وأن حكومتهم تريد بيع المغرب لأصحابه المغاربة الأصليين، كما باعت من قبل تونس لأهلها وسكانها الأصليين أيضاً؟

وقد عبر عن هذا المعنى روبير شومان نفسه بلغة متحفظة عندما صرح على أثر هذه الحوادث قائلاً: «أن حكام المغرب الحقيقيين ليسوا الحكومة الفرنسية ولا الاقامة العامة، ولكنهم جماعة الاستعماريين والمروجين السياسيين وأصحاب الأعمال الكبيرة والبوليس المنضمين في تحالف سري».

ووصف جول البير هذا التحالف السري على أنه مكون من الأغنياء في جزء منه، ومن الادارة في جزء آخر، ومن البوليس في جزء ثالث، وكل المنغمسين في هذا التحالف لا يتقيدون بأي مبدأ خلقي».

وقيل أيضاً بأن حاكم الدار البيضاء بونيفاس الذي أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٥٣، كان أقوى من المقيم العام نفسه، وأن ممثلي رأس المال وأصحاب الثروات يستخدمون دون رادع أو وازع أحط طبقات الغوغاء وقوة بوليسية بعض افرادها من الجهلة والبعض الآخر فاسدون.

وعلى هذا لم يعد ثمة من سبيل الا التخلص من قوة البوليس التي فقدت مكانتها[١].

---

(١) جريدة لوموند الصادرة بتاريخ ١٩/ ٧/ ١٩٥٥ مقتبسة عن وكالة أنباء الصحافة المشتركة.

الـداء والـدواء

وقد أدرك غرانفال الحقيقة القائلة أن وجود بن عرفة على العرش، وغياب السلطان الشرعي عن البلاد يشكلان الحقيقة التالية: ابن عرفة هو الـداء والسلطان الشرعي هو الدواء. لذلك فقد ألح المقيم غرانفال على الحكومة الفرنسية بوجوب خلع ابن عرفة وإعادة السلطان الشرعي إلى «فرنسا على الأقل» وكانت ذكرى خلع السلطان الشرعي تقترب مع الأعصار الثوري المتوقع..

كما كان يدرك أيضاً أن ٢٠ اغسطس المشؤوم سيكون له أثر مدو في البلاد. وراح يلح على الحكومة الفرنسية باصدار أوامرها بخلع ابن عرفة وإعادة السلطان الشرعي إلى باريس ولكن ادغارفور رفض نصيحة غرانفال وقرر أن يطلب من ابن عرفة تشكيل الحكومة الجديدة.

وفي ١٥ آب ـ اغسطس ١٩٥٥ ـ كتب مارسيل فوريبه في صحيفة ليبراسيون مستغرباً يقول: «هل نظل متبعين سياسة التسامح التي تدفع أثمانها من دماء الفرنسيين على مذبح أخطاء سياسيي الجناح اليميني، الذين يهمهم أن يسدلوا ستاراً مهلهلاً على معاملاتهم الكاذبة ومؤامراتهم الدنيئة في المصالح والأعمال»[1].

ومع ذلك فقد ولدت حكومة ابن عرفة ميتة شأنها في ذلك شأن الاصلاحات المزعومة، وجاء يوم ٢٠ آب ـ اغسطس يوماً أسود في تاريخ الحماية الفرنسية، فقد اندلعت الاضطرابات في معظم المناطق في الريف المغربي وفي الجزائر.

ولكن الذي أثار الهلع في قلوب الفرنسيين هو ثورة عشرات الألوف من بربر المغرب.. مع أن السلطات الفرنسية ظلت تعزف لسنوات طويلة

---

(١) لوموند تاريخ ٢٠/ ٧/ ١٩٥٥.

على أسطورة قوامها أن عواطف البربر مع الفرنسيين وليست إلى جانب الوطنيين.

ثورة الأطلس الأوسط

ولكن «المعزوفة» سرعان ما تحولت إلى زئير مجلجل عندما انحدر البربر الأبطال من معاقل الأطلس الأوسط، وانقضوا كالصاعقة على بلدة في واد «زم» وقتلوا كل فرنسي ـ رجلاً أو إمرأة كبارا وصغاراً، وقيل على الأثر أن كل أعمال الثورة قبل حادث «وادي زم» تعتبر نزهة بالنسبة إلى إبادة سكان تلك البلدة من الفرنسيين، وعلقت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية في افتتاحية ٢٣ آب ـ اغسطس ـ ١٩٥٥ تقول: «لو أن الفرنسيين تحركوا أسرع مما فعلوا لاتقاء الخطر الوطني الظاهر، وفي الوقت المناسب، ووصلوا إلى حل في المغرب لكان من الممكن تجنب تلك الكارثة وما جرته من أسى ومرارة».

الدور المشرِّف للمرأة المغربية

في ثورات اغسطس المذكور التي عمت البلاد كان دور المرأة المغربية المسلمة مشرِّفاً. وهو أمر لم يكن أحد يتصور أَن يصل إلى هذا الحد بالرغم من أنها في الماضي قد اسهمت في «التحريض والتشجيع» أما في هذه المرة فقد خرجت إلى الشوارع وهي تنادي بوجوب عودة السلطان سيدي محمد المبعد.

وكانت هذه المرأة العاقلة المتزنة تشيح بوجهها عن الأكاذيب التي كانت تنشر أو تحاك ضد السلطان بعد عام ١٩٥٣، فقد كان يقال لها أن السلطان خرج على تعاليم الاسلام لأنه سمح لبناته بترك الحجاب، والقيام بدور المرأة في الحياة الاجتماعية كتفاً إلى كتف مع الرجل.

ولكن بعد ضغط الأحداث أدركت المرأة المغربية أن اصلاحات السلطان كانت في الواقع الخطوة الأولى من أجل تحريرها. . لذلك فقد أصبح السلطان الغائب في اعتقادها ويقينها الشهيد المظلوم وبهذا انطلقت النساء في سنة ١٩٥٥ في مقدمة صفوف الرجال في المظاهرات والمعارك، فأخذن يحرضن الرجال على أعمال العنف، وعلى التقدم في مظاهرات اتصفت بالشجاعة والاقدام والجرأة وحملن الاعلام الوطنية الخضراء والحمراء وكن أول من رمى الحجارة في وجوه البوليس، كما كن يوبخن الرجال إذا ترددوا ويبصقن في وجوه الجبناء محتقرات لهم دافعات بهم إلى الجهاد ويصحن: جاهدوا ضد الروم. مؤيدي المغتصب بن عرفة[1].

هذه الانطلاقة النسائية الثورية من نساء العرب ونساء البربر في المغرب العظيم ـ في الصحراء المغربية والمدن وفوق الجبال وعلى بسائط السفوح هزت العالم العربي في المشرق والمغرب، وأكثر من ذلك فقد هزت قلوب نساء أوروبا: اللواتي كن أيضاً يطالبن بالمساواة مع الرجال في الحقوق والواجبات، وكانت انطلاقتها الثورية تشكل حلقة جديدة في نضال المغرب وتاريخه الكبير.

البربر ركن أساسي فاعل

ومع أن أسطورة البربر الموالين لفرنسا قد نسفت من أساسها وانحدرت وهي تتحطم فوق سفوح جبال الأطلس، فإن حكومة باريس لم تقبل بموت الأسطورة هكذا. . وبكل سهولة إلى أن قرعت أجراس الخطر صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية حين قالت: «متى فكرنا بأن السلطان المغتصب ضعيف ومكروه وأن تهامي الجلاوي باشا مراكش العجوز قد

---

(١) جريدة لوموند تاريخ ٢٠/٧/١٩٥٥.

تخلى عنه جماعته من البربر أنفسهم فأنه من الغريب حقا أن نرى الفرنسيين لا يزالون يدعون البقاء هناك باسمهم» . .

هذا كلام صريح يقول للفرنسيين بصراحة: تزحزحوا وعودوا إلى بلادكم. . أيها القتلة . .

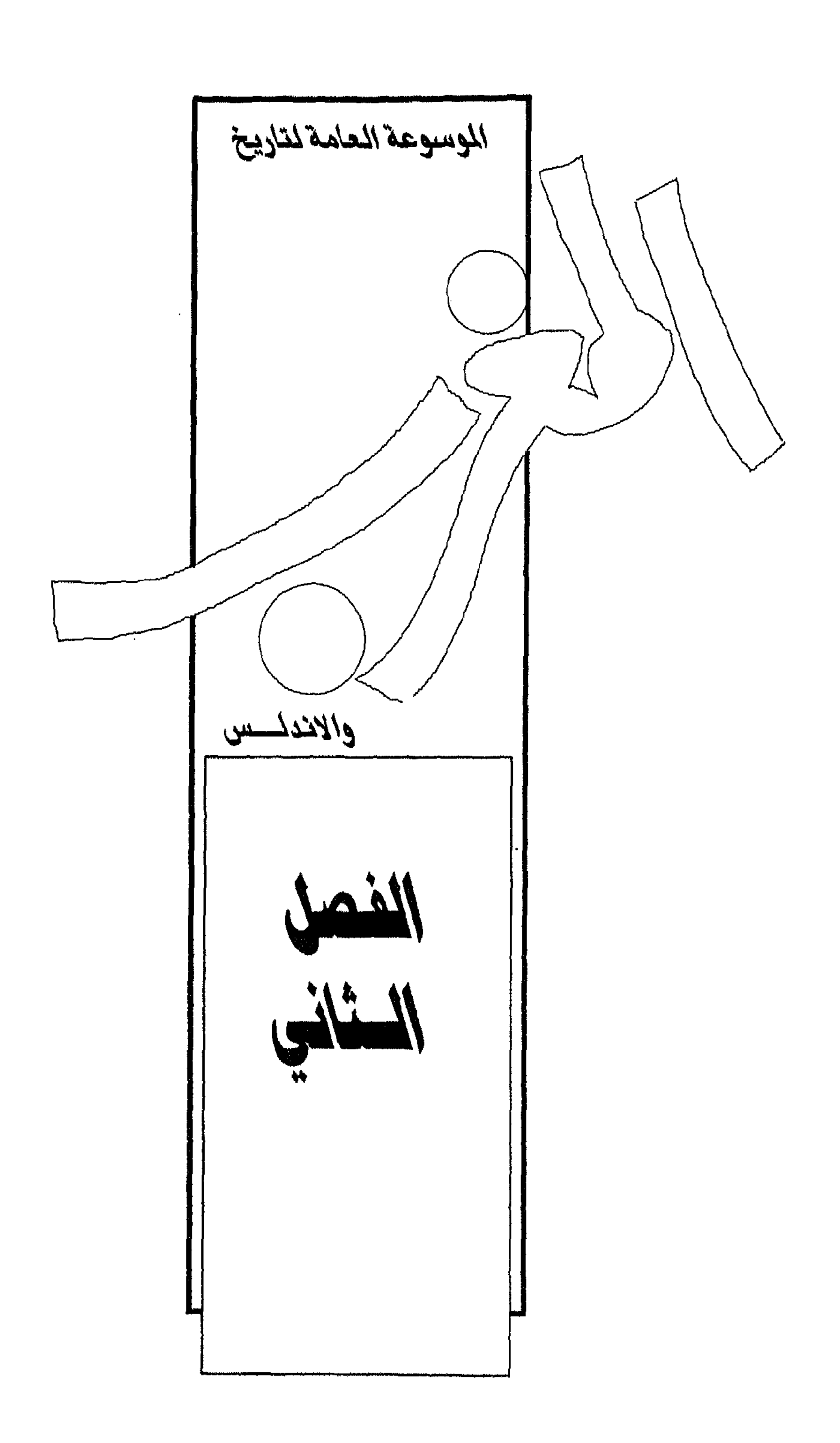
وقبل أسبوع واحد فقط أعلن زعماء البربر، بما لا يقبل الشك أنهم يعتبرون أنفسهم جزءاً ذاتياً من الأمة المغربية، وأنه لا حق للجلاوي التكلم باسمهم، وقد أرسل القواد الأربعة الكبار في الأطلس برقية إلى رئيس وزراء فرنسا قالوا فيها: أن زعامة باشا مراكش للبربر لم تكن قط. . لا في الماضي ولا في الحاضر أمراً مقبولاً، والبربر يشكلون جزءاً من الكل ـ هو الشعب المغربي وانكار هذه الحقيقة قد يؤدي إلى خلق احلام وأوهام، وأن الباشا لا يعتبر في جبال البربر محرضا فحسب، بل وحجر عثرة في سبيل الصداقة الفرنسية المغربية[1] .

وبعد ذلك بأيام قليلة انضم إلى هؤلاء القواد الأربعة جماعة من زعماء البربر الذين كانوا أكثر صراحة في التعبير عن موقفهم من الجلاوي .

كل الجهود التي بذلت وكل الدماء التي سفكت ذهبت ضياعاً . . وعلى رغم أن ادغارفور رئيس الحكومة الفرنسية كان قد استدعى بعض زعماء المغاربة إلى إكس ليبان للتشاور معهم الا أنهم أصروا على وجوب خلع ابن عرفة كشرط أساسي لاعادة الهدوء إلى البلاد وعودة ملك البلاد الشرعي، وعلى الرغم من كل ذلك فإن «فور» بدلاً من أن يعمل بتلك النصائح استدعى غرانفال وعين مكانه الجنرال بويه دو لاتور المقيم العام في تونس سابقاً .

---

(١) راجع روم لاندو ـ المرجع السابق ص ٤٧٣ .



الفصل الثاني

عزل غرانفال وتعيين لاتور

وعلى حد قول مجلة التايم الصادرة في الخامس من أيلول ١٩٥٥ : «لقد عزل غرانفال مقابل تأييد الجناح اليميني له» وعلى حد قول صحيفة ليبراسيون في ١٢ آب من نفس السنة حيث قالت: «لقد اتجه ادغار فور أكثر مما كان ينتظر منه نحو الرجعيين من الأكثرية البرلمانية المؤيدة له ونحو المروِّجين للسياسة الاستعمارية في المغرب، من أمثال بيدو.. وجوان وبوساك الثري الصناعي ومالك خيول السباق والجلاوي المنبوذ.. فالاستعماريون الذين زحزحوا منديس فرانس عن منصبه في شباط ١٩٥٥، قد فازوا مرة أخرى «وقالت مجلة التايم الأمريكية: «من وراء دوامة السياسة الفرنسية القبيحة وتحيُّز المستوطنين قوى ترفض المشاورات التي من شأنها أن تضع الأمور في نصابها.. ولكن تلك القوى تتظاهر بتجاهل الواقع[1] .

ردود الفعل الأوروبية

كانت ردود الفعل في أوروبا تتجاوب مع أماني المغاربة الوطنيين،

---

(١) لوموند عدد ٩ أيلول سبتمبر ١٩٥٥ .

وكذلك في «الولايات المتحدة» وفي آسيا والعالم العربي، فأقيمت الصلوات في مساجد المدن السورية واللبنانية على أرواح الشهداء المغاربة المسلمين، وقد عمت المظاهرات المدن الباكستانية وهي تهتف للوطنيين المغاربة، وتندد بالاستعماريين الفرنسيين، وفي كراتشي أكد الحاكم العام للمتظاهرين تأييد الحكومة وتأييده الشخصي لهم، ووعد وزير خارجية تايلاند بتأييد الخطوات التي ستتخذها الكتلة العربية ـ الاسيوية ضد السياسة الفرنسية في شمال أفريقيا، واتخذ برلمان بورما قراراً اجماعياً استنكر فيه سياسة فرنسا في المغرب[١] وتلبدت الأجواء في فرنسا بالغيوم وظهر الانقسام في حكومة ادغار فور، وتمرد عليه وزير الدفاع الفرنسي الجنرال كونغ المتحدث باسم الاستعماريين ومع ذلك فلم يستقل اتباعاً للتقاليد ـ أعني الجنرال كونغ . .

بيار مونتل يُحَذِّر ابن عرفة

ولكن ادغار فور راح يبذل جهده لاقناع ابن عرفة باعتزال العرش طوعاً ولكن المستعمرين في باريس أوفدوا بيار مونتل رئيس لجنة الدفاع البرلمانية الفرنسية إلى الرباط لتحذير ابن عرفة، وطلب إليه ألاَّ يصغي لإدغار فور ولا للمقيم العام ولا لغيره إذا ما طلبوا منه اعتزال العرش.

وقد أحتجَّ منديس فرانس على ذلك الانقسام بقوله: «ماذا بقي للحكومة من سلطة ما دام كبار الموظفين والعسكريين من أعلى الرتب يتبعون سياستهم الخاصة التي لا تتفق دوماً مع سياسة الحكومة[٢] .

وتحدثت الديلي تلغراف اللندنية عن الفوضى التي تعصف بالوزارة الفرنسية وتظهرها بذلك الشكل الفاضح «الديلي تلغراف. في ١٤ ايلول ـ

---

(١) جريدة لوموند الصادرة في ١٣/٨/ ١٩٥٥.

(٢) مجلة تايم الصادرة بتاريخ ٥ أيلول سبتمبر ١٩٥٥.

سبتمبر ١٩٥٥ .

رئيس منظمة الوجود الفرنسي يهاجم

وكتب أعنف هجوم ضد المستوطنين الفرنسيين الجنرال ريم برونو رئيس منظمة الوجود الفرنسي «برزنس فرانسيز» في تونس يقول: أن المتطرفين في شمال أفريقيا وهم المسؤولون عن الدماء التي اريقت قد اثبتوا بهمجيتهم أنهم ليسوا حريين بأن يحكموا أنفسهم أو حتى بأن يعاملوا كالبشر، أنهم حيوانات يجب أن يقضى عليها. . . يجب أن يحل بهم عقاب يجعل احفادهم يرتجفون بعد خمسين سنة. . انا نطالب بوقف كل تعامل مع القتلة[1] .

المجندون الفرنسيون يرفضون التوجه إلى شمالي أفريقيا

وراحت فرنسا تحشد جيوشها في المغرب، ففي ١٧ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٥٥ كتب مراسل نيوستيتسمان اندنشن من باريس إلى صحيفته يقول: لقد تأجل تسريح الجنود في فرنسا، ودعي آخرون لخدمة العلم بحيث بلغ عددهم منذ أول سبتمبر ٢٠٠ ألف جندي، أنه تجنيد سري لحرب لا يجرؤ أحد أن يدعوها باسمها الحقيقي ـ ومع ذلك قال المراسل أن الصحف على اختلاف ألوانها السياسية تتلقى سيولاً من رسائل الاحتجاج وفيها السؤال الذي يلح عليه شبان فرنسا: «لماذا يجب أن نذهب إلى المغرب؟».

وقد بدا ذلك واضحاً من عدم الرضى الذي يسود المعسكرات الفرنسية وازداد موقف وزارة الدفاع حراجة عندما رفض بضع مئات من الشباب الذين تجددت دعوتهم إلى الخدمة أن يسافروا إلى شمال أفريقيا، فاشتبكوا مع البوليس الفرنسي وأصروا على عدم السفر ـ خصوصاً بعد أن تناقلت

(١) جريدة لوموند في ١٣/ آب/ أغسطس ١٩٥٥ .

الصحف أنباء تدهور الوضع العسكري في المغرب والجزائر. . وتصعيد سياسة القمع لارضاء المستوطنين الفرنسيين.

أكاذيب سلطات الحماية

أما أكاذيب سلطات الحماية فقد ظلت على حالها ففي كل يوم كان يعلن عن اتخاذ موقف أو سياسة جديدة كأن تعلن تلك السلطات عن إبرام اتفاق قد وضع موضع التنفيذ وأمثال ذلك وفي صباح اليوم التالي تختفي كل الحلول ليحل محلها اليأس والقنوط والشروع باعداد حملة أكاذيب جديدة.

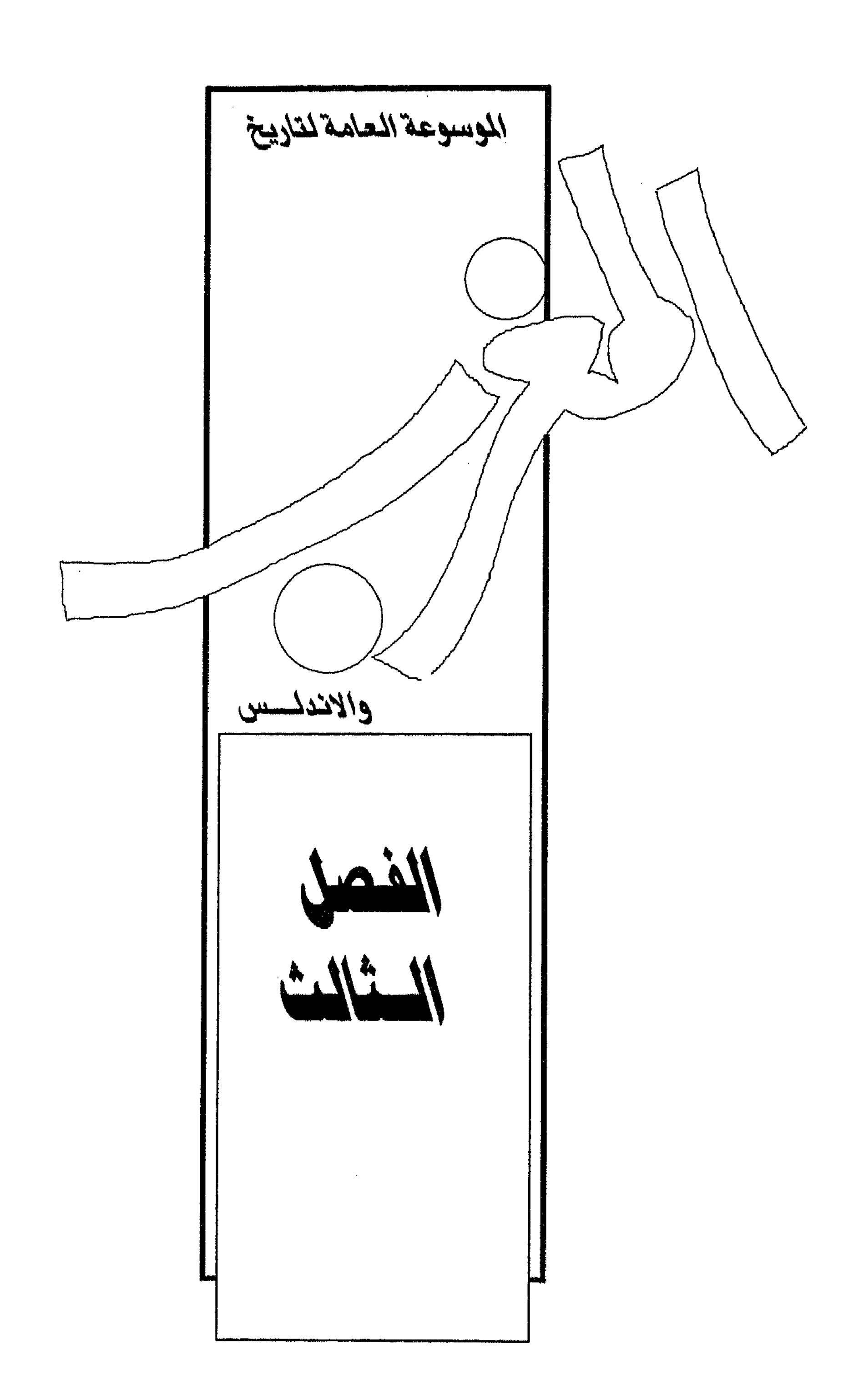
ومنذ محادثات «اكس ليبان» التي وعد فيها ادغار فور زعماء المغرب بتنفيذ مطاليبهم الرامية إلى خلع ابن عرفة واعادة السلطان الشرعي إلى فرنسا، أصبحت الوزارة الفرنسية مقيدة بوعدها، ولكن المعارضة اثبتت في ذلك الحين أنها أقوى من الحكومة، وهذا معناه أن الجماعات اليمينية ما زالت مرتبطة بعهودها الاستعمارية مع المستوطنين في المغرب.

وقد كتبت صحيفة الفيغارو بلهجة الحانق الذي نفذ صبره تقول: «أن كل التصريحات التي يقولها ابن عرفة تُحشى في فمه حشوا. . لأن تصريحاته مصنوعة في باريس، أو في الرباط على يد جماعات معروفة مثل الجماعات الدكتاتورية التي نعرفها في أمريكا الجنوبية[1].

أما الجنرال لاتور المقيم العام الجديد الذي أدرك ضعف السلطة التنفيذية فإنه سرعان ما انضم إلى الرأي العسكري الذي يتزعمه المارشال جوان. . وهو أعلى منه رتبة.

---

(١) لوموند في ٢٨و٢٩ آب/ اغسطس أيلول سبتمبر ١٩٥٥.


الموسوعة العامة لتاريخ
والانـدلـــس
الفصل
الثالث

عزل ابن عرفة

نجح فور أخيراً في «فرض قرار» لم يكن قد اتخذ بالاجماع أرغم المقيم العام في ١ تشرين الأول ـ أكتوبر ١٩٥٥ ـ على وضع ابن عرفة في طائرة حملته إلى قصر عمه مولاي عبد العزيز في طنجة.

والجدير بالذكر أن السلطان عبد العزيز في زمانه كان قد ثار عليه شقيقه السلطان عبد الحفيظ بمساعدة علماء فاس يوم أن اختاروه سلطاناً لمتابعة الجهاد، ولكنه ويا للأسف أحيط به وأرغم بالقوة على توقيع معاهدة الحماية سنة ١٩١٢.

وعندما انتزع ابن عرفة عن العرش تركه في عهدة عبدالله بن عبد الحفيظ المذكور آنفاً..

ومن المعروف أن السلطانين المخلوعين عبد العزيز وعبد الحفيظ هما أخوان للسلطان يوسف والد السلطان محمد الخامس.. وبعد أن انضم اليهما ابن عرفة أصبحوا ثلاثة سلاطين مخلوعين ما زالوا على قيد الحياة.

اشتعال النار على كامل التراب المغربي

ولكن ترك العرش بعهدة عبدالله بن عبد الحفيظ المخلوع زاد النار اشتعالاً، وقوبل جلوسه على العرش بردة فعل عنيفة وهياجات واسعة ضد السلطات الفرنسية، فشن البربر على المراكز الفرنسية في الأطلس الأوسط هجوماً عنيفاً تردد صداه في جبال الريف فثار سكانه البربر وبذلك تكون ثورة المغاربة قد انتشرت نيرانها وعمت جميع أنحاء المغرب.

وبدا الوضع في المغرب على الشكل التالي مجاهدو البربر في الجبال.. ومجاهدو العرب والبربر في المدن ومجاهدو الصحراء المغربية يشنون هجمات ليلية متتابعة كرشقات من الرصاص على القوات الفرنسية والمستوطنين الفرنسيين، وبعد ذلك يختفون في الغابات الكثيفة وثنايا الجبال.

واحتار الجيش الفرنسي المؤلف من حوالي ربع مليون جندي من أين يتلقى الضربات المتلاحقة.. وقد قيل في ذلك الوقت أن أشباح الليل هي التي كانت تحارب جيش فرنسا الاستعماري.

وكان الجيش الفرنسي منهكاً بعد هزيمته في الهند الصينية وكرامته مثلومة وعزته في الحضيض ورأسه ممرَّغ في الوحول.

شروط الملك للعودة

كانت الحكومة الفرنسية قد أوفدت إلى السلطان محمد الخامس محاميه الخاص في منفاه يعرض عليه مشروع الوصاية الجديد فنصح الأمير الحسن والده بقبول المشروع لفتح ثلمه في جدار الهيكل الاستعماري المنيع للخروج منه إلى الفضاء الرحب على حد قول ولي العهد الأمير الحسن فعلق الملك قبوله للمشروع بشروط منها أن يكون ممثله في مجلس الوصاية المقدم مبارك البكاي ـ باشا صفرو السابق الذي بقي موالياً له والحصول على

موافقة زعماء حزب الاستقلال بصدد تأليف مجلس الوصاية.

أما الأوصياء الأربعة فكانوا: مبارك البكاي ومحمد بن الطيب سبيهي - باشا مدينة سلا وهو من المعمرين، وكان قد ظل في منصبه حتى بعد أن اعتلى العرش المغتصب ابن عرفة، والثالث طاهر واسولودي - ولم يكن معروفا. هذا بالاضافة إلى الوزير الأكبر المقري وكان عمره ١١٠ سنوات.

ولكن حزب الاستقلال رفض الاعتراف بمجلس الوصاية الجديد كما رفض تعيين ابن سليمان - باشا فاس السابق الذي اختاره مجلس الوصاية بدعم من حكومة باريس.

واستمرت ثورة القبائل البربرية في الأطلس الأوسط والمنطقة المجاورة لجبال الريف في اشتعالها دون توقف.

الجلاوي يؤيد ويطالب بعودة سيده السلطان محمد الخامس

وفجأة ظهرت الأسطورة الممثلة بتهامي الجلاوي - باشا مراكش وذلك بعد أن فكر طويلاً وأدرك في وقت متأخر جداً أن الأكذوبة التي أبعد من أجلها مولاه السلطان محمد بن يوسف، إنما هي مجرد أسطورة لا تؤيدها الحقائق وليس لها من مبرر تاريخي يستحق الاهتمام.

ثم اتسع أفق ادراكه عندما قرر أن يتدارك أخطاءه التي لا حصر لها بمبادرة لانقاذ حياته وحياة زوجاته وأولاده من الفناء المحقق فبادر إلى الأقرار والاعتراف بالحقيقة..

ولكن ما هي هذه الحقيقة؟

في ٢٦ تشرين الأول - أكتوبر - عام ١٩٥٥ ظهر الباشا «فجأة» بصحبة ابنه عبد الصادق ممتطياً سيارته «البنتلي» السوداء خارج القصر الملكي في

الرباط، فقام بزيارة مجلس الأوصياء، وهناك طلب من ابنه أن يقرأ بيانه الجديد الذي اعترف به بالحقيقة المشار إليها آنفاً.

وكانت كبرى فقرات الاعتراف في ذلك البيان قوله: «انني أضم صوتي إلى رغبة الشعب المغربي المطالب بعودة سيدي محمد بن يوسف وعودته إلى عرشه حالا.. لضمان توحيد القلوب والأرواح في تساوق تام».

الجلاوي يعترف بأخطائه

أنها لَقنبلة من نوع جديد فجرها تهامي الجلاوي معترفاً بكل أخطائه وأخطاء الحكومة الفرنسية، وأخطاء ابن عرفة، بالاضافة إلى أخطاء المقيمين العامين المتوالين على الحكم منذ اغسطس عام ١٩٥٣ إلى أكتوبر عام ١٩٥٥.

وقد كتبت لوموند معلقة على ذلك بقولها: «أن انقلاب الجلاوي لم يتم بمعزل عن النظر إلى مصالحه الخاصة.. أنه ولا ريب فكر أو يفكر في مصلحة أسرته تفكيراً اقطاعياً.. وهو الآن ينحني أمام الواقع، ويأمل في الوقت نفسه أن ينقذ حقه في الارث»[١].

كان صوت انفجار قنبلة الجلاوي السياسية مدوياً هادراً في اذن الشعب الفرنسي ـ وأوروبا ـ والمغرب معاً.

وكان بيانه اعترافا صارخاً بكذب كل الادعاءات والبيانات والبلاغات الحكومية، وكان على حد قول النائب الفرنسي فرديبه «تكذيباً لأولئك الذين كانوا يدعون في آب ـ اغسطس ـ عام ١٩٥٣، بأن خلع السلطان محمد الخامس فرضته حركة عفوية قام بها الشعب المغربي تأييدا للجلاوي»[٢].

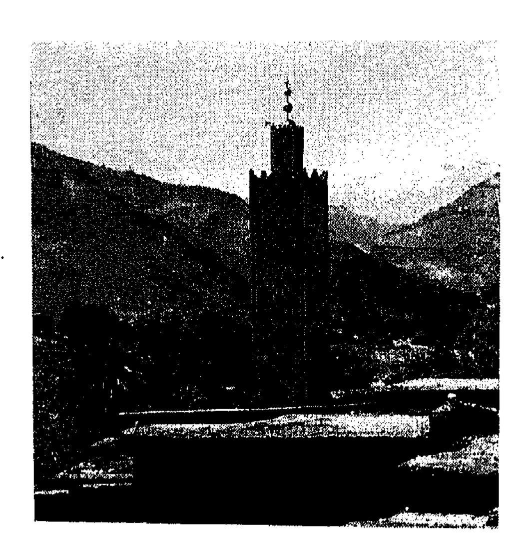
---

(١) لوموند في ٤ و ٥ أيلول سبتمبر ١٩٥٥.
(٢) الفيغارو ١٧/ ١٠/ ١٩٥٥.

بعد هذا الاعتراف صار من الواجب المحتم على الحكومات الفرنسية المتعاقبة والمقيمين العامين أن يبلعوا أقوالهم الماضية التي خرجت من أفواههم ما بين عامي ١٩٥٣و١٩٥٥ .

وهكذا انضم الجلاوي فجأة وبدون ضجيج أو تصنع أو «بدفعة من الخلف» إلى جانب الشعب المغربي المنادي بعودة سلطانه العظيم رمز أمانيه الوطنية .

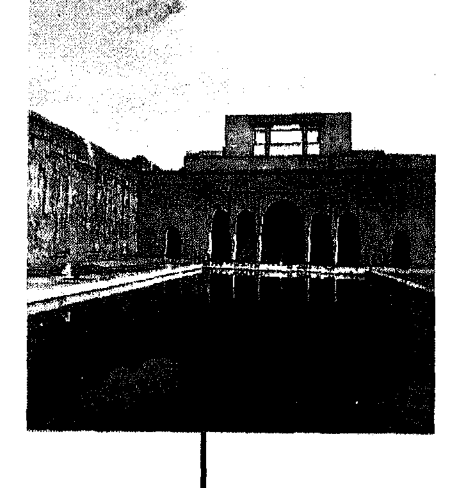
وهكذا ذابت جميع القوى الغاشمة والأيادي الباطشة والأوامر المستبدة بحرارة الشعب المغربي الأمين الوفي لحق سلطانه بالعودة وحق بلاده بالاستقلال .

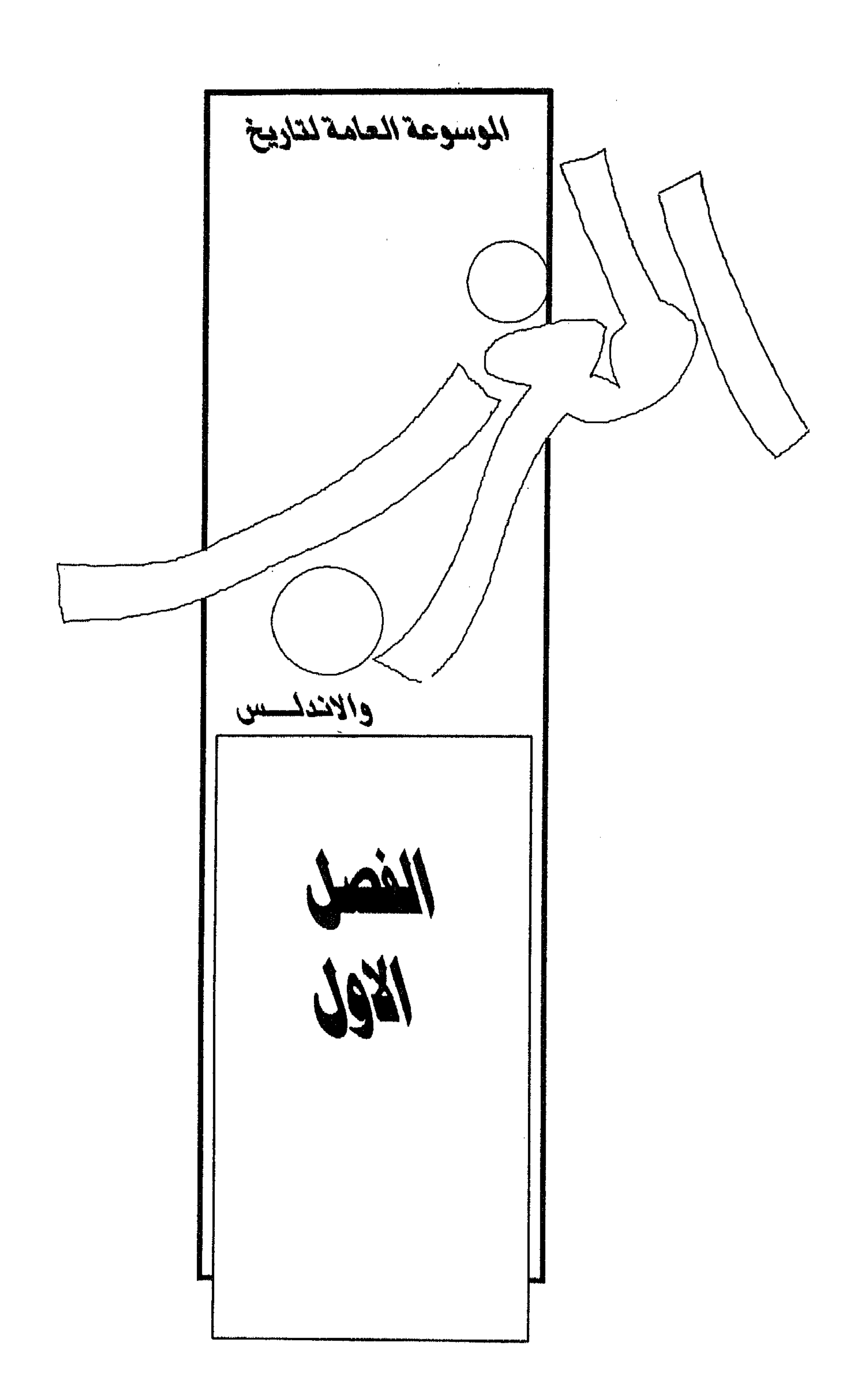


ازيلال ـ المغرب

الباب السابع

قصر البديع




الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الاول



جلالة عاهل المغرب الملك الحسن الثاني

عهد الاستقلال

عودة الملك محمد الخامس من منفاه الى باريس

وتتابعت الأحداث بسرعة ففي ٣١ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وصل جلالة الملك إلى نيس بطريق الجو مع أسرته وحاشيته فاستقبله ممثلو الحكومة الفرنسية كملك عائد إلى وطنه.

وكتبت لوموند بعد يومين: «أن الحكومة الفرنسية تنحني أمام إرادة الشعب المغربي المتحد لاعادة ملكه».

وبعد أربع وعشرين ساعة انتقل جلالته إلى باريس فاستقبلته الحكومة الفرنسية وأعيان المغاربة بحفاوة عظمى.

أما عبد الحي الكتاني وهو خصم الملك العنيد فقد أعلن ولاءه من جديد لملك البلاد، وأرسل ابن عرفة من منفاه في طنجة رسالة سريعة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية أعلن فيها تنازله عن العرش ودعا المغاربة إلى الالتفاف حول الملك محمد الخامس، وكان بينيه وزير الخارجية الفرنسية يشترك في مؤتمر هام لوزراء الدول الأربع في جنيف فترك دالاس الأمريكي

ومكميلان البريطاني ومولوتوف السوفياتي وهرع عائداً إلى باريس ليقدم احترامه إلى «صاحب الجلالة» ملك المغرب.

وبسرعة مدهشة أخرجت المطابع في المغرب عشرات الألوف من صور جلالة الملك فعلقت في المنازل والحوانيت، وتصدرت الجدران في طول البلاد وعرضها، وقبل ذلك ببضعة أيام وأسابيع فقط، كان عرض مثل هذه الصور يؤدي بالفاعل إلى السجن فوراً..

في اليوم الثاني من تشرين الثاني أعلن الجلاوي: «أن وصول صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف سلطان المغرب بنعمة الله إلى فرنسا كان مدعاة سرور لا يحد «له شخصياً» وسعادة عظمى للشعب المغربي».

ولكن الجلاوي الذي كانت بعض الصحف الفرنسية تلقبه «بأسد الأطلس» وجد أن اعترافاته وبياناته وبرقياته لا تكفي إذ كان لا بد من أن يذهب شخصياً إلى باريس ليقدم لعاهل المغرب الكبير توبته واستغفاره.

صحيفة أمريكية تصف لقاء الجلاوي بالملك محمد الخامس

لما دخل الجلاوي قصر الضيافة حيث يقيم جلالة الملك حمل على الانتظار ساعة.. تحت أعين المراقبين وعشرات المصورين الذين وقفوا يراقبون خلف القاعة الكبرى اللقاء التاريخي بين الملك وعدوه الجلاوي.. ولما سمح له بالدخول زحف على يديه ورجليه ورأسه منكس إلى الأرض، وقبل ثوب الملك الرمادي، ثم قبّل قدميه، وركع أمامه أربع مرات ـ ثم قال: «أنا عبد عند قدمي جلالتكم يأمل أن يصفح عنه سيدي محمد بن يوسف».

فأجابه الملك الكريم النفس: «لا تحدثني عن الماضي.. المهم هو المستقبل.. وسيحكم عليك بالنسبة لما تفعله في المستقبل» «وعندئذٍ، أعانه أحد أعوان الملك على النهوض وخرج من الغرفة منحنياً احتراماً».

وكان الجلاوي في الثامنة والسبعين من عمره[1].

وعادت مساجد المغرب لتعمر بالمصلين

والجدير بالذكر أن هذه الفترة السعيدة من حياة المغرب تميزت بحدث بارز جداً تجلت فيه شعبية ملك المغرب سيدي محمد بن يوسف وذلك عندما استردت مساجد المغرب قاطبة روعتها وجلالها بعد عودة المصلين إلى الصلاة في قاعاتها الكبرى وساحاتها واروقتها خصوصاً في أيام «الجمع» لسماع الوعاظ وهم يستهلون مواعظهم بعد ذكر الله ورسوله، باسم الخليفة أمير المؤمنين ملك المغرب سيدي محمد بن يوسف وكان المصلون قد قاطعوا الصلاة منذ أكثر من سنتين في أيام الجمع حتى لا يسمعوا اسم السلطان الصوري ابن عرفة.

باريس ترحب بالملك

أما في باريس فقد اختلف الوضع كل الاختلاف وعلى الأخص في الصحف الفرنسية التي راحت تصدر عناوينها البارزة وافتتاحياتها باسم الملك محمد الخامس.

وقبل عامين كانت الوزارة الفرنسية وكبار الموظفين في الخارجية الفرنسية ودوائر الحماية في الرباط تتسابق في ميدان النعوت الجارحة الموجة إلى جلالته بعد خلعه، ولكن أجواء باريس ما لبثت أن تطهرت من تلك الأنفاس الحاقدة بعد عودة الملك الذي استقبل في باريس بحفاوة بالغة.

ولما توجه الملك إلى قبر الجندي المجهول تحت قوس النصر،

---

(١) لوموند في ٢٧/ ١٠/ ١٩٥٥.

حولت السلطات الفرنسية خط السير عن ميدان النجمة، وروعي في
اليوم أن تكون مراسيم الاستقبال كاملة.

وبعد ظهر ذلك اليوم استقبل الملك المغربي المطالب بعرش
الكونت دي باري والكونتس عقيلته ونجليهما في سان جرمين حيث تـ
اقداح الشاي على مائدة جلالته ثم استقبل الجنرال ديغول.

عهد اندريه دوبوان

واستبدلت فرنسا مقيمها العام بمقيم جديد في الرباط هو السيد ا
دوبوان رئيس بوليس باريس السابق، وكان رابع مقيم عين في المغرب
سنة واحدة.

وكما توقع الكثيرون العارفون بمناقبية الملك وأخلاقه الرفيعة
جلالته أبدى الكثير من التسامح والكرم فعفا عن ذكر أحداث الماضـ
واتسمت تصريحاته بالاتزان والحكمة، وكان البلاغ الرسمي الذي نشـ
مفاوضاته مع «بنيه» وزير الخارجية الفرنسية خالياً من أي تعريض أو
بالسلطات الفرنسية ومرة أخرى تحققت فكرة جلالته الصادقة: «ـ
واحدة إلى الوراء مقابل خطوتين إلى الأمام» أما البلاغ الرسمي فقد جاء
«أن جلالته أكد استعداده لتأليف حكومة مغربية للادارة والمفاوضات،
ستكون حكومة ممثله لمختلف الاتجاهات في الآراء المغربية، وسـ
مهمتها ـ بشكل خاص ـ تهيئة الاصلاحات المتعلقة بالنظم التي ستجعـ
المغرب دولة ديمقراطية أساسها الملكية الدستورية. وستعنى مفاوضات
فرنسا بوصول المغرب إلى مستوى الدولة المستقلة ذات السيادة، و
علاقاتها الدائمة مع فرنسا على طريق اتفاقات تعقدها معها».

وبعد ساعات قليلة عقدت الحكومة الفرنسية جلسة خاصة اعـ

فيها بسيدي محمد.بن يوسف سلطاناً شرعياً على المغرب «الايالة الشريفية» كما كانت تسمى المملكة المغربية قبل أن يستعيد المغرب استقلاله .

المغرب يستعيد افراحه وحريته

وعاش المغرب لدى عودة جلالته إلى عاصمته ـ أفراح انتصاره الكبير ، على مرأى ومشهد من المتطرفين الفرنسيين الذين ازدادت نقمتهم فقاموا بتظاهرات معادية ، ولما حاولوا الاعتداء على الشعب المغربي في المدن ، تصدت لهم الجموع المغربية فوقع صدام دموي اندحر فيه المتطرفون فعادوا إطلى جحورهم وهم يتميزون من شدة الغيظ والشعور بالخيبة والهزيمة .

العودة الميمونة

كان يوم عودة جلالته إلى عاصمة ملكه يوماً مشهوداً حيث تقاطرت فيه الجماهير المغربية من المدن والجبال والصحراء على مدى ثلاثة أيام متوالية لاستقبال جلالته .

عاد جلالته بالطائرة إلى الرباط في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، كملك بطل جدير بعرشه ، وجدير ببطولته الفذة ، وخليق بذلك الاستقبال العظيم الذي نظمته الحركة الوطنية فكان استقبالاً منقطع النظير ، بُحّت خلاله أصوات الجماهير وهي تهتف بحياته وحياة ولي عهده . .

في ذلك اليوم نسي جلالته آلامه ومتاعبه والأحداث المؤسفة التي جرت يوم اعتقاله وحمله إلى المطار وأيام النفي الشديدة الوطء في كورسيكا ومدغشقر ، نسي كل شيء ، لأن استقبال شعبه المخلص الوفي ضمد الجراح وغسل نفسه وطهرها من المتاعب والآلام النفسية ، لقد عاد ملكا منتصرا . . وحسبه من كل ما مضى خلال السنتين الماضيتين هذا الشعور العميق الذي

استقبل به وهو شعور الحب والوفاء الذي لا يقدر بكل ذهب الدنيا وجواهرها . .

لقد كان الحب ناطقاً والوفاء معبراً فانعكسا على وجوه الجماهير المستقبلة الطافحة بالبشر والفرح والسرور والسعادة، حسبه ذلك بلسماً نقياً لشفاء جروح النفس، وعذاب الذكريات الممضة .

ولم يدهش المراقبون مما رأته عيونهم في ذلك اليوم الأغر فقد كانوا يعرفون أن الشعب المغربي كتلة من العواطف الصادقة الأمينة .

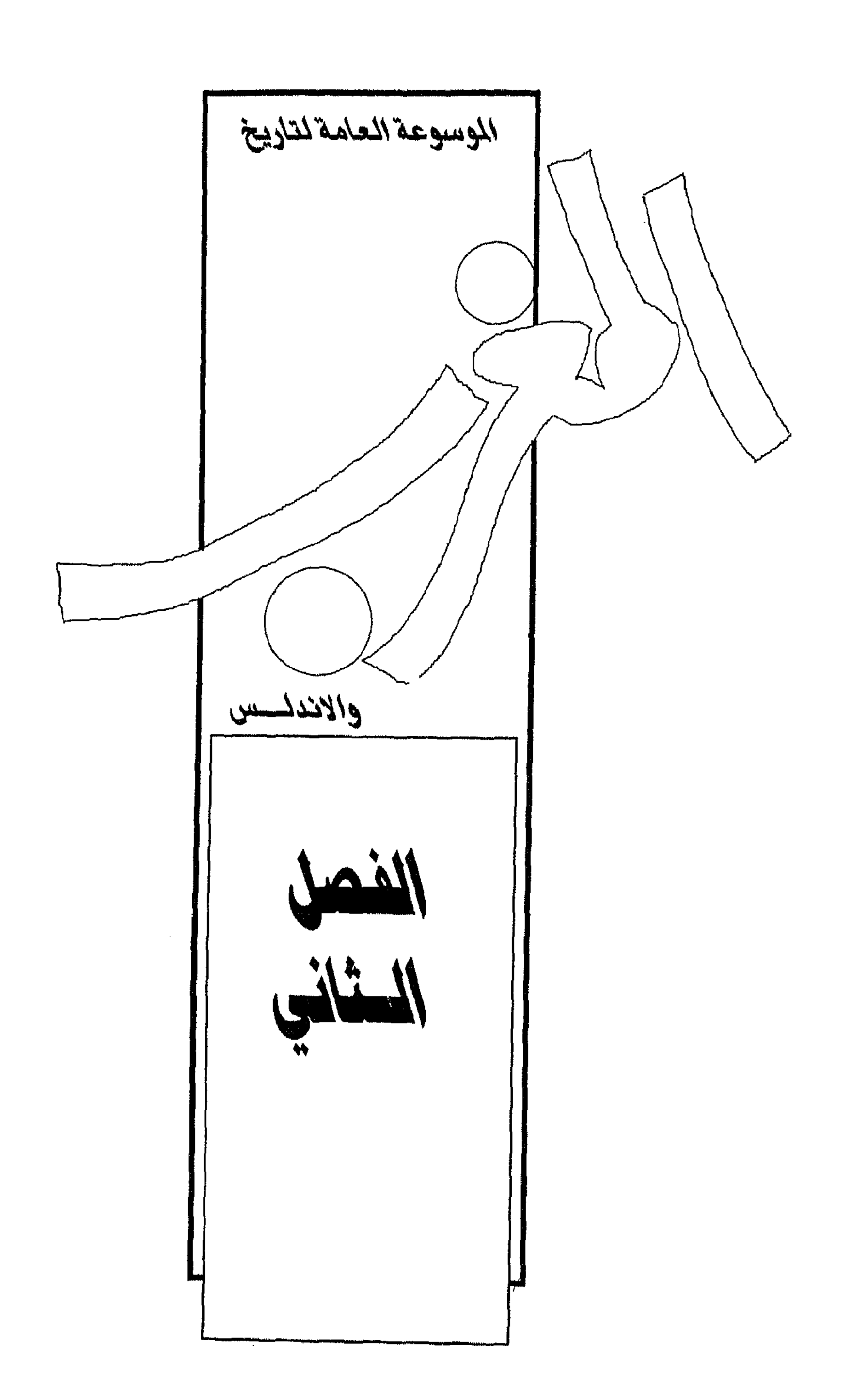
وقد مضى سنتان؛ ومشاعر الشعب واحساساته محتبسة في الصدور، فلا غرو إذن، إذا ما انبجست اليوم وهي أقوى من البراكين وأعتى من العواصف والأعاصير . لقد اختلط الرجال بالنساء واحمرت الوجوه ولم تكلّ الأصوات عن الهتاف والزغاريد ولا تعبت الأيدي عن التلويح لجلالته . . وانطلقت عواطف النساء من صدورهن وتزاحمت الدموع في مآقيهن ثم انهمرت دموعاً نقية أصفى من مياه الينابيع، وكن يحملن اطفالهن فوق اكفهن حتى يتحن لهم رؤية مليكهم وحتى تمتلىء عيونهم بطلعته البهية، لأنهم أبناء المغرب في غده المشرق .

وراح الرجال يخفون دموع الفرح بأنفة وكبرياء ولكن هيهات فاليوم يوم الفرح ويوم دموع الفرح ومنذ ذلك اليوم ١٦/ ١١/ ١٩٥٥ أصبح جلالته يحمل لقب ملك بدلاً من لقب سلطان للمرة الثانية .

وفي هذه الأيام أيضاً شعر موظفو دوائر الحماية لأول مرة في حياتهم بوخز ضمائرهم، فراح كل واحد منهم يعد نفسه أما للرحيل والانكفاء على أعقابه وإما لتكييف نفسه وعواطفه وعقليّته مع الوضع الجديد وما سيسفر عنه الغد الباسم من تحقيق الأماني بالاستقلال الناجز .

وآثر الكثيرون من الموظفين البقاء حفاظاً على وظائفهم أو بانتظار ما ستتمخض عنه الأيام القليلة القادمة. .

كانت المرحلة القادمة ـ مرحلة المفاوضات لذلك أعد الملك نفسه وكذلك ولي العهد الأمير الحسن الضليع بالقانون، والخبير بسياسة المفاوضات، وهو الذي رافق أباه في السراء والضراء، وكان له خير معين، وأنه لمن الحق أن يقال بأن كلا منهما كان سنداً للآخر، ولم يتخلّ سموه طيلة السنتين الماضيتين عن ظرفه وكياسته وتألق بديهته في الشدائد والأيام الصعبة.



الفصل الثاني

حكومة المفاوضات المغربية الأولى

كان من الطبيعي أيضاً أن يوجه الملك اهتمامه وكذلك ولي عهده الأمير الحسن إلى تأليف حكومة المفاوضات الوطنية القادمة، وكانت وجهة نظر الملك أن تشكل الحكومة الجديدة من كل الأحزاب والعناصر الوطنية لتكون حكومة اتحاد وطني، أما حزب الاستقلال فقد كان من رأيه أن تشكل الحكومة من رجالات حزبه وذلك لأنه يتمتع بثقة الملك. .

على أي حال فقد تشكلت الحكومة من ٢١ وزيراً برآسة «السيد البكاي» عشرة منهم يمثلون حزب الاستقلال ولم يكن بينهم الزعيمان علال الفاسي وأحمد بلفريج اللذان آثرا التريث. . ونال حزب الشورى والاستقلال خمسة مقاعد في الوزارة، ومثل ذلك للمستقلين، وأعطيت وزارة الدفاع إلى حرّ مستقل، ثم اسندت ـ بعد ذلك ـ وزارة الخارجية إلى المناضل أحمد بلفريج الأمين العام لحزب الاستقلال.

وقد تم تأليف الوزارة في ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٥، فحل الوزراء الجدد محل المديرين الفرنسيين بعد أن تحولت المديريات الفرنسية إلى وزارات

مغربية وطنية.

انشاء الديوان الملكي

وأنشأ جلالته ديوانه الخاص برئاسة السيد مسعود الشيكر أحد موقعي وثيقة الاستقلال، وكان في الماضي مساعد مدير أول ديوان شكله جلالته ثم حله الفرنسيون يوم اشتداد الأزمة بين الملك والمقيم العام.

وكان أول عمل قامت به الوزارة هو اطلاق سراح جميع المعتقلين الوطنيين ثم اختار جلالته بعض الوزراء وبعث بهم إلى باريس بمهمة رسمية لاجراء المفاوضات.

وفي يوم ١٣ ديسمبر سافر الملك إلى باريس ليشرف بنفسه على سير المفاوضات التي استغرقت ١٥ يوما كما أشرف عليها من الجانب الفرنسي رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة الفرنسية.

وثيقة الاستقلال

وفي ٢ مارس سنة ١٩٥٦ وقع المغرب وفرنسا تصريحاً مشتركا هو وثيقة الاستقلال وفيما يلي نصها: «أن صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس ملك المغرب، وأن حكومة الجمهورية الفرنسية يعلنان عزمهما على تطبيق كل ما تضمنه تصريح «لاسيل سان كلو» المؤرخ باليوم السادس من نوفمبر سنة ١٩٥٥ تطبيقاً كاملاً. وقد تحقق لديهما ـ لما اجتازه المغرب من التطور في ميدان الرقي ـ أن عقد الحماية المبرم في فاس والمؤرخ في اليوم الثلاثين من مارس سنة ١٩١٢، قد أصبح لا يتلاءم ومقتضيات الحياة العصرية، وأنه لا يمكن من الآن فصاعداً للعلاقات الفرنسية المغربية أن تبقى خاضعة لمقتضيات بنوده، وبناء على ذلك فإن حكومة الجمهورية الفرنسية تؤكد علانية اعترافها باستقلال المغرب الذي يقتضي بالأخص ديبلوماسية

وجيشا، كما تؤكد عزمها على أن تحترم وحدة تراب المغرب المضمونة بحكم المعاهدات الدولية وتعمل على احترامها.

«وأن حكومة الجمهورية الفرنسية وصاحب الجلالة سيدي محمد الخامس ملك المغرب ـ يصرحان أن المفاوضات التي استهلت في باريس بين المغرب وفرنسا، وهما دولتان متساويتان وذاتا سيادة، تهدف إلى ابرام «أوفاق» جديدة تحدد الترابط بين البلدين في الميادين المشتركة فيها مصالحهما، وتنظم على أساس الحرية والتساوي تعاونهما وخصوصاً في شؤون الدفاع والعلاقات الخارجية والاقتصاد والثقافة، وتضمن حقوق الفرنسيين المقيمين في المغرب وحرياتهم، وكذلك حقوق المغاربة المقيمين بفرنسا وحرياتهم في دائرة احترام سيادة البلدين وقد اتفق كل من حكومة الجمهورية الفرنسية وصاحب الجلالة سيدي محمد الخامس ملك المغرب، على العلائق الجديدة بين فرنسا والمغرب والتي ستقوم على مقتضيات البروتوكول الملحق بهذا التصريح ريثما يجري العمل بالأوفاق المشار إليها[1] حرِّر بباريس ٢٠/٣/١٩٥٦. ووقع عليه بوزارة الخارجيَّة الرئيس البكاي والرئيس بينو.

يومها فسرت بعض الجهات العربية وغير العربية أن وثيقة الاستقلال كان يمكن أن تكون أفضل من ذلك لو أن الملك محمد الخامس كان أكثر تشدداً وتصلباً.

والحقيقة التي لا مراء فيها هي أن جلالته كان المهندس الحقيقي للنصر الذي ادى إلى الاستقلال في الخطوة الأولى وإلى جلاء القوات الفرنسية عن المغرب في الخطوة الثانية.

---

(١) المرجع السابق نفس العدد.

يومها انتقد البعض في وثيقة الاستقلال النص القائل: «أن عقد فاس أصبح لا يتلاءم ومقتضيات الحياة العصرية وأنه لا يمكن من الآن فصاعدا للعلائق المغربية الفرنسية أن تبقى خاضعة لمقتضيات بنوده».

ثم أضافوا: أن النص المذكور أعلاه لم يلغ معاهدة الحماية نصاً واضحاً: في حين أعتقد البعض الآخر أن الالغاء جاء في المعنى الضمني وهذا ما حدث فعلاً.

والحقيقة أنه كانت هناك مفاوضات قد سبقت المعاهدة، قام بها موفد الحكومة الفرنسية الجنرال كاترو الذي ترأس وفداً يضم مدير ديوان وزير الخارجية الفرنسية وممثلاً عن وزارة الدفاع للتفاوض مع السلطان في مدغشقر تلك المفاوضات إلتي دامت خمسة أيام ودارت حول فقرة: «الاستقلال من خلال التبعية المشتركة».

وقد ظل جلالته مع ولي عهده الأمير الحسن يدرسان هذه الفقرة أربعة أيام ليلاً ونهاراً لأن الملك كان حريصا على أن يأخذ الاستقلال «بدون تبعية» وهذا ما حصل بالفعل.

ثم أنه يجب أن لا ننسى أن الجنرال كاترو حمل إلى الملك المنفي رجاء من الحكومة الفرنسية أن يحتفظ جلالته لفرنسا على الأقل بماء الوجه، ضد الأحزاب اليمينية المتعصبة في باريس، وضد دوائر الحماية والمستوطنين الفرنسيين في المغرب.

وكان جلالته كريما إذ وافق على مبدأ أن تحتفظ فرنسا بماء وجهها أثناء تراجعها البطيء عن كل مواقفها السابقة.

الرسائل المتبادلة بين الملك والجنرال كاترو

وقبل عودة جلالته إلى فرنسا تبادل مع الجنرال كاترو في ٨و٩ سبتمبر رسائل تؤكد النقاط التي اتفقا عليها وهكذا وفقاً لهذا الاتفاق سمح له بمغادرة مدغشقر مع عائلته، ثم استضافته الحكومة الفرنسية في فندق هنري الرابع في سان جرمان بجوار باريس لاستكمال حلقات المفاوضات.

وإلى هنا تكون فصول «ملحمة الاستقلال» قد أكتملت وستليها فصول ما بعد الاستقلال إن شاء الله.

ويتضح من هذا الكفاح الكبير الذي رافقناه خطوة خطوة أن جلالته كان على حق عندما استنجد ببديهته الحاضرة وعمل بأمثولته الخالدة «خطوة إلى الوراء مقابل خطوتين إلى الأمام فالخطوة التي تراجع فيها إلى الوراء، كان أول من تعثر فيها المقيم العام غيوم فوقع في مستنقع اخطائه التي زيّن له الوهم أنها انتصارات، فاندلعت الثورة الكبرى في المغرب، وتأججت نيران حرب التحرير المغربية.

وتلاها على الأثر خطوة أولى إلى الأمام وهي التي قضت على المقيم العام غيوم وموظفي الحماية معه ثم عاد جلالته في خطوته الثانية منتصراً إلى عاصمة ملكه وهو يحمل في يمينه وثيقة الاستقلال ومن أشرف بنودها الغاء نظام الحماية الذي طبق منذ عام ١٩١٢ في عهد السلطان الأسبق عبد الحفيظ.

وبذلك يكون المثل القائل: «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى قد طبق تطبيقاً كاملاً.

وقد أخذ الملك استقلاله بيمينه وبفضل تضامن الأحزاب الوطنية والشعب المغربي البطل معه ذلك التضامن المثالي الذي قل نظيره في أي بلد عربي من بلدان الشرق الأوسط.

وهنا يقف التاريخ منتصباً ليقول كلمته الخالدة: أن الكفاح المسلح هو الطريق الواسع لأخذ الاستقلال. فموقف جلالة الملك المشرف وصموده ضد المستعمرين يعتبر الخطوة الأولى نحو الكفاح المسلح، وتضامن الأحزاب والشعب المغربي معه أدى إلى اخراج منطق الكفاح المسلح إلى ميدان القتال الذي لعبت فيه البطولات والرجولة دوراً بارزاً.

توطيد أركان المملكة المغربية المستقلة

من أجل الاسراع في عملية التمثيل الوطني، أنشأ جلالته مجلساً وطنياً اجتمع لأول مرة في ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٥٦ وكان مؤلفاً من ٧٦ عضواً من الأحزاب السياسية الوطنية والمنظمات المهنية كالتجار والمزارعين والمعلمين ومن بعض اليهود لأن الجالية اليهودية كانت كبيرة إلى حد ما في المغرب.

وقد أشرف على انتخاب المجلس الوطني الجديد السيد مهدي بن بركة أول رئيس له وهو من قادة حزب الاستقلال البارزين، وكان قد عمل لعدة أعوام كأمين سر للحاج أحمد بلفريج الأمين العام لحزب الاستقلال.

وكانت الفترة السابقة لعودة الملك محمد الخامس إلى بلاده قد شهدت تفاقماً في العلاقات بشكل واضح بين الوطنيين المغاربة المقيمين في اقليم موريتانيا والسلطات الفرنسية.

الزعيم الموريتاني حرمة بابانا ينضم لرجال التحرير

حتى ذلك التاريخ كان الوطنيون المغاربة سكان إقليم موريتانيا يقومون بدورهم في قتال القوات الفرنسية، ولكن على نطاق محدود، عندئذٍ انتقل احد زعماء الاقليم وهو «حرمة بابانا» إلى القاهرة وانضم إلى رجال التحرير

من أمثال الأمير عبد الكريم الخطابي، وعلال الفاسي، وأعضاء المكتب المغربي في القاهرة. ثم عاد الزعيم الموريتاني «بابانا» وظهر فجأة قريبا من وادي درعة على رأس قوات من رجال التحرير المغاربة.

ولكن عودته تلك جاءت متأخرة لأنها أتت بعد توقيع وثيقة الاستقلال وتأليف الوزارة.

وخوفاً من أن تقوم القوات الفرنسية بهجوم مضاد على قوات التحرير الموريتانية ثم إرغامها على عقد اتفاقية استقلال منفصلة عن المغرب، مارست حكومة المغرب الجديدة تطبيق حقوقها وسيادتها ومسؤوليتها على ذلك الاقليم المغربي فمنعت قوات التحرير الموريتانية المغربية من منازلة الفرنسيين، واستندت في ذلك إلى حقوقها التاريخية في موريتانيا وإلى سلطتها كدولة ذات سيادة على الاقليم، وحتى لا تكون الدولة المغربية أول من خرق وثيقة الاستقلال.

آراء حول وثيقة الاستقلال

كانت حملة اللغط واللغو ما تزال مستمرة في الداخل والخارج وانبثقت عنها تساؤلات عن السبب الذي لم يدرج نص صريح يحدد موعد جلاء القوات الفرنسية، في حين أن «وثيقة الاستقلال» كانت تفرض على المغرب اتفاقات تتعلق بالشؤون الخارجية والدفاع والاقتصاد والثقافة.

كما أن البروتوكول الملحق خوّل ممثل فرنسا تقديم ملاحظات على تصرفات الحكومة المغربية، ومنح السفير الفرنسي لقب مندوب سام وعميد دائم للسلك الديبلوماسي، وربط المغرب بمنطقة الفرنك الفرنسية، وحفظ للموظفين الفرنسيين في المغرب حقوقهم القائمة.

والجواب المقنع على كل تلك التساؤلات هو أن المغرب قد «أخذ

استقلاله» وتخلص من الحماية وغلاظة المقيم العام ودوائر الحماية ومكائدها المبثوثة في طول البلاد وعرضها ووضع حداً لنفوذ تهامي الجلاوي وعصابته وعبد الحي الكتاني وزاويته، وأن جلالة الملك محمد الخامس لم ينفض يديه من الواجبات الباقية، التي ما تزال تحتل الجزء الأكبر من تفكيره.

والدليل على ذلك أنه بدأ بعد التوقيع على وثيقة الاستقلال يجري مباحثات مع الجنرال فرانكو للتوقيع على وثيقة تعترف فيها حكومة اسبانيا باستقلال المغرب على اعتبار أن نظام الحماية الاسباني مبني على معاهدة فاس عام ١٩١٢، التي فرضت الحماية الفرنسية على المغرب وبانتهاء هذه الحماية انتهت بالتالي الحماية الاسبانية على شمال المغرب.

الملك يتولى بنفسه الاشراف على المفاوضات مع اسبانيا

وهكذا تولى جلالته بنفسه الاشراف على المفاوضات التي كان يقوم بها وفد مؤلف من بعض الوزراء المغاربة رافقوا جلالته إلى مدريد.

وفي ١٢ نيسان ـ ابريل ـ سنة ١٩٥٦ وقع المغرب واسبانيا تصريحاً مشتركاً في فندق الفونس ١٣ بغرناطة يلغي الحماية الاسبانية في المغرب وهذا نصه[١]:

«أن جلالة محمد الخامس ملك المغرب والحكومة الاسبانية رغبة منها في أن يعامل كل منهما الآخر معاملة ودية خاصة على أساس التكافل المتبادل وسعياً في تقوية روابط صداقتهما القديمة وتدعيم السلام في الناحية التي تقع فيها بلادهما، اتفقا على اعلان التصريح التالي:

أولاً: أن جلالة الملك محمد الخامس ملك المغرب والحكومة

(١) «جريدة سان فرانسيسكو كرونكل في ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٥».

الاسبانية: نظراً لكون النظام الذي أسس في المغرب سنة ١٩١٢، لم يعد ملائماً لحقيقة الواقع، صرّحا أن الاتفاقية الممضاة بمدريد بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩١٢، لم تعد صالحة لضبط العلاقات بين اسبانيا والمغرب.

ثانياً: وبناء على ذلك فإن الحكومة الاسبانية تعترف باستقلال المغرب الذي أعلنه صاحب الجلالة محمد الخامس وسيادته التامة مع كل لوازمها وفي ضمنها ديبلوماسية وجيش خاصان، كما تجدد عزمها على احترام وحدة تراب المملكة المغربية التي تضمنها المعاهدات الدولية، وتتعهد أيضاً باتخاذ التدابير اللازمة لتحقيقها، كما أن الحكومة الاسبانية تلتزم بتقديمها لجلالة الملك الاعانة والمساعدة التي يتفقان على اعتبارها واجبة، وبالأخص فيما يهم العلاقات الخارجية والدفاع.

ثالثاً: أن الغاية من المفاوضات المفتتحة بغرناطة بين الحكومة الاسبانية وجلالة محمد الخامس هي ابرام أوفاق جديدة بين دولتين متمتعتين بسيادتهما، وذلك قصد تحديد تعاونهما تعاونا حراً في الميادين التي لها فيها مصالح مشتركة. ومن شأن هذه الاتفاقات ضمان حريات وحقوق الاسبانيين المقيمين بالمغرب والمغاربة القاطنين باسبانيا سواء في المسائل الشخصية والميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وذلك وفق روح الصداقة الخاصة الآنفة الذكر وعلى أساس المبادلة واحترام سيادة كل منهما.

رابعاً: اتفق صاحب الجلالة محمد الخامس ملك المغرب والحكومة الاسبانية على أن تكون العلاقات بين اسبانيا والمغرب خاضعة لنصوص البروتكول المضاف لهذا التصريح إلى أن يجري العمل بالأفاق المشار إليها أعلاه».

يلاحظ هنا أمران بارزان غير موجودين في وثيقة الاستقلال الموقعة مع

فرنسا هما: تبادل الرغبة باقامة علاقات ودية خاصة بين المغرب واسبانيا، وتجديد اسبانيا عزمها على احترام وحدة تراب المملكة المغربية ويفهم من ذلك أن للمغرب الحرية باعلان وحدة ترابه وتوحيدها متى شاء . .

ولكن هذا التصريح المشترك لم ينص على اعادة اقليم طرفاية واقليم سيدي أفني في الجنوب والصحراء المغربية التي اقتطعها الاسبان من المغرب ومارسوا عليها حكماً وكأنها مستعمرة اسبانية ولا على إعادة مدينتي سبتة ومليلة.

ولكن الملك محمد الخامس ومن بعده نجله الملك الحسن الثاني لم يهملا هذه القضية، كما لم يهملا قضية الريف والمدن الساحليّة مثل سبته ومليلة وغيرهما، كما أنه لم يسقط من حساب جلالته يومها منطقة طنجة الدولية، كما سيأتي معنا في الفصول القادمة.

تأسيس الجيش المغربي

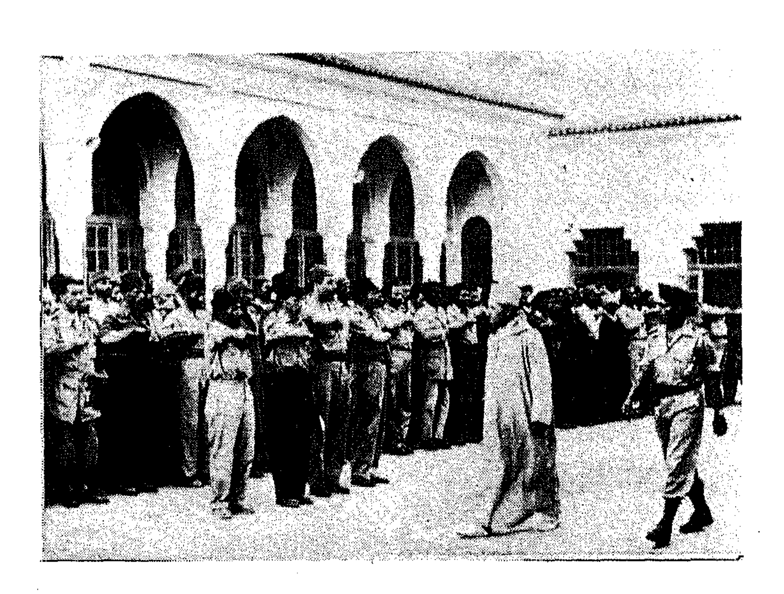
بقي في الرصيد موضوع الجيش المغربي، وهذه المهمة الكبيرة انيطت بولي العهد الأمير الحسن فأصدر جلالة الملك ظهيراً بتعيينه رئيساً للأركان العامة في الجيش المغربي ـ فهو والحالة هذه مؤسس الجيش المغربي في أبان عهد الاستقلال. فاستعان بضباط أكفاء على اعداده وتشكيل وحداته.

وكان الرجال الأوائل الذين جندوا في الجيش المغربي الجديد من المغاربة الذين خدموا كجنود محترفين في الجيشين الفرنسي والاسباني. وكانوا قد تلقوا تدريبات حقيقية مختلفة، ولهذا كان من واجب الأمير الحسن ايجاد نظام موحّد للتدريب. وكان عدد الجنود المغاربة في الجيشين الفرنسي والاسباني من الذين أدمجوا في الجيش المغربي الجديد أربعة وعشرين ألفاً. وقد أضيف إلى هذا العدد ثمانية آلاف من أعضاء جيش

التحرير السابق الذين قاموا بدور بارز في أثناء ملحمة الاستقلال بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٦.

وما حل يوم ١٤ أيار ١٩٥٦ إلاّ ورئيس الأركان الأمير الحسن الثاني كان قادراً على تقديم قواته إلى القائد الأعلى الملك محمد الخامس في عرض رائع أقامه في الرباط.

وقد ترك الأمير الحسن ولي العهد الأمور الفنية لقائدين مغربيين هما الكتاني الذي كان قد وصل إلى رتبة جنرال في الجيش الفرنسي، وبن مِزْيان وهو المغربي الوحيد الذي بلغ رتبة جنرال في الجيش الاسباني. أما ضباط الجيش الجديد وعددهم مئة وثمانون ضابطاً ممن خدموا قبلاً في الجيشين الفرنسي والاسباني فقد كانوا الضباط الأوائل في الجيش المغربي الجديد، ولكن الجيش المغربي ظل عدده محدوداً منذ ذلك الحين ولا يتجاوز الثلاثين ألفاً.



الملك محمد الخامس والأمير مولاي الحسن يعرضان وحدات من جيش التحرير

المغرب يساعد الأمم المتحدة في الكونغو

ولما طلبت هيئة الأمم المتحدة من الدول الأعضاء فيها تزويدها بالقوات العسكرية اللازمة من أجل الكونغو، كان المغرب في مقدمة من لبوا الطلب، فأرسل فرقتين من الجيش الملكي بقيادة الجنرال الكتاني مع الاختصاصيين والأطباء، وعين الجنرال الكتاني مساعداً لقائد الأمم المتحدة في الكونغو، وقد برهنت تقارير الأمم المتحدة بأن القوات المغربيَّة كانت من أفضل القوات التي أرسلت إلى تلك البلاد.

ولا ريب في ذلك، فغريزة القتال، واحراز النصر موجودة في دماء المغاربة سواء كانوا عربا أو بربر.

المثقفون المغاربة ينخرطون في جيش الوطن

وقد حظي الجيش المغربي بشعبية كبيرة في أوساط الشعب، وكان دائما يتلقى متطوعين للخدمة فيه أكثر من المطلوب، وكان المتطوعون من حملة الشهادات يرسلون للتدريب في الكلية الحربيَّة الملكية في الدار البيضاء ـ المدينة التي خضبها الفرنسيون بدماء ابنائها المغاربة لذلك كان منظر الطلاب المغاربة في الكلية الحربية يملأ قلوبهم سعادة وأملا.. كما أرسل العديد من أبناء المغرب إلى الكليات الحربية الفرنسية في سان سير وسالون دي بروفانس، والكلية الاسبانية في توليدو ـ طليطلة ـ ولعلهم كانوا هناك يمتعون انظارهم بمشاهدة ما تبقى في المدينة الكنعانية أصلاً والعربية الأندلسية فيما بعد من آثار حضارة العرب في الأندلس بل لعل الكثير من الوجوه السمراء التي شاهدوها في زمانهم كان اصحابها من أحفاد الأندلسيين العرب والمرابطين والموحدين والمرينيين المغاربة.

ومع الزمن راح المغرب ينشىء قوَّة طيران وقوة بحرية، كما صار

يستورد معدات حزبية من أمريكا وروسيا بالاضافة إلى المعدات الفرنسية والاسبانية.

تزايد الضغط على الثورة الجزائرية

وفي هذه الفترة أيضاً شهد الأمير عبد الكريم الخطابي تطوراً واضحاً في الأمور، وتزايداً في الضغط على الجزائر في أثناء ثورتها، وتحول مكتب تونس ومكتب المغرب في القاهرة إلى مكتبين يهتمان ببعثات الطلاب الوافدين من هاتين الدولتين لتلقي العلم بعد أن نال كل من المغرب وتونس استقلاله.

وأصبحت الجزائر القوة الوحيدة والفعالة الباقية داخل هيئة تحرير المغرب العربي[1]، وحظيت أكثر من غيرها بلقاءات مع الأمير عبد الكريم وبنصائحه وتوجيهاته الغالية ـ وهو الرجل الذي خبر الرجال وخبر السياسة وخبر الحرب، وتقلب الأهواء والحظوظ.

الملك وحزب الاستقلال المغربي

ثمة حقيقة لا بد من ايرادها وهي أن «حزب الاستقلال» كان من أكثر الأحزاب تجسيداً للنضال الوطني في سبيل الاستقلال والنصر النهائي إذ لم يكن للأحزاب الأخرى الا القليل من ذلك الاعتبار، والذين لم يكونوا أعضاء حقيقيين في حزب الاستقلال سلموا جميعاً بزعامته، ولكن للشعب المغربي البطل في السهول والصحاري والجبال يعود الفضل الأوفى في مقاومة الاستعمار بما قدمه شهداؤه من ضحايا ودماء..

وعندما شكا «حزب الاستقلال» في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ سنة ١٩٥٦ بأن المقاعد التي يشغلها في الحكومة لم تكن في حجم قوته في

---

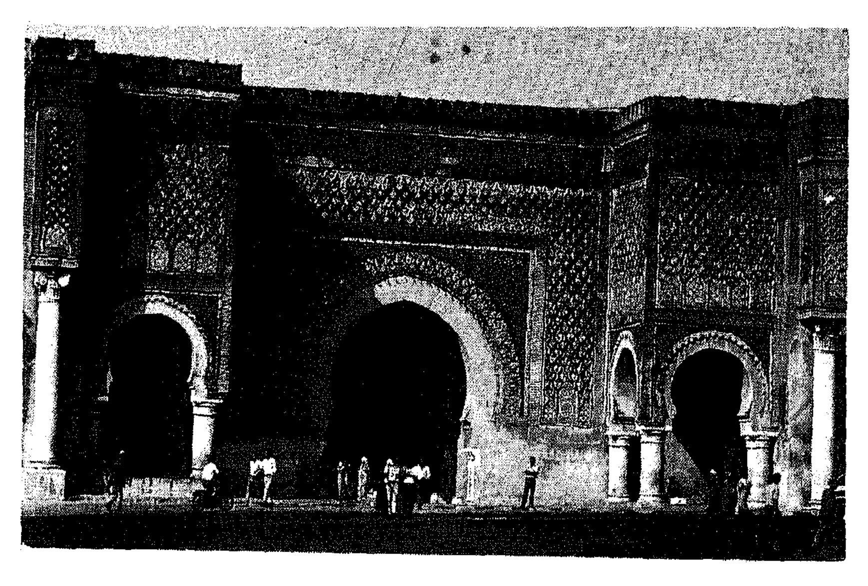
(١) راجع الملاحق في آخر الكتاب.

الماضي والحاضر، وافق الملك على تأليف حكومته الثانية برئاسة مبارك البكاي، وقد أعطيت أكثرية المقاعد لحزب الاستقلال باستثناء وزارة الدفاع التي اسندت إلى السيد محمد الزغاري المستقل وسمي أحمد رضا كديره وزير الدفاع السابق وزيرا للأنباء والسياحة، وأسندت وزارة الداخلية إلى ادريس المحمدي من حزب الاستقلال ووضعت وزارات المالية والتجارة والصناعة تحت اشراف وزارة الاقتصاد الوطني ـ التي أسندت إلى عبد الرحيم أبو عبيد من حزب الاستقلال أيضاً، كما ألحقت وزارة السكن والتعمير بوزارة الأشغال العمومية التي تولاها محمد الدويري، وأصبحت وزارتا الشبيبة والرياضة تحت اشراف وزارة التعليم التي تولاها السيد محمد الفاسي وكلاهما من حزب الاستقلال.

العمل الدؤوب لخلق الدولة

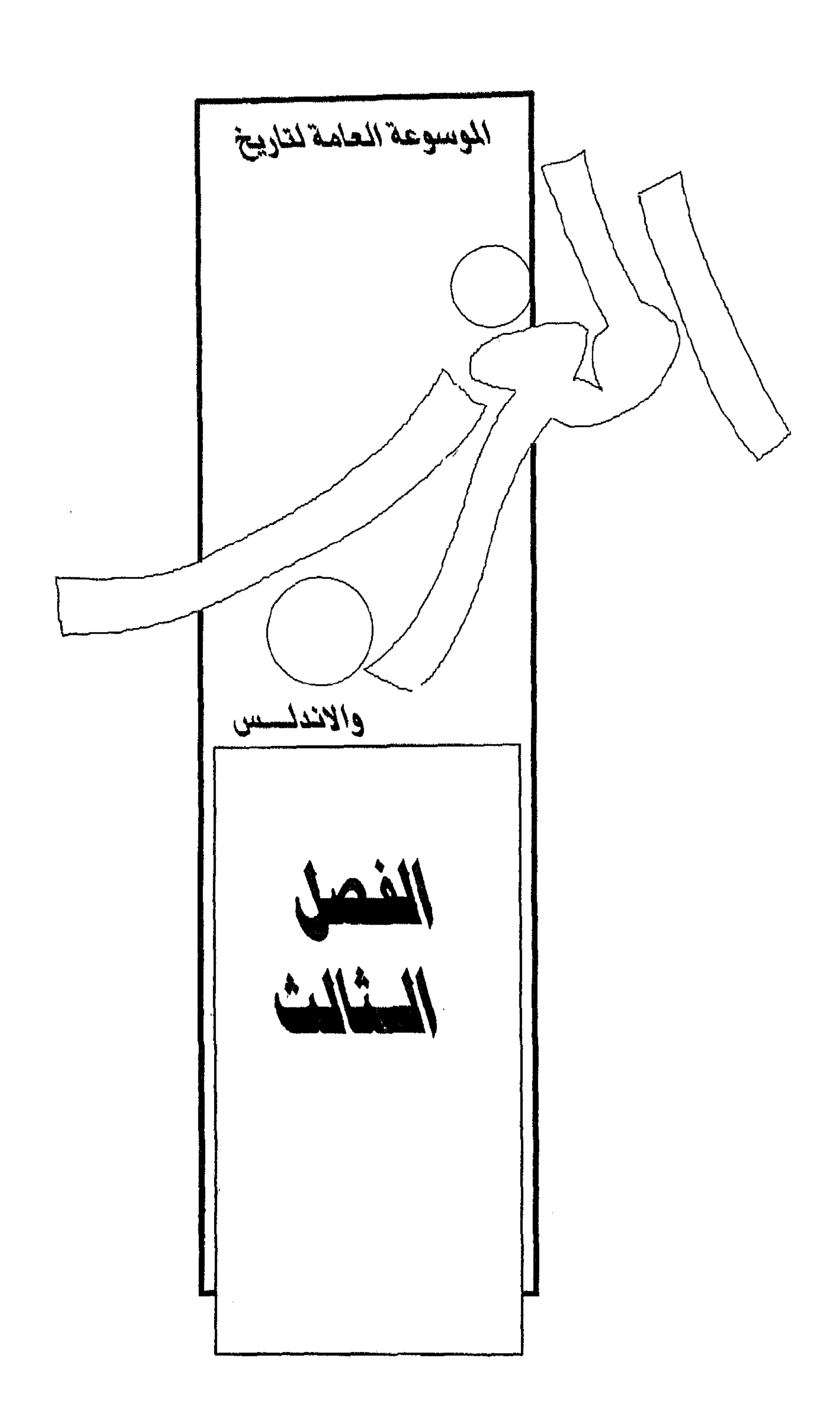
وراح جلالته يعمل على إقامة صروح المملكة وتنظيم مؤسساتها فوزع اهتماماته وجهوده في جميع الاتجاهات لأن كل شيء كان بحاجة لا صلاح. فالمستعمرون الفرنسيون لم يكن همهم منصباً إلاَّ على نهب ثروات البلاد وسرقة خيراتها. وهم بذلك لم يقوموا بعمل يذكر فلا بنوا مرفقاً حيوياً ولا أقاموا مشروعاً ذا منفعة عامة تعود على البلاد وشعبها. وكانت خزينة الدولة قد أفرغها هؤلاء المستعمرون ونهبوها مع ما نهبوا وتركوها خالية خاوية، كما أن جميع أموال المغرب كانت في البنوك الفرنسية خصوصاً بنك باريس والبلاد المنخفضة الاستعماري. وكانت تلك الأموال مودعة لحساب المستوطنين. وقد ساء الوضع الاقتصادي كثيراً لأن فرنسا التي كانت قد وعدت حكومة المغرب بمدها بالقروض للقيام بمشاريع التنمية سحبت تلك الوعود «فوراً» لضرب اقتصاد البلاد من جهة وللضغط على الحركة الوطنية وابتزازها من جهة ثانية ولم تتقدم الولايات المتحدة ذات النوايا المبطنة

والسياسة المراوغة المتذبذبة ذات الوجهين بأية مساعدات مالية للمغرب قبل عام ١٩٥٧ . حتى أن المساعدات التي قدمت فيما بعد كانت شحيحة للغاية وفيها الكثير من الخبث والمكر والدهاء والشروط المسبقة التي لا مفر من قبولها. وقد كان الملك محمد الخامس يعلم حق العلم أَنَّ البلادَ بحاجة لانقاذ وأن الشعب المغربي البطل قد ضحى كثيراً وكثيراً جداً، ضحى بدماء الأبناء في سبيل الوطن وضحى بأعماله وتجارته وصناعته وزراعته وأمواله في سبيل الاستقلال وعودة الملك، وقد قام بكفاحه المسلح الشاق المرير لتحقيق ذلك. وذلك هو الوفاء. وكان على الملك العائد أن يقابل الوفاء بوفاء مثله، لهذا صب جل اهتماماته إلى جانب القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية الكثيرة لتحقيق تلك الاصلاحات المنشودة.



باب المنصور (مكناس

وفوق هذا راح جلالته يحث الحكومة على اعداد المشاريع المتممة للاستقلال واسترداد المناطق المغربية في الشمال والجنوب والصحراء المغربية من الحكم الاسباني ويصفي المشاكل العالقة بين المغرب وفرنسا لكي تسحب جيوشها من المملكة، ولم يكن ليتوانى عن التفكير لحظة واحدة في الثورة الجزائرية المتاخمة لبلاده وتقديم العون لها على قدر ما تستطيع امكانات بلاده تقديم ذلك.



الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلــس
الفصل
الثالث

جبهة التحرير الجزائرية

تجدر الاشارة هنا إلى أن فرنسا بعد أن أعطت تونس حكماً ذاتياً وبعد أن أخذ المغرب استقلاله، كرست جهودها وجيوشها لقمع الثورة الجزائرية بأي ثمن كان.

وكان رجال جبهة التحرير الجزائرية يواصلون عملهم ليل نهار في نطاق العمل الديبلوماسي في الخارج، وفي ميدان القتال في الداخل. وكانت القاهرة في ظل حكم الرئيس جمال عبد الناصر القاعدة الأولى للجبهة في الخارج، في حين انتشر القادة الجزائريون في جميع بلدان العالم يشرحون قضيتهم، وفي الوقت نفسه كانوا يطلبون العون والمساعدات من الحكومات الصديقة. وفي مقدمتها الحكومة المصرية التي قدمت مساعدات كبيرة من مال وعتاد وذخيرة.

وقد عمل في هذا النطاق كل من القادة الجزائريين الكبار: أحمد بن بيللا، ومحمد خيضر، ومحمد يزيد، والحسين آيت أحمد، ومحمد بوضياف، وعبد الحفيظ بوصوف ومصطفىٰ الأشرف. والأحول، ومحمد

أمين الدباغين، وأحمد بودا، وأحمد توفيق المدني، والدكتور أحمد فرنسيس، وفرحات عباس، وعبد الرحمن قيوان، وعبد الحميد نهيري، ومحمد بن يحيى، ومحمد ابراهيم وغيرهم. وهذا معناه أن جبهة التحرير الجزائرية كانت قد تألفت من جميع الاتجاهات السياسية، وكان الجيش الجزائري هو المنفذ الفعلي لسياسة أخذ الاستقلال عنوة من فرنسا وارغامها على قبول مبدأ التفاوض.

ولكن حدث ما عكر جو المفاوضات التي كانت كل من حكومة المغرب، وحكومة تونس تزمعان اجراءَها مع قادة الثورة الجزائرية من جهة وفرنسا من جهة أخرى، في محاولة لاعطاء فرنسا فرصة لستر عملية انسحابها من الجزائر بلباقة حفاظاً على ماء الوجه..

فرنسا تخطف زعماء الجزائر

وفيما كان الملك محمد الخامس يجتمع مع بعض قادة الجزائر وهم: أحمد بن بيلا ـ حسين آيت أحمد ـ مصطفىٰ الأشرف ـ محمد بوضياف ومحمد خيضر في قصره في الرباط للتنسيق معهم والتفاهم على خطة موحدة للعمل، كانت المخابرات الفرنسية تراقب ذلك الاجتماع عن كثب، ولما أراد القادة الجزائريون الخمسة الانتقال إلى تونس بعد أن أكملوا مباحثاتهم مع الملك محمد الخامس، كانت المخابرات الفرنسية قد أتفقت مع قائد الطائرة المغربية التي ستقل الزعماء الخمسة المذكورين وكان هذا الطيار لسوء الحظ فرنسياً..

وهكذا حبكت فرنسا المؤامرة لاختطاف زعماء الجزائر في خدعة دنيئة سببت أكبر الحرج وأعظم الآلام للملك محمد الخامس وشعبه المغربي، وبدلاً من أن تصل الطائرة التي تقل الزعماء الخمسة إلى تونس، حطّت في

مطار الجزائر.

وقد قيل يومها على سبيل تبرئة الطيار الفرنسي الموظف لدى المغاربة، أنه ما كادت تنتهي اجتماعات القادة الجزائريين بالملك حتى غادروا المغرب على متن طائرة مغربية، وفجأة تصدت لهم مقاتلة فرنسية أجبرت طائرتهم على الهبوط في مطار فرنسي في تونس حيث تم اعتقالهم ونقلوا إلى سجن في فرنسا ـ في عملية قرصنة فرنسية بشعة.

والخطأ الفاحش في هذه القضية هو ترك الزعماء الجزائريِّين يسافرون على متن طائرة مغربية يقودها طيار فرنسي، ومن المعروف ان كل الطيارين الفرنسيين في ذلك الزمان كانوا إما تابعين للمخابرات الفرنسية، أو لسلاح الطيران الفرنسي ـ أي أنهم كانوا من الاحتياط ـ وهذا معناه أنهم لا يستطيعون مخالفة أوامر وزارة الطيران أو المخابرات الفرنسية بشكل من الأشكال.

وقد وقعت هذه الجريمة المنكرة التي لا تشرف فرنسا في ٢٢ أكتوبر ـ تشرين الأول ـ عام ١٩٥٦.

ردة الفعل العنيفة على عملية اختطاف زعماء الجزائر

ما أن أذيع على العالم نبأ اختطاف القادة الجزائريين الخمسة حتى كانت ردة الفعل في المغرب عنيفة، وقد اعتبرها الملك عدواناً فاضحاً على العرش وعلى السيادة المغربية، لأن القادة المخطوفين كانوا ضيوفاً على الملك. ولأن الطائرة المقاتلة الفرنسية اعتدت على طائرة تجارية تحمل العلم المغربي.

وشرع الملك على الفور يبذل مساعيه لاطلاق سراح القادة الجزائريين ولكن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك، فأصدر أوامره بسحب سفيره من باريس وفي فورة الغضب الذي اجتاح المغرب في هذه المناسبة هاجم بعض

الشبان المتحمسين من المغاربة في مدينة مكناس بعض المستوطنين الفرنسيين وقتلوهم، وراحت الحكومة الفرنسية تجأر بالاحتجاج وأغلقت حدود الجزائر مع المغرب ثم سحبت سفيرها من الرباط وبعدها أوقفت المعونات التي كانت تقدمها للمغرب. أما في تونس فقد أغلقت الحوانيت والمتاجر أبوابها في اضراب عام وسارع الفرنسيون المدنيون إلى الاختباء في الثكنات العسكرية الفرنسية. غير أن حكومة بورقيبة سرعان ما أنزلت قواتها إلى الشوارع والطرقات الفرعية لحفظ الأمن وحماية «الأجانب».

تاريخ العلاقة بين المغرب والولايات المتحدة الأميركية

كانت العلاقات السياسية والودية بين المغرب والولايات المتحدة قديمة إذ أنها تعود بتاريخها إلى عام ١٧٨٩، بعد عام واحد من استقلال الولايات المتحدة سنة ١٧٨٨ وكان المغرب أول دولة في العالم تعترف باستقلالها. وعلى أثر ذلك أرسل الرئيس الأول للولايات المتحدة يومئذ جورج واشنطن رسالة إلى جلالة سيدي محمد بن عبدالله سلطان المغرب يقول فيها:

لقد تلقيت رسائل جلالتكم التي تفضلتم فأرسلتموها إلى حاكمي تونس وطرابلس بشأن الولايات المتحدة والتي أشكركم عليها بالنيابة عن الولايات المتحدة لما تنطوي عليه من صدق وعاطفة وصداقة.

ثم يقول: أن التشجيع الذي تفضل به جلالتكم علينا في شؤوننا التجارية بالنسبة لممتلكاتكم الواسعة والسرعة التي أمرتم بمراعاتها بالنسبة للمعاهدة التي بيننا، والخطوات العادلة الكريمة التي اتخذتموها في قضية الربان «بركتور» أن هذه الأمور جميعها تركت أثراً حسناً في الولايات المتحدة كما أنها تؤكد احترام هذه البلاد وتعلقها بشخص جلالتكم.

أنه ليسعدني أن أغتنم هذه الفرصة لأؤكد لجلالتكم أنه ما دمت رئيساً لهذه الدولة فانني لن أدخر وسعاً في اتخاذ جميع الوسائل التي من شأنها أن تقوي عرى الصداقة والوفاق القائمين بين إمبراطوريتكم وبيننا، وانني اعتبر نفسي سعيداً لأقدم الدليل لجلالتكم على شعورنا الفياض الذي يتجاوب مع شعور الأمة جمعاء لما تتمتعون به جلالتكم من سمو النفس والحكمة والعطف. أن مجلسنا التشريعي الذي لا يزال يحمل اسم مجلس الأمة سيجتمع خلال فصل الشتاء على التواصل بين بلدينا على شكل يرضي جلالتكم ويحافظ على إرضاء جميع الفرقاء المعنيين.

التوقيع

جورج واشنطن

وجاء في ملفات مجلس الشيوخ الأمريكي المجلد ٤ صفحة ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ما يلي:

١ ـ كان شكر الولايات المتحدة كما عبر عنه جورج واشنطن جوابا لطلب سابق من مجلس الشيوخ الأمريكي إلى السلطان محمد بن عبدالله المذكور كي يتدخل بالنيابة عن أميركا مع باشاوات طرابلس وتونس المعادين لأمريكا «في القرن الثامن عشر» وقد ورد في ذلك الطلب ما يلي: «ستكون إذا ما أسفرت مساعي جلالتكم لوضع حد للنزاع القائم بين الولايات المتحدة وبين اعدائها الوحيدين المتبقين «باشاوات طرابلس وتونس» حادثة مجيدة ومخلدة، وسينال حكم جلالتكم ازدهاراً مطرداً، ويصبح أسمكم عزيزاً على قلوب مواطنينا ويحتفل بذكراه في تاريخنا».

إنَّ أول ما يلاحظ في رسالة جورج واشنطن هو، أن المغرب في أواخر القرن الثامن عشر كان دولة يحسب لها حساب وأن الولايات المتحدة في

أبان عهد استقلالها كانت دولة ضعيفة، وكانت تعتمد على تأييد المغرب لها.

وقد كان المغرب وقتذاك أول دولة اعترفت بالولايات المتحدة، وعقدت معها معاهدة في سنة ١٨٧٦، عمل فيها توماس جفرسون وبنيامين فرانكلين وجون ادامز وهم من أبطال الاستقلال الأمريكي.

ولما حان الوقت لتجديد المعاهدة المغربية الأمريكية بعد وفاة السلطان محمد بن عبدالله سنة ١٧٩١، قال السلطان الجديد يزيد بن محمد بن عبدالله بن اسماعيل «١٧٨٩»: أرى أن الأمريكان يمثلون الأمة المسيحية التي كان أبي يحترمها ـ فأنا منهم حيث كان أبي، وأنا واثق من أنهم سيكونون إلى جانبي[١].

وقد أحب السلطان يزيد بن محمد أن يوطد علاقاته الودية أيضاً مع الولايات المتحدة فأهداها سنة ١٨٢٠ قصراً في طنجة، وكان هذا أول شرف نالته دولة أجنبية في المغرب وما يزال إلى الآن مقراً للمفوضية الأمريكية في المغرب.

اتجاهان مختلفان وهدف واحد

وفي السنين اللاحقة تم الكثير من التقارب الذي وطد العلاقات الأمريكية الودية مع المغرب.

ولكن الولايات المتحدة في مطلع القرن العشرين قللت من اهتمامها بالمغرب إذ لم تكن قد وضعت سياستها الاستراتيجية من جهة ولأن رؤساءها نسوا أو تناسوا العلاقات السياسية والودية القديمة مع المغرب.

---

(١) وقع هذا الاتفاق في الساعة الخامسة صباحاً بين المتفاوضين المغاربة والاسبان في فندق الفونس الثالث عشر في مدينة غرناطة باسبانيا.

والاهتمام الذي أبداه الرئيس تيودور روزفلت في مؤتمر الجزيرة الخضراء عام ١٩٠٤ ، كان الباعث عليه خطر نشوب حرب بين فرنسا والمانيا، وقد رفضت الولايات المتحدة الاعتراف بالحماية الفرنسية سنة ١٩١٢ ، واحتفظت بامتيازاتها التي كانت تأيدت بموجب معاهدة سنة ١٨٣٧ وهي بحد ذاتها كانت توثيقاً لمعاهدة سنة ١٧٨٦ ، وهذه الامتيازات هي التي كانت سبب الاتصال بين الولايات المتحدة والمغرب عام ١٩١٢ .

وقد ظلت العلاقات المغربية الأمريكية، اقتصادية بحتة حتى الحرب العالمية الثانية، ونزول القوات الأمريكية في شمال أفريقيا سنة ١٩٤٢ ، وقد استثمر بعض الأمريكيين أموالهم في مشاريع مغربية، واستقر آخرون في الدار البيضاء، والكثير من هؤلاء عملوا في تجارة الاستيراد والتصدير.

ولكن الأعمال التجارية الأمريكية صادفت غبناً لدى دوائر الحماية الفرنسية، وقد قدم رجال الأعمال الأمريكيون وغرفة التجارة الأمريكية في الدار البيضاء احتجاجات عديدة إلى وزارة الخارجية في واشنطن ولكنها لم تسفر عن شيء.

وفي سنة ١٩٥٠ أجبر مجلس الأمة على أن يقر تشريعاً بتعديل كونولي الذي يرمي إلى تمكين الحكومة الأمريكية من وضع حد للتمييز ضد حقوق أميركا التجارية. ولما فشلت وزارة الخارجية في واشنطن بتطبيقه تقدم هيكنلوبر أحد أعضاء مجلس الشيوخ باقتراح التعديل المغربي الذي أقره مجلس الأمة في تشريع سنة ١٩٥١ والمتعلق بالاعانات الخارجية، وكانت الغاية من هذا التشريع منع المساعدات الاقتصادية عن فرنسا ما دام الرئيس يرى أن المغرب لا يتقيد بنصوص المعاهدات المبرمة مع أميركا. . وكان المغرب ما يزال يومها خاضعاً لنظام الحماية الفرنسية، والفرنسيون هم الذين

كانوا يعرقلون تنفيذ نصوص المعاهدة المغربية الأمريكية.

القواعد الأمريكية في المغرب

إنَّ أكبر مغامرة قامت بها الولايات المتحدة بالمغرب في أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت عندما باشرت بانشاء قواعدها الجوية على أراضي المغرب، لموقع المغرب الهام في الاستراتيجية الغربية، وبسبب أن المغرب يحمي الممر الذي يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي، ولأن المغرب أيضاً يتحكم بالطرق البحرية إلى قناة السويس، ومنه إلى المحيط الهندي وإلى جنوب غربي آسيا وقد أبرز هذا الاتجاه أحد خبراء الاستراتيجية الأمريكية بقوله: «أن المغرب هو الخط الأمامي في الدفاع عن أميركا».

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، سارعت الولايات المتحدة إلى إنشاء قاعدة بحرية في «القنيطرة» القريبة من مدينة الرباط، وبعد ذلك رأت الولايات المتحدة أن تستعيض عن تلك القاعدة البحرية بقواعد جوية. وقد كتبت مجلة لايف الأمريكية في ٤ أيار ـ مايو ـ سنة ١٩٥٣ أن أسهم أميركا في المغرب «الفرنسي» سواء كان ذلك من الناحية العسكرية أو المالية قد أصبحت خلال سنتين كبيرة جداً، ذلك أن الولايات المتحدة كانت في كانون الأول سنة ١٩٥٠ تواجه هزيمة في كوريا، ولهذا فقد أسرعت إلى عقد اتفاق سريع مع فرنسا سمح لها بموجبه أن تقيم خمس قواعد جوية غاية في الضخامة في أراضي المغرب المحتلة. وقد صرح أحد الأمريكيين في السلاح الجوي قائلاً: «وقد نحصل على زيادة ١٠ في المئة من القوة الضاربة بسبب القواعد الأوروبية، لكن القواعد المغربية تقدم لنا ٩٠ في المئة زيادة في امكانية البقاء والاستمرار».

أما القواعد الجوية الأمريكية التي أقيمت في المغرب يومها فهي:

(سيدي سليمان)، و(النواصر) وقد بدأ العمل فيهما عام ١٩٥٣، وأصبحت القاعدة الثالثة جاهزة بعد بضعة شهور وقد انفقت الولايات المتحدة على هذه القواعد ٤٥٠ مليون دولار وسط احتجاجات متوالية من قبل مجلس الشيوخ الأمريكي بسبب زيادة تلك النفقات من ٣٠٠ إلى ٤٥٠ مليون دولاراً.

وقد لخص بنيامين رافلين استاذ دائرة العلوم السياسية في كلية بروكلن، أثناء مؤتمر عقد في ٢٥ أيار ١٩٥٢، في فندق ولدورف استوريا في نيويورك هذه الوقائع بقوله: «أن الولايات المتحدة فاوضت فرنسا من أجل الاتفاقية على القواعد المغربية، ولم تنظر بعين الاعتبار إلى سيادة المغرب على أراضيه وأن هذه السيادة تنفرد وتتميز عن فرنسا، وقد كان بالامكان أن يكون تصرف الولايات المتحدة أكثر حكمة لو أنها تشاورت مع السلطان سيد المغرب الشرعي» وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى زعزعة مكانة الولايات المتحدة في الأوساط الوطنية والقصر معاً. وقد صرح أمريكي آخر كان قاطناً في المغرب بقوله: أن الولايات المتحدة لم تدعو ولم تنظر إلى الأمور نظرة صحيحة ـ عندما تعاقدت مع فرنسا وأهملت الجانب المغربي ـ وذلك لأنها ستجد نفسها ـ في المستقبل ـ قابضة على الطرف القصير من العصا[1].

أصوات أميركية تطالب بمساعدة المغرب

وقد علت أصوات كثيرة في الولايات المتحدة، وهي تنادي بوجوب مناصرة المغرب في ثورته من أجل الاستقلال، ومن هؤلاء ادريان فيشر كبير المستشارين القانونيين في وزارة الخارجية في ذلك العهد، ووسكنون

---

(١) أنظر كتاب عبد الكريم الخطابي تأليف جلال يحيى ص ١٤٢.

لورنس سميث العضو في اللجة الخارجية في مجلس النواب، وهو القائل في مجلس النواب الأمريكي: «هل لدينا ما يمنعنا من سماع استغاثة قوم من البشر يطالبون أن تعطى لهم حقوقهم الطبيعية كما أعطيت لنا»[1] .

ولما قادت الولايات المتحدة حملة المعارضة ضد قرار الأمم المتحدة لمصلحة المغرب ، أذاع جورج ميني رئيس اتحاد العمال الأمريكي بياناً جاء فيه قوله: «أن الموقف السيىء الذي اتخذته حكومتنا في المناقشة التي جرت مؤخراً في الأمم المتحدة حول أزمة الاستقلال في شمالي أفريقيا، حتمت على بلادنا أن تسارع إلى اصلاح ما تهدم من كرامتنا الوطنية وسمعتنا الحسنة، خاصة بين شعوب آسيا وأفريقيا، وخير سبيل لتحقيق هذه الغاية النبيلة هي أن تؤيد حكومتنا دائماً وبمنتهى النشاط مطالب تونس والمغرب وبقية الشعوب المستعمرة التي تعمل في سبيل الاستقلال والحرية، أن اتجاهاً ديمقراطياً بناءً مثل هذا. . يُمَكِّن بلادنا من إكمال رسالتها التاريخية العظيمة القائمة على الحفاظ على الحرية الانسانية والخير العام والسلام العالمي وحمايتها»[2] .

الرأي العام الأميركي يناهض الحكم الفرنسي

ولما انعقد المؤتمر الوطني للتنظيم الصناعي في كليفلاند، في تشرين الثاني عام ١٩٥٣ وافق المؤتمر على اصدار التصريح التالي: أن مؤتمر التنظيم الصناعي، يرقب بكثير من الحذر تدهور الوضع في أفريقيا الشمالية. . أن حقوق العمال تداس تحت الأقدام في تونس والمغرب، والاغتيال نصيب اتحادات العمال، وحريات أهل البلاد يُضَيَّق عليها

(١) ر.ي. أروين (العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والقوى البربرية ١٧٧٦ ـ ١٨١٦. شابل هل برس ١٩٣١.

(٢) المغرب الحر. واشنطن (D - C) ٢٥ أيار/ مايو ١٩٥٣.

كثيراً[1] .

و[2]الحق يقال بأن الرأي العام الأمريكي كان مناهضاً للحكم الفرنسي في المغرب، وذلك على عكس نظام الحكم الرئاسي القائم الذي كان ولا يزال حتى يومنا هذا يستوحي أفكاره السياسية من اليهود الصهاينة المهيمنين على كل كبيرة وصغيرة في الولايات المتحدة.

وكانت الدوائر الرسمية في واشنطن ميالة إلى تأييد نظام الحماية، لأنها كانت تخشى أن يقع المغرب بعد تخلصه من فرنسا فريسة في أيدي الشيوعيين وكان ثمة رأس مال أمريكي ـ فرنسي مشترك في المغرب.

ثالوث الاعلام اليهودي في أميركا

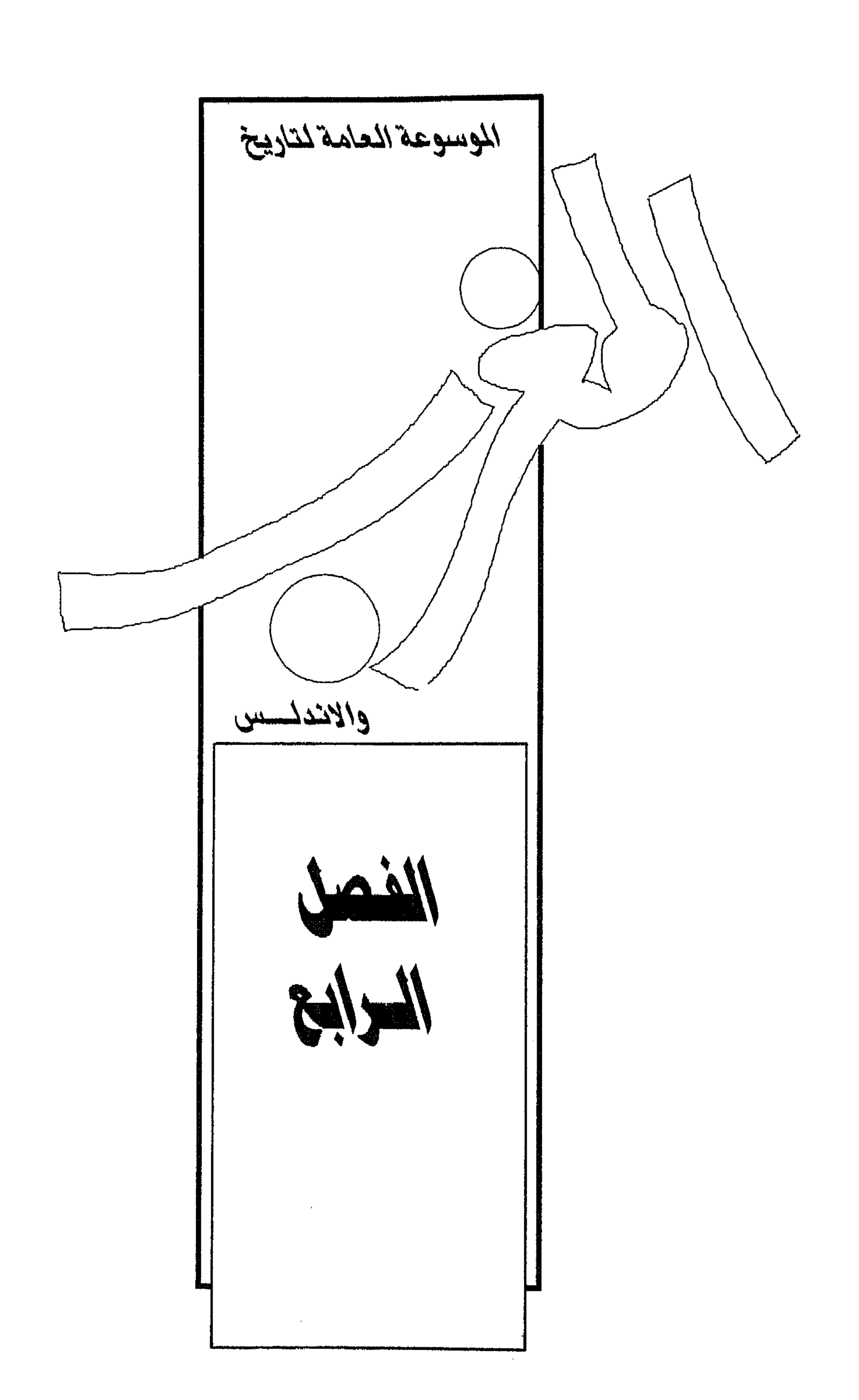
وكان ثمة اتجاهان متضاربان في الرأي نلخصهما فيما يلي: أولهما قول القاضي الأمريكي وليم دوغلاس من قضاة المحكمة العليا الذي زار المغرب في صيف عام ١٩٥٤ فقد نشر مقالاً في مجلة لوك الأمريكية جاء فيه: «أن السوط هو في الواقع رمز الحكم الفرنسي في المغرب، والفرنسيون يعرفون كيف يمارسون الارهاب هناك، فتعديب المساجين أمر مألوف، وما لم تعدل السياسة الفرنسية وتدخل اصلاحات جذرية فإن المغرب سينفجر بعنف لا تعرفه سوى أفريقيا. فإذا حدث مثل هذا الانفجار فإن تدبير شؤون الثورة في المغرب قد يصبح في أيدي غير الوطنيين أي «بأيدي الشيوعيين»».

فردت عليه جريدة هيرالد تريبيون النيويوركية زاعمة بأن دوغلاس لا يذكر شيئاً عن الاختلاف بين العرب والبربر واليهود، ولذلك فالأثر الذي يتركه قوله هو أن الجميع يودون من فرنسا أن تغادر البلاد، وبعد اضطرابات

(١) سجلات مجلس الشيوخ الأميركي ٢٩/ ١/ ١٩٥١ ص ٧٥٦.
(٢) الولايات المتحدة وأميركا حول المشكلة المغربية. لجنة اتحاد التجارة الأميركية الحرية ـ نيويورك ١٩٥٤ ص ١٤.

الصيف الماضي، اعترفت حكومة منديس فرانس بالاخطاء السابقة، وبخطر سيطرة الشيوعيين على الحركة الوطنية، وفرنسا هي الدولة الوحيدة التي يمكن أن ترشد المغرب إلى طريق الاستقلال الذاتي وتقوده نحوه، لقد بدأت القيام بذلك ويجب أن نعطيها الفرصة التي تستحقها.

ومن المعروف أن صحيفة هيرالد تريبيون تؤلف مع صحيفتين أخريين هما: نيويورك تايمز وواشنطن بوست شركة يهودية صهيونية واحدة.


الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الرابع

مصادمات بين الأحزاب المغربية

قابل الشعب المغربي الصبور اللؤم الفرنسي والبخل الأمريكي بسياستة التقليدية القائمة على مقاطعة البضائع الفرنسية التي يستوردها المستوطنون من فرنسا، ومقاطعة الحوانيت والمتاجر الفرنسية المنتشرة في احياء المستوطنين، مما أدى إلى افلاس العديد من ابناء (الأم الحنون فرنسا) . فأقفلت حوانيتهم ومؤسساتهم، أما دور الصناعة الفرنسية في المغرب فقد أخذت تقلل من انتاجها فسبب ذلك المزيد من الفاقة والبطالة في أوساط المستوطنين.

وبينما كانت الحكومة المغربية دائبة على صبغ الحياة العامة في البلاد بصبغة مغربية بحتة، فقد العديد من موظفي الحماية وظائفهم الكبيرة والصغيرة وحل محلهم وطنيون مغاربة.

ومع ذلك فإن حكومة مبارك البكاي لم تكن، في مرحلتها الثانية أفضل حالاً من مرحلتها الأولى.. فشخصية البكاي لم تكن مؤهلة كل التأهيل لقيادة البلاد فيما بعد الاستقلال.. لأن هذه المرحلة كانت عسيرة شاقة

وتتطلب رئيساً شاباً للحكومة مثقفا ثقافة عالية، حتى يستطيع أن يضمد جراح الوطن ويطهرها من النزيف المزمن. لهذا لم يكن البكاي رجل الساعة.. لقد كان الملك وفياً معه عندما آثره وعينه مرتين رئيساً لمجلس الوزراء فأدى بذلك دين الشرف الواجب لصديقه البكاي.

ولكن الأحزاب المغربية كان لها نظرة أخرى في تقييم الأمور فاختلفت وجهات النظر فيما بينها وتباينت عندها السبل في معالجة الأمور. ويبدو أن الوحدة الوطنية التي عقدت عليها الخناصر ووحدت الجهود في ملحمة الاستقلال قد تعطلت حركتها.

فالتجانس في مجلس الوزراء صار معدوماً لانعدام التنسيق في وجهات النظر بين تاجر غني من مراكش، ونقابي متحمس من الدار البيضاء، وبين معلم ذي ثقافة غربية، وعالم تقليدي من جامعة القرويين في فاس أو بين مزارع من شواطىء الأطلنطي وصاحب حرفة أو مهنة في الرباط، وبين سكان السهول وسكان الجبال. لقد كان التباين واضحاً ويحتاج إلى دراسة معمقة في الجذور للبحث عن بواعث المشاكل والخلافات.

وبالرغم من ذلك فقد كان الواجب يدعو رجال الأحزاب السياسيين إلى التعمق في فهم الوضع.. وضع البلاد الخارجة من ثورة مسلحة أكلت الأخضر واليابس وأن يتناولوه بالحكمة والروية كما كان عليهم أن يتعاونوا بصدق وايمان وإلى أبعد الحدود مع الملك الذي يعتبر رمز الوحدة الوطنية والذي أحبهم وتفانى في حبه لهم ذلك أنه لم يقبل بالمفاوضات مع كاترو في مدغشقر ولا مع بينه في باريس، الا بعد أن تشاور معهم فيما عرض عليه، وفيما عرضه على الفرنسيين من شروط لقبول مبدأ المفاوضات.

ووفاء الملك لرجال الأحزاب يعتبر وفاء مثالياً كان الواجب يقضي بأن

يقابل وفاؤه بالمثل في عهد الاستقلال الذي ما زال أخضر طري العود.



أحد أبطال الريف

أولويّات الحكومة المغربية الثانية

ما أن بدأت الوزارة الثانية أعمالها في ٢٨ تشرين الأول ـ أكتوبر عام ١٩٥٦، حتى أعطت الأفضلية في اهتماماتها إلى موضوعين: تحسين العلاقات مع فرنسا لتواجه أخطار الجفاف وانحباس الأمطار الذي أصاب المغرب. وتطوير النظام الاداري المتخلف الذي تركه عهد الحماية.

ولكن حزب الشورى والاستقلال وقف موقفاً معارضاً من تلك الحكومة الجديدة، ولا ضير في ذلك من حيث مبدأ المعارضة البناءة، ولكن أعضاء الحكومة الجديدة وأكثريتهم من حزب الاستقلال واجهوا المعارضة بسوء نيّة وبالتالي بالجفاء والعنف المغطى بالآداب الديبلوماسية، ولم تظهر على حقيقتها الا في مطلع عام ١٩٥٨، لأن موجة من التعاطف جمعت بين

الأحرار المستقلين، والشوريين الاستقاليين نتيجة للمؤتمر الثاني الذي عقده شباب حزب الاستقلال في طنجة في أواخر عام ١٩٥٧، وقرروا فيه الاحتجاج على عدم كفاءة وزارة الأنباء والسياحة، فاستند إلى هذا القرار السيد مهدي بن بركة في شن حملات شخصية على السيد كديرة في جريدة حزب الاستقلال.

انقسام حزب الاستقلال على نفسه

هذه كانت واجهة الخلاف، وهي واجهة شفافة جداً لا تستحق أن تشن من أجلها الحملات الشخصية.

وتشكلت معارضة قوية أيضاً في حزب الاستقلال نفسه من السادة: **عبدالله ابراهيم** وزير العمل السابق، **وعبد الرحيم بو عبيد** وزير الاقتصاد الوطني، **ومحجوب بن صديق** أمين سر النقابات **ومهدي بن بركة**، وكانت معارضتهم قائمة حول ما وصفوه «بالرجعية» وهي السياسة التي اتهم بها المناضلون **علال الفاسي وأحمد بلفريج واليزيدي** واخوته، **والحاج عمر بن عبد الجليل**.

هذا الانقسام في حزب الاستقلال جاء في غير أوانه، خصوصاً وأن البلاد كانت تتخبط بالأزمات وأن الفرنسيين كانوا يتربصون ويحيكون الدسائس والمؤامرات في السرد العلانية.

وصادف أن اشترك حزب الشورى والاستقلال بالمؤتمر الآسيوي - الأفريقي الذي عقد في القاهرة، واكتسب أثناء انعقاده «المزيد من الشعبية» التي تجلت في المظاهرات المعارضة التي قادها شباب الحزب في مدن مناجم التصدير المجاورة للرباط.

هذه المظاهرات الارتجالية التي كان ينبغي الا تحدث أَجَّجَت نيران

الخلاف بين الحزبين، فبدأت المهاترات والمزايدات بينهما تحتل واجهة الصحف الحكومية من جهة، وصحف المعارضة من جهة أخرى. فاغتنم وزير الداخلية الاستقلالي فرصة الصلاحيات الممنوحة له عقب غارة الطائرات الفرنسية على ساقية سيدي يوسف في تونس، ليقرر منع الاجتماعات العامة وتعطيل صحافة حزب الشورى والاستقلال المعارضة عن الصدور وهذا يعني أنه قام بعمل اعتبر استفزازياً وعلى غرار ما كان يقوم به ويمارسه المقيم الفرنسي العام في عهد الحماية والارهاب.

عدا ذلك فإن هذا الاجراء اعتبر أول طعنة نافذة في ديمقراطية دولة المغرب الحديثة.

توتر العلاقات بين حزب الاستقلال ومحجوب أحرضان

وقام السيد محجوب احرضان في أكتوبر عام ١٩٥٧، بحركة سياسية جديدة لوقف امتداد حزب الاستقلال إلى بوادي المغرب، مستغلاً الأكثرية التي نالها في الحكومة الثانية، لتوسيع انتشاره في الجنوب فما كان جواب حكومة حزب الاستقلال على تلك البادرة الا أن عزلت السيد محجوب احرضان من منصبه كعامل «وال» على الدار البيضاء واتهمته صحافة حزب الاستقلال بأنه أثار حركة شبيهة بالحركات الاستعمارية.

فرد السيد محجوب أحرضان على ذلك بنشاط بذله لتحريض الهيئات السياسية الأخرى ضد حزب الاستقلال، ما لبث أن أسفر عن وضع عريضة تطالب «بالحريات العامة» ثم رفعت العريضة إلى السيد البكاي رئيس الحكومة، وهذا حولها بدوره إلى جلالة الملك.. وعندئذ قدم الاستقلاليون استقالاتهم من الحكومة. والأكثر من ذلك فأنهم اتهموا السيد البكاي رئيس الحكومة بأنه حنث بوعده وبالعهد الذي قطعه بالوقوف موقف الحياد ما دام

رئيساً للحكومة.

وكيف يمكن لرئيس حكومة أن يقف على الحياد عندما يرى أن أعضاء حكومته يتصرفون تصرفات مناهضة للديمقراطية، ومعادية «للحريات العامة» هذا عدا عن أن حزب الاستقلال قد أصبح منقسماً على نفسه، فجماعة علال الفاسي وبلفريج أطلق عليها لقب الرجعيين اليمينيين، بينما أطلق على جماعة مهدي بن بركة وعبدالله ابراهيم لقب اليساريين.

ومن المعروف في السياسة العامة أن «اللعبة السياسية» بين اليمين واليسار يجب أن تكون مجالاً للتنافس وميداناً لتحقيق الاصلاحات المنشودة وكل ما فيه خير لتقدم البلاد.

ولكن عندما تتحول «اللعبة السياسية» إلى تنافس على الوظائف والمراكز الاجتماعية، والتوسع الحزبي، والأثرة والأنانية، فإن اللعبة السياسية عندئذٍ تعتبر خارجة عن نطاق الأهداف الوطنية.

ومن المعروف أيضاً أن اللعبة السياسية تتطلب بالاضافة إلى ما ذكرنا سجايا وصفات ضرورية للعمل السياسي الناضج كالتحلي بالأخلاق الرياضية والكياسة والصبر والمرونة و. . البرودة. والتعاون ـ وتقدير الحالة والظروف.

وقبل أن يكلف الملك «الشخصية المطلوبة» لتأليف حكومة الاستقلال. نشرت صحيفة حزب الاستقلال مقالاً بتوقيع مهدي بن بركة قال فيه: «أن حكم المستقبل في المغرب يجب أن يقوم على أُسس «اشتراكية ديمقراطية».

حادثة تمرد عامل قصر السوق

ثم حدث بعد ذلك أمر خطير هز أركان دولة المغرب المستقلة هزاً عنيفاً. وذلك عندما تمرد عدي وبيهي عامل «قصر السوق» الواقعة في المنطقة الشرقية من المغرب جنوب خنيفرة في ١٨ يناير ـ كانون الثاني عام ١٩٥٧ .

وكان جلالة الملك غائباً في ايطاليا بعد أن أناب عنه ولي عهده الأمير الحسن. وكان سبب التمرد خلاف حاد نشب بينه وبين حزب الاستقلال على ممارسات السلطة، وكان عدي زعيم قبيلة تعيش في منطقة ولايته وفي مدينة قصر السوق بالذات.

ولا شك في أن الجواسيس الفرنسيين المنتشرين في كل مكان لعبوا دوراً رئيسياً في تحريض العامل «الوالي» عدي، لحد أن الجيش الفرنسي أمده بالسلاح والخبراء لتعليم أفراد قبيلته كيف يستعملون السلاح الحديث، وكان ـ الخبراء الفرنسيون الموجهين الحقيقيين لحركة التمرد التي احتلت مدن الاقليم وقراه، تحت ستار من الدعاية المموهة الرامية إلى انقاذ العرش العلوي من مهدديه.

التمرد عمل فرنسي بحت

وقبل أن يعود جلالته من ايطاليا أدرك الأمير الحسن ببداهته الوقادة أن حركة التمرد هذه هي من تأليف واخراج السياسة الفرنسية وأن الغرض منها هو منع المغرب من مد يد المساعدة إلى الجزائر، والمقصود هنا المساعدة العسكرية وإرسال الأسلحة والعتاد ـ من المغرب إلى حركة التحرير في الجزائر. وكان لا بد لنا قلي هذه الأسلحة من أن يمروا بمنطقة «قصر السوق» القريبة من الحدود الجزائرية. لذلك طرح سموه القضية على مجلس الوزراء، حيث تضاربت الحلول والاجتهادات، إذ وقف بعضهم إلى جانب

رأي الأمير الرامي إلى استخدام القوة لقمع التمرد، بينما وقف آخرون إلى جانب رئيس الحكومة الداعي إلى استعمال الحكمة ومعالجة التمرد بالسياسة والدهاء اجتناباً لسفك الدماء.

ولكن الأمير الحسن قرر على الفور عزل العامل عدي من منصبه وابقاء رئيس الحكومة مع عضو من مجلس التاج لاقناع العامل بانهاء تمرده وفض حشوده وتسليم ما لديه من أسلحة، وفي الوقت نفسه أصدر سموه أمراً لوحدات من الجيش المغربي بالتوجه فوراً إلى منطقة التمرد والعصيان مصطحبة معها الدبابات المرابطة في الرباط.

وما أن زحفت الدبابات المغربية نحو المنطقة حتى اعترضت طريقها وحدات من الدبابات الفرنسية، ومنعتها من التقدم وعندئذٍ تجلت عزيمة رئيس أركان حرب الجيش وهو الأمير الحسن نفسه فأصدر أمراً إلى الدبابات المغربية بقصف الدبابات الفرنسية.. وبسرعة فائقة انفتحت الطريق أمام الدبابات المغربية.

وبنفس العزيمة والأوامر الحاسمة استبدل الأمير الحسن رئيس الحكومة بالوزير المستشار بمجلس التاج السيد الحسن اليوسي، ثم أمر الوفد الحكومي بالتوجه إلى المنطقة، والعامل الجديد بالذهاب إلى تسلم عمله الجديد في قصرِ السوق، ووجه نداءً طلب فيه من سكان الاقليم أن ينفضّوا عن العامل المتمرد.

استسلام المتمرد

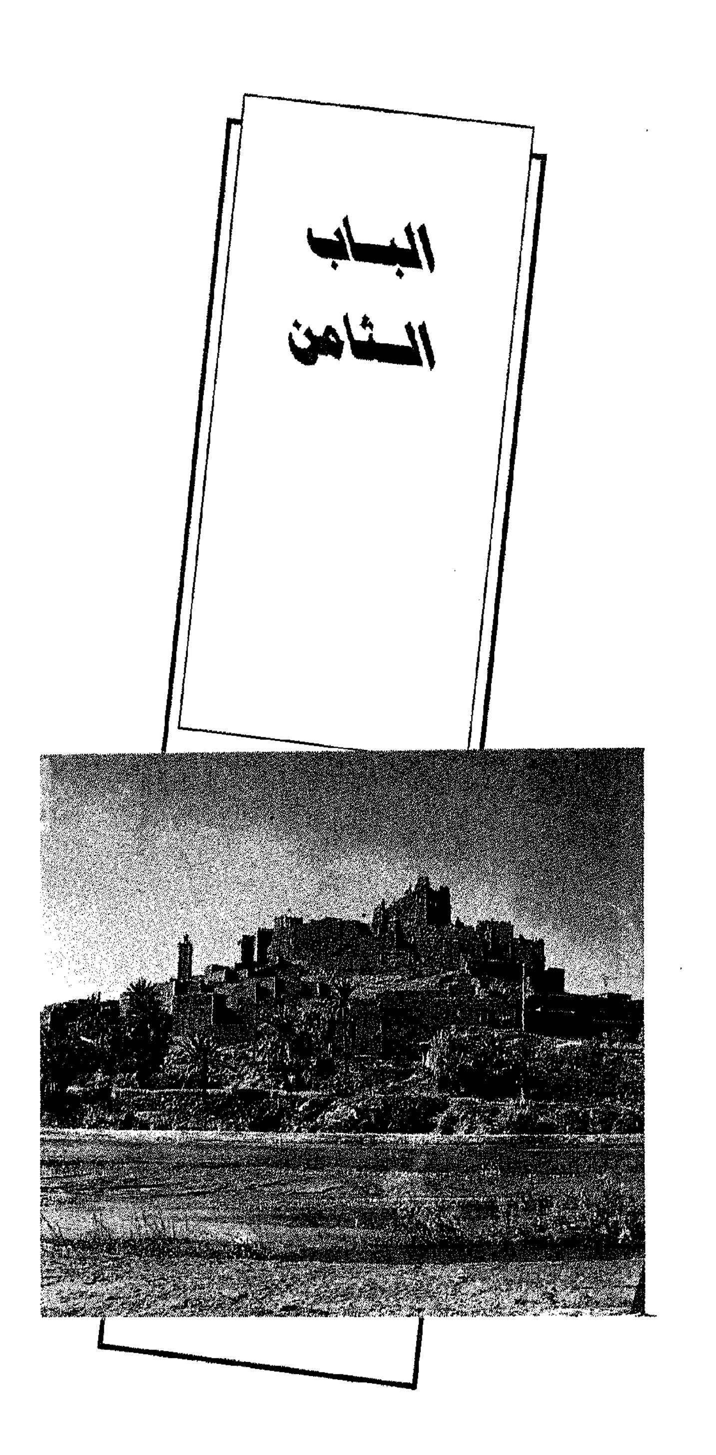
ولما نصح رئيس الحكومة العامل المتمرد بالاستسلام، أكد هذا للوفد الحكومي، أنه جندي من جنود محمد الخامس، وأن ولاءه له مشهود منذ أيام صراع جلالته مع الحماية، وأن سلطات الحماية في ذلك الوقت قبضت

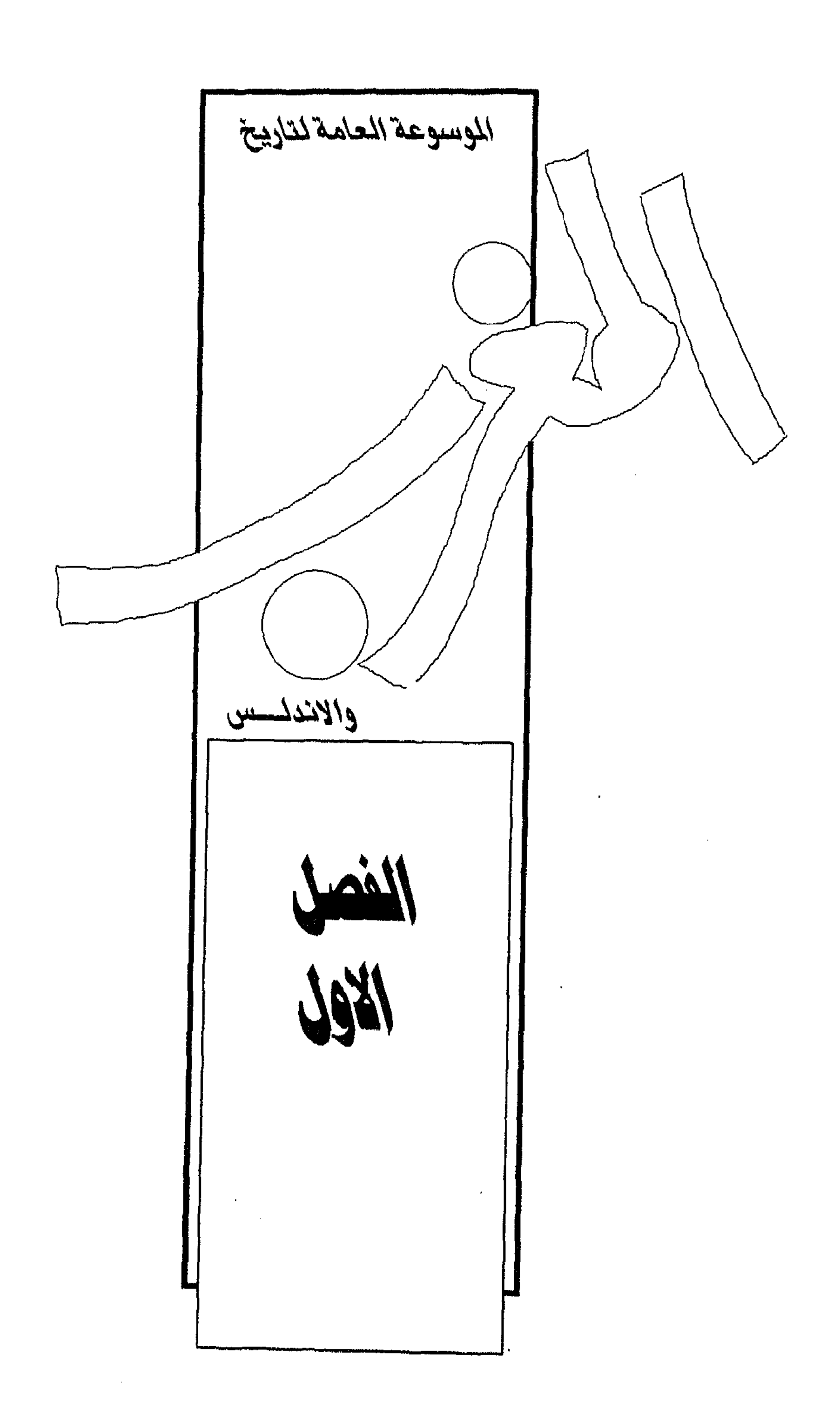
عليه وسجنته ثم نفته، لذلك فإنه يرفض بشدة تهمة التمرد والعصيان ويقسم الايمان بأن حركته كانت موجهة ضد فروع حزب الاستقلال ومحاولتها الاستئثار بالحكم، وهي التي ورطته في هذه المصيبة، وتدليلاً على حسن نواياه انسحب من ميدلت إلى مسقط رأسه في قرية كراندو.

وهكذا دخلت قوات الجيش المغربي بلدة ميدلت صباح ٢٢ فبراير ـ شباط ١٩٥٧ وسافر الملك بالنيابة ـ سمو الأمير الحسن ـ إلى الاقليم ليشرف بنفسه على التحقيقات، ولكن هذه الحادثة التي كانت امتحاناً عسيراً للتاج والجيش المغربي ـ أسفرت عن نصر مبين وطد أركان الحكم والنظام الملكي في البلاد وفي الوقت نفسه جعلت الملك وولي عهده يفكران جدياً بوضع حد لوجود الجيش الفرنسي في أماكن متعددة في المغرب، كما تقرر أن يفتح باب المفاوضات في أقرب وقت لجلاء جيش الأعداء. . المتذرعين بوجودهم بسبب ثورة الجزائر ـ وإلى أن يحين موعد الجلاء يجب تجميع القوات الفرنسية ووضعها في أماكن محددة تسهل مراقبتها على الجيش المغربي.

وسجل جلالة الملك انتصاراً جديداً باسترداد مدينة طنجة الدولية التي انضمت إلى شقيقاتها المقاطعات المغربية في نفس العام ١٩٥٧.

الباب الثامن





الفصل الاول

قضية طنجة

كان ثمة مدينتان في العالم فرض عليهما أن تكونا دوليَّتين الأولى «شنغهاي» في الصين والثانية طنجة في المغرب، وكلاهما كانتا ضحيتين للتغلغل الأوروبي في قضايا الشرق الأقصى والشمال الأفريقي.

ولما استردت الصين الشعبية مدينتها شنغهاي رغم أنف أوروبا بقيت طنجة في المغرب مسرحاً دولياً للألاعيب الأوروبية في ميادين التجسس والتجارة وتضارب المصالح.

ومدينة طنجة الرائعة مغربية عريقة في مغربيتها مثل فاس ومكناس ومراكش وسجلماسة وهي عدا ذلك من أقدم المدن المغربية التي بناها الكنعانيون.

ولنبدأ من الأول، بعد زوال السيادة الفينيقية والقرطاجية من بعدها، سما بها الرومان عام ٣٨ ق. م. إلى مصاف المدن الامبراطورية، وصار لسكانها الحق في أن يتمتعوا بحقوق المواطن الروماني.

ثم جعلها الامبراطور كلوديوس في عام ٤٢ ب. م. عاصمة

للمستعمرات الرومانية التي أطلق عليها اسم موريتانيا وكانت تدعى «تنجانيقا» أو «تنجس».

ومع ذلك فقد ظلت مدينة مغربية، تشارك المغرب المسلم بعد الفتح حياته عبر عصور الاستقلال والازدهار إلى أن بدأت الامبراطورية المغربية تنهار على أثر التدخل الأوروبي في شؤونها الداخلية، فاحتلها الاسبان عام ١٤٧١ ميلادية، ثم أصبحت في عام ١٥٨٠ مدينة مغتصبة يحتلها البرتغاليون.

الجوهرة التي تهاداها الملوك

ولما عقد قران شارل الثاني ملك انكلترا على الأميرة البرتغالية كاترين البراغانزيه، قدمت طنجة كجزء من بائنة العروس، وبذلك أصبح للانكليز موطىء قدم في المغرب. وهذه أمور لا يمكن أن يقدم عليها سوى المستعمرين الأوروبيين، الذين فقدوا كل شعور بالشرف وبالكرامة الانسانية، والا فكيف وبأي حق تُقَدَّم مدينة عربية اسلامية بائنة لأميرة مسيحية لتكون مركزاً ومحطة للمستعمرين الانكليز. . في ذلك العصر الاستعماري كانت مبادىء الكرامة الانسانيَّة والشرف والشعور مفقودة تماماً، لأن الاستعمار المتكالب على السلب والنهب لم تكن المبادىء القويمة داخلةً في مخططاته.

ومنذ أن وقعت طنجة بين أنياب المستعمرين البرتغاليين ثم الانكليز بعدهم افتتحت أبواب التجارة في أفريقيا على مصراعيها، وكانت طنجة الباب الكبير لدخول المصالح التجارية للمغرب وشمال أفريقيا.

دول الغرب ومنطق القرصنة

وسرعان ما جعلت المدينة المغتصبة حصناً لمكافحة الغارات

والحركات التحريرية التي كان يقوم بها سكان المغرب من العرب والمسلمين البربر ذلك أنه في هذا العصر نشطت الغارات الانتقامية ضد الأساطيل الاستعمارية التجارية وغير التجارية وكان المستعمرون يسمون الغارات الاسلامية قرصنة، أما احتلال طنجة وغيرها من مدن الشمال الأفريقي فقد كان المستعمرون، يعتبرونها أعمالاً مشروعة. إنه المنطق الاستعماري الأعوج الذي يحلّ للمستعمرين الاعتداء على الشعوب وبلادهم ومدنهم وقهرها فإذا ما هب المعتدى عليهم للدفاع عن أنفسهم وتراثهم التاريخي الممثل ببلادهم ومدنهم المحتلة اعتبر المستعمرون تلك الأعمال الوطنية «قرصنة». وكان شارل ملك الانكليز وهو أحد دعاة الاستعمار في عصره يعتبر طنجة ألمع جوهرة في تاجه.. هذا قبل أن تصبح الهند ألمع جوهرة في التاج البزيطاني كُلِّه.

كان شارل وجيمس واليزابيت الأولى وأمثالهم من ملوك الانكليز يعيشون على أعمال القرصنة، ويشجعون القراصنة الإنكليز الذين كانوا يغيرون على المستعمرات الاسبانية والجزر التي يسكنها الاسبان، والكثيرون منهم من الجنس العربي البربري الاسلامي المُتَنَصِّر، في الأميركتين والمحيط الأطلسي. وقد اشتهر من قراصنة الانكليز عدد كبير من أمثال مورغان وكيد وغيرهما وقد أسبغ على بعضهم ألقاب رسمية مثل مورغان الذي أصبح السرمورغان حاكما لجزيرة جامايكا وقصص القرصنة الانكليزية مشهورة في التاريخ والقصص والأفلام في عصرنا الحالي.

وكان العديد من الدول الأوروبية التي نعرفها اليوم باسم دول السوق الأوروبية المشتركة ـ ما عدا اللوكسمبرج والنرويج والدنمارك، تشجع أعمال القرصنة في الأميركتين والمحيط الأطلسي والمحيط الهادي وآسيا والبحر الأبيض المتوسط. وكانت مستعمرات ما وراء البحار التي يغير عليها

القراصنة أولاً ثم تحتلها الأساطيل الأوروبية فيما بعد، مصدر ثروة البلاد الأوروبية المشار إليها، وكانت أعمال القراصنة في معتقد تلك الدول تعتبر مجداً وفخراً. والذهب والفضة المنهوبان ينظر إليهما بتواضع على أنها غنائم من اسبانيا أو من السكان المنهوبين، لذلك كان عصر الاستعمار الذي بوشر به في القرن الخامس عشر عصر القرصنة الأوروبية، والحروب التي اندلعت على أثر ذلك العصر كالحرب التي احتلت فيها أقطار شمال أفريقيا، والحرب العالمية الأولى والحرب العالمين الثانية، فإنما كانت تتمة لغارات وحروب القراصنة الأوروبيين، ومنها حرب التحرير التي شنتها المستعمرات الأمريكية ضد الانكليز كما كانت للاستيلاء على مستعمرات جديدة في الشرق الأوسط «عام ١٩١٤» وللحفاظ على التراث الاستعماري الذي بدأ في مطلع القرن الخامس عشر.

حروب الشركاء في القرصنة

وكما كانت الحرب العالمية الثانية «١٩٣٩» الحلقة التالية للحرب العالمية الأولى، فالنازيون كانوا يتطلعون من خلال منظار الماضي - إلى مستعمراتهم في القارة الأفريقية وهي المستعمرات التي استولت عليها بعض الدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى.

فقد بدأت الغارات الاستعمارية وهي غارات قرصنة في زمن استباحت فيه الدول الأوروبية لنفسها احتلال العديد من بلدان القارات الأفريقية والأمريكية والآسيوية، فأقامت كل دولة أوروبية استعمارية امبراطورية لنفسها على حساب الأنظمة والشعوب الخاسرة، ثم تلت ذلك حروب الشركاء والحلفاء ضد بعضهم بعضاً على المستعمرات المنهوبة، مثل اللصوص الذين يبدأون أعمالهم اللصوصية وهم شركاء متحابون، ثم يختلفون فيما بعد إما عند تقسيم المسروقات، أو بعد التقسيم طمعاً

بالاستيلاء على الغنيمة كلها.

الشاعر الانكليزي كيبلنغ واللصوص

وقد فسر ذلك الشاعر الانكليزي كيبلنغ الذي كان يلقب بشاعر البلاط في الثلث الأول من القرن العشرين في قصة «الكنز» التي صورت أحداثها شريطاً سينمائياً.

وقد بدأت القصة بثلاثة من اللصوص الباحثين عن كنوز الهند، فلما عثروا على الكنز بعد الكثير من المشقات، اقتسموه فأخذ كل لص حصته من الذهب والحجارة النادرة.

وفي أثناء رحلة الاياب تآمر لصان على زميلهما الثالث فقتلاه واقتسما نصيبه من الغنيمة، ثم طمع أحد اللصين بغنيمة زميله وقتله واستولى على حصته وهكذا ظفر بالغنيمة كلها.. وهذا هو تاريخ الاستعمار كما رمز إليه كيبلنغ في قصة الكنز..

فقد احتل البرتغاليون «طنجة» ثم قدموها بائنة لأميرتهم كاترين التي بنى بها شارل الثاني. كل ذلك على حساب دولة المغرب، وقد شهد السلطان المغربي وشعبه عملية تقديم مدينة طنجة كبائنة للعروس. والانكليز وكذلك البرتغاليون ظنوا أن المسألة انتهت عند حدود العرس لذلك خيل إليهم الوهم بأن أحداً في المغرب لن يعترض على البائنة بعد أن أصبحت في حوزة «جون بول» الصورة الكاريكاتورية الممثلة خير تمثيل للمستعمر البريطاني في ملابسه الرسمية.

رأي خاص للشعب المغربي في قضبة طنجة

أما الشعب المغربي فقد كان له رأي آخر في عملية طنجة المشينة،

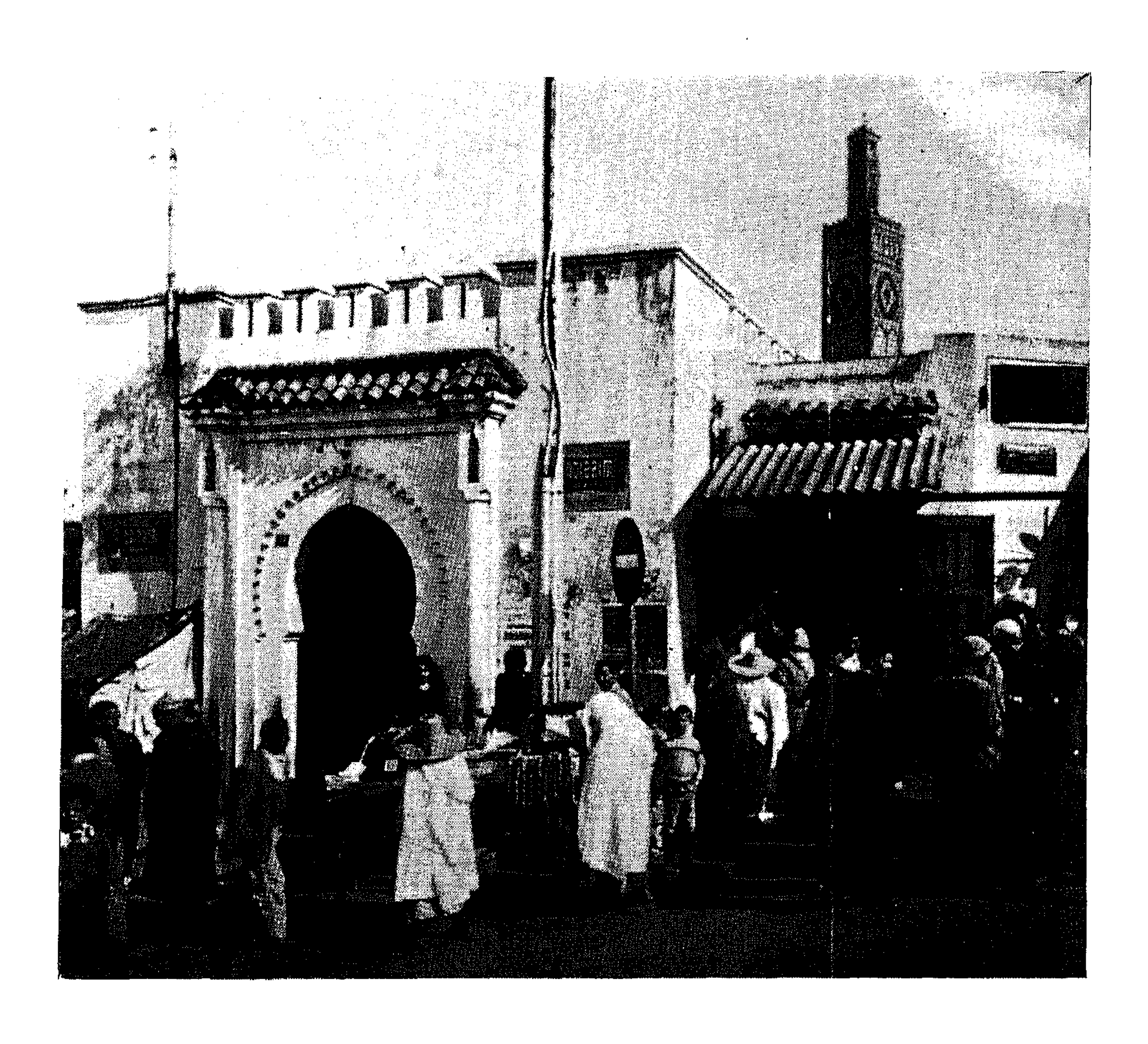
أعلنه في غاراته على الأساطيل الأوروبية سواء كانت تجارية أو عسكرية فإن السلطان اسماعيل أحد أجداد الأسرة العلوية المالكة حاليا، كان له رأي آخر في طنجة، فراح يهاجمها بصورة متواصلة لاعادتها إلى حظيرة الوطن المغربي وفي عام ١٦٨٤، اضطرت بريطانيا إلى التخلي عن طنجة، وبذلك تمكن نائب السلطان اسماعيل المذكور آنفاً من استردادها واعادتها إلى الامبراطورية الشريفية «العلوية».

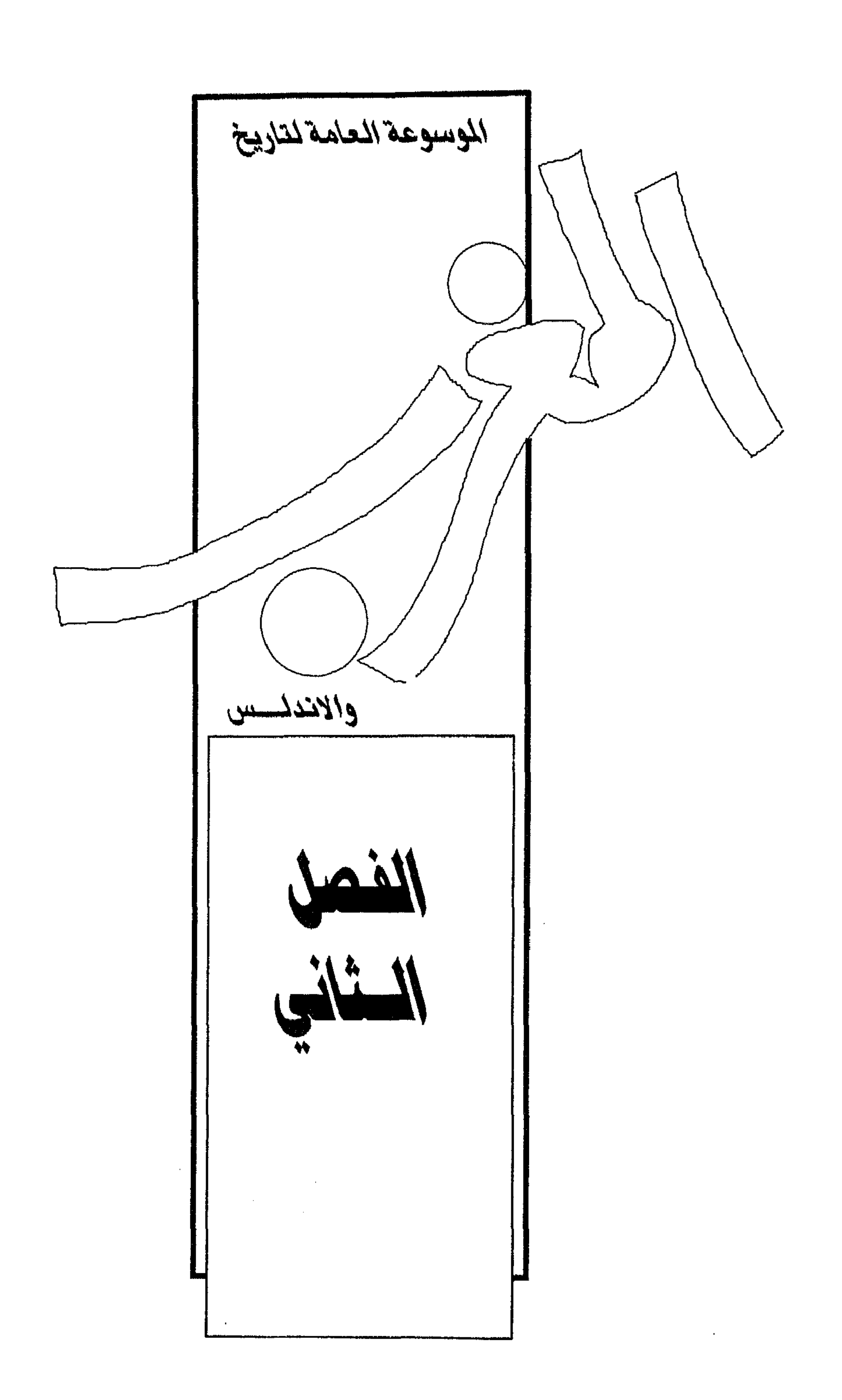
وقد شهدت طنجة في تلك العصور الوجوه الأوروبية الكالحة من بحارة وتجار اسبان وانكليز وهولنديين ومرابين يهود، وعدد كبير من أصحاب الحرف والصناعات، ومع الزمن أصبحت طنجة الملتقى الأول لجميع أنواع التبادل التجاري بين المغرب والعالم الخارجي. كما أصبحت أكبر بؤرة للجواسيس الأوروبيين وعملائهم.

وفي أواخر القرن الثامن عشر أصبحت طنجة العاصمة الدبلوماسية للمغرب، حيث كان يقيم ممثلو الدول الأجنبية في الامبراطورية الشريفية، وذلك لأن العاصمة فاس لم تكن على أي حال ترحب بإقامة الأجانب فيها. وكان ممثل خاص لوزارة الخارجية المغربية يقيم في طنجة لتأمين الاتصالات الدبلوماسية مع العاصمة فاس.

وقد شهدت سوق طنجة الدولية كل أنواع التجارة القادمة عبر البحار إلى المغرب، وكل المؤامرات السياسية والدولية، وكثيراً ما كانت تلك المؤامرات تلعب دوراً رئيسياً في مصير البلاد. لذلك أصبحت ملجأً للقراصنة والمهربين الوافدين إليها من جميع أنحاء العالم ومقراً للجواسيس والعملاء والخونة أيضاً، وكان المغاربة ينظرون إلى طنجة نظرة يشوبها

الخوف والقلق وعدم الاطمئنان، ومن المعروف أن طنجة انجبت شخصية عظيمة فذة في تاريخ الرحلات هي الرحالة الكبير ابن بطوطة رحالة القرن الرابع عشر الميلادي.




الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الـثاني

امتيازات الأجانب في طنجة

كان المقيمون الأجانب في طنجة يتمتعون بامتيازات أساسها الحقوق الخارجية المفروضة على المغرب باسم الامتيازات الأجنبية منذ عام ١٣٥٨، إذ منح أحد سلاطين أسرة بني مرين الحاكمة في المغرب آنذاك هذه الامتيازات لمواطني مدينة بيزا الايطالية، الذين كانوا يقومون بنشاط تجاري بارز في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وفي خلال القرن التاسع عشر حصلت أكثر الدول الأوروبية الممثلة في طنجة على مثل هذه الامتيازات ويمكن القول أن السلطة التنفيذية لقناصل الدول الأجنبية يرجع تاريخ قيامها في طنجة إلى سنة ١٨٤٠، وفي سنة ١٨٦٤ بنت الدول الأجنبية منارة دولية في رأس «سبارطيل» خارج مدينة طنجة لتهتدي بها السفن وفي السنة التالية عهد بادارة المنارة إلى هيئة قنصلية.

وأنشأت بريطانيا فيها مصلحة بريدية عام ١٨٥٧، ثم تلتها فرنسا سنة ١٨٦٠، وبعدها بسنة فعلت مثل ذلك اسبانيا، وكان للالمان أيضاً مصلحة بريدية خاصة بهم.

وكان أول اعتراف رسمي بوضع طنجة الخاص كمدينة دولية جاء في معاهدة وقعت بين اسبانيا وفرنسا سنة ١٩٠٢ ، إذ أعلنت الدولتان الموقعتان عليها أنهما مستعدتان لقبول «حياد المدينة نهائياً» وفي ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١١ بعث السير ادوارد غراي وزير خارجية بريطانيا بمذكرة إلى فرنسا أوضح فيها هذا الأمر تمهيداً لتوقيع اتفاقات ترمي إلى وضع المدينة وضواحيها تحت إشراف دولي، فلما أعلنت فرنسا حمايتها على المغرب سنة ١٩١٢ ، عينت الدول المختلفة لجنة لتجديد الوضع الشرعي لمدينة طنجة باعتبارها مدينة دولية، وقد تمت الموافقة على ذلك عام ١٩١٤ . ولكن الحرب العالمية الأولى حالت دون وضعه قيد التنفيذ. وبعد الحرب قاومت فرنسا واسبانيا فكرة تدويل طنجة فادعت اسبانيا أن طنجة يجب أن تكون تابعة لها، وجربت فرنسا أن تضم طنجة لمنطقة حمايتها.

وأخيراً تقدم اللورد كرزون وزير خارجية بريطانيا باقتراح، لعقد مؤتمر في لندن سنة ١٩٢٣ لوضع نظام دولي خاص لمدينة طنجة المغربية، وقد وقّع ذلك الاتفاق في ١٨ كانون الأول سنة ١٩٢٣ ، وفي ١٤ أيار سنة ١٩٢٤ أصبح نظام طنجة قانونياً.

وهكذا ظلت الدول الأوروبية تتناحر على الاستيلاء على المدينة المسكينة، وتساوم عليها بشكل سافر مغتنمة ضعف المغرب وعجزه عن السيطرة على المدينة فبقيت مركزاً للمراقبة والتجسس حتى على المغرب نفسه.

الوضع الدولي لطنجة

واتخذ الوضع الدولي الجديد لطنجة شكله الرسمي في حزيران عام ١٩٢٥ ، فأصبحت المدينة منطقة محايدة، لا يجوز أن يقام فيها منشآت

عسكرية أو تحل فيها الجيوش الأجنبية ولا المغربية أيضاً. أما فيما يتعلق بشؤون المدينة الداخلية فإن المنطقة كانت تحكم نفسها حكماً ذاتياً مستقلاً.

وكانت الشؤون الخارجية في المدينة بيد المقيم العام الفرنسي في الرباط وقد ظل نظام طنجة معمولاً به حتى عام ١٩٣٩، ففي ١٤ حزيران سنة ١٩٤٠ وبينما كانت بريطانيا وفرنسا مشغولتين بأمور أخرى احتلت قوات الجنرال فرانكو طنجة وعينت حاكماً عسكرياً اسبانيا عليها فأسرع إلى طرد جميع موظفي الادارة الأجانب من مكاتبهم، وألغى لجنة الميناء واستولى على أموال المدينة، واستعاض عن النظام الدولي بنظام وطني ديكتاتوري وأصبحت طنجة تحت رعاية اسبانيا مقراً للعملاء النازيين يعاونهم في ذلك جماعة فيشي الموالين لالمانيا النازية.

وعندما استسلمت المانيا في ٨ أيار سنة ١٩٤٥، علمت اسبانيا أن أيام سلطانها على طنجة أصبحت معدودة، ففي صيف تلك السنة انعقد مؤتمر باريس فانضمت الولايات المتحدة إلى بريطانيا وفرنسا في المفاوضات التي تم فيها الاتفاق على أن يعاد إلى طنجة نظامها الدولي السابق على أن تشترك الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في إدارة المدينة. واشتركت الولايات المتحدة فعلاً ولكن الاتحاد السوفياتي لم يرسل ممثلاً له إلى طنجة ولم يطالب بحصته في أي دور في الهيئات التي كانت تحكم المدينة، ولما انسحبت جيوش اسبانيا في ١١ تشرين الأول سنة ١٩٤٥، عاد مندوب السلطان إلى طنجة كما عادت السلطات الدولية لتحتل مراكزها في المدينة العجيبة. وفي الاحصاء الذي أجري عام ١٩٦٠ تبين أن سكان هذه المدينة هم في غالبيتهم العظمى من المسلمين فقد بلغ عددهم ١٠٠ ألف نسمة، وبلغ عدد اليهود الذين يعملون في الربا وتجارة النقود والذهب وأمثال ذلك ١٥ ألف يهودي وكانوا يعترفون بالرعوية لسلطان المغرب.

وكان الارستقراطيون من اليهود في المغرب يسكنون في طنجة، حيث كانوا يكنزون الذهب والفضة والأموال المختلفة بعيداً عن أية مراقبة، وتمكنوا من ادارة مدارسهم الخاصة وانشاء بعض المرافق والخدمات الصحية الخاصة بهم.

وكان في المدينة حوالي ٣٠ ألف أجنبي ثلثاهم من الاسبان وكانت اللغة الأجنبية الرئيسية في طنجة هي اللغة الاسبانية، والجريدة الوحيدة هي «اسبانيا» والنقد الأجنبي اسباني أما الحياة الاجتماعية فكان طابعها أميركي - بريطاني - فرنسي.

الوضع الاداري والاقتصادي في طنجة

وكان يقوم على رأس الادارة في طنجة موظف هولندي واحياناً بلجيكي أو اسوجي أو برتغالي ينتخب بالمناوبة، ويساعده في مهمته مديرون ورئيس شرطة، أما المدينة فيديرها مجلس تشريعي وموظف يحمل صفة الموظف التنفيذي، وكان اعضاء هذا المجلس يعينون من قبل قناصلهم وكلهم من الأجانب فهم ٤ اسبان و٤ فرنسيون و٣ بريطانيون و٣ اميركيون، وثلاثة من الروس «لم يشتركوا» و٣ من الايطاليين وهولندي واحد وبلجيكي واحد وبرتغالي واحد بالاضافة إلى ثلاثة أعضاء من اليهود يختارون من جدول تقدمه الجالية اليهودية، وستة أعضاء مسلمون، كان يعينهم مندوب السلطان. وكانت رئاسة اللجنة التنفيذية تمارس بالمداورة سنوياً حسب ترتيب حروف الهجاء، وكان لكل قنصل مركز مرموق في المدينة. وبالرغم من هذا كله فإن جميع تلك المظاهر الأجنبية التي كانت تسيطر على طنجة كانت مظاهر شكلية فقط، لأن قلب المدينة كان مغربياً خالصاً مثل قلب فاس والرباط. ولما زارها جلالة الملك محمد الخامس عام ١٩٤٧ استقبلته

بترحيب حار قلما استقبلت به سواه، ولما عادت هذه المدينة إلى الوطن المغربي تنفس سكانها الصعداء، وفي الحال توارت جميع المظاهر الشكلية التي أحاط الأجانب أنفسهم بها إلى غير رجعة.. واختفت كل الرطانات الأجنبية، وسرعان ما هاجرت طيور البوم والغربان من المدينة التي جعلها الأوروبيون مركزاً للفساد الأوروبي والقمار والتهريب وكل المخالفات التي تحرمها الشرائع السماوية والقوانين الاخلاقية الشريفة.. ففي طنجة كشف الأوروبيون عن نفوسهم المنحلة اخلاقيا والغارقة في حمأة الرذيلة والفساد وراحوا أثناء وجودهم في طنجة يمارسون كل أنواع الموبقات، ويجنون الأموال الحرام ومن كل المصادر المحرمة... فالمدنيَّة الأوروبية بكل مفاسدها كانت تظهر على حقيقتها في طنجة... وبدون قناع أو تمويه.

سحب القروض الفرنسيّة

وفي ذلك العام أيضاً ١٩٥٧ قررت فرنسا سحب قروضها وتخفيض الاستثمارات الفرنسية الخاصة في المغرب.. ولكن المغرب استدرك ذلك العذر الفرنسي بعقد قروض غيرها مع الولايات المتحدة، وقد جاء القرض الأميركي على شكل منح بالنقد والسلع لدعم التنمية الزراعية.

وقد بدأ العون الأميركي بقرض قدره عشرون مليون دولار عام ١٩٥٧ فصار في عام ١٩٦٢ خمسين مليون دولار سنويا.

«ولم يدرك الناس عامة كم كان بناء البلاد الاقتصادي مصطنعاً بالشكل الذي أقامه الفرنسيون، الا عند قيام الاستقلال، فقد بقي المغرب في أقصى درجات الفقر على الرغم من امكانياته الغنية بالمصادر المعدنية والزراعية».

«وحتى في سنة ١٩٥٨ كان حوالي ٨٠ في المئة من السكان المغاربة لا يزالون يحصلون على ٧٠ دولاراً فقط من الدخل القومي في كل عام وكانت

مدخرات الشعب كلها قرابة ٦٠ مليون دولار بمعدل ست دولارات للفرد».

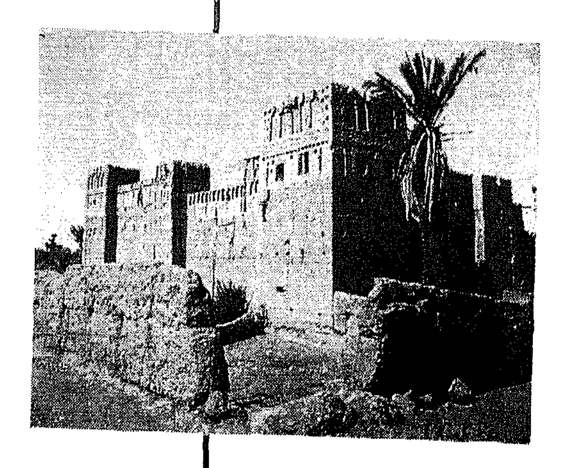
«وكان على قمة الهرم الاقتصادي طول أعوام الحماية الفرنسية نخبة فرنسية صغيرة فاق غناها غنى الفئة المماثلة لها في فرنسا، بينما كانت الأغلبية من سكان البلاد تعاني من سوء التغذية، وكانت أقوى فروع الاقتصاد المغربي ـ التي تقوم على الأساليب التجارية الفنية في أيدي الخبراء الفرنسيين المدعومة برأس المال الفرنسي».

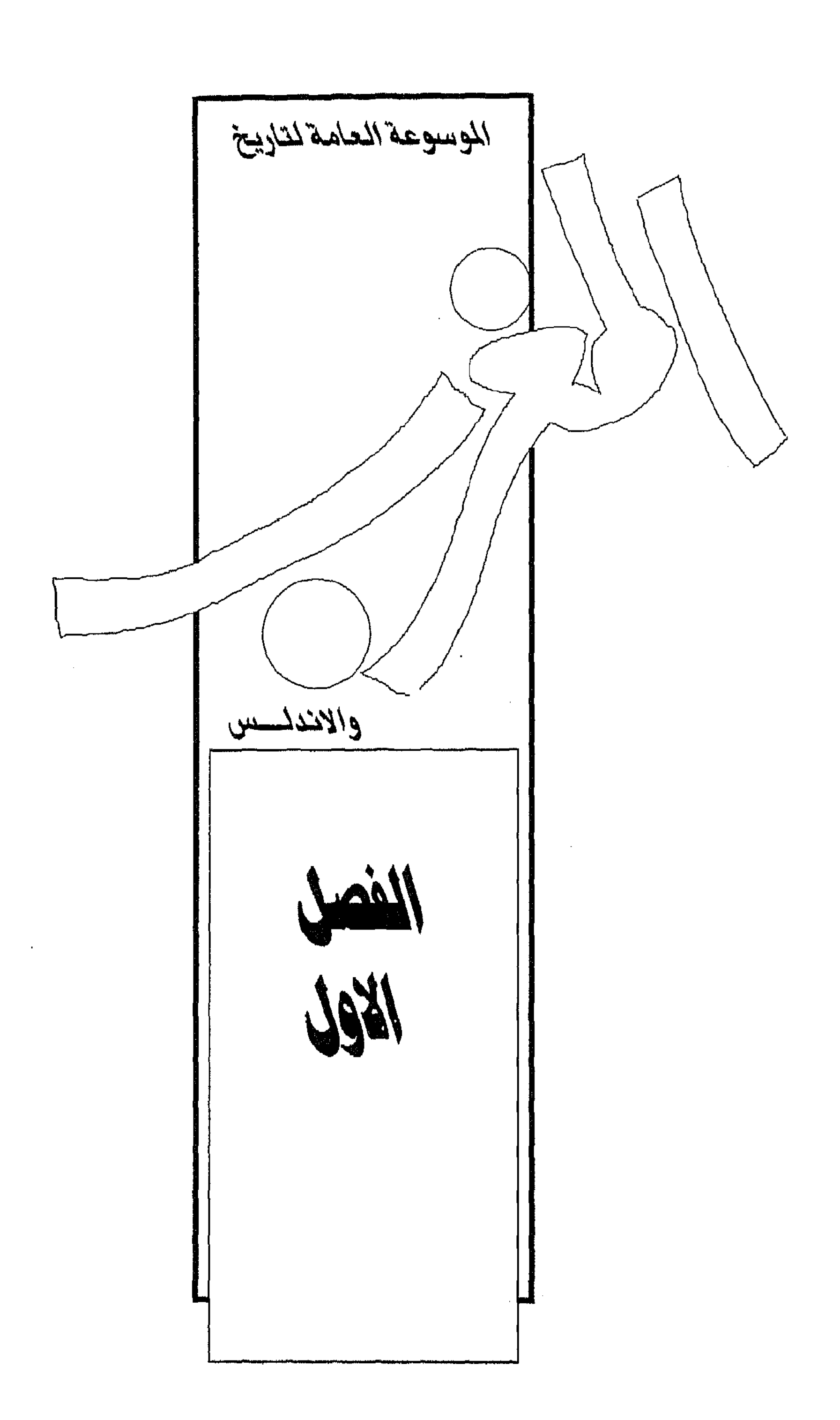
وكلمة «الأساليب التجارية الفنية» تعني هنا كل أنواع الاحتيال واغتصاب أموال السذج والاحتكارات و.. إلخ.



ولي العهد مولاي الحسن لدى وصوله الى طنجة

البـاب التـاسع




الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلــس
الفصل
الاول

تجميع الجيش الفرنسي تمهيدا للجلاء

أن المقال الذي نشره السيد مهدي بن بركة، وتنبأ فيه «أن حكم المستقبل سوف يقوم على أسس اشتراكية ديمقراطية» وضع السلطات العليا أمام علامة استفهام كبيرة «؟».

وكان الملك محمد الخامس قد أقر اقتراح جلاء القوات الفرنسية عن البلاد، ولما حان موعد المباحثات المغربية الفرنسية، لاستئناف تبادل السفراء من جديد ادخل الملك شرطا لا بد من مناقشته في هذه المفاوضات يقضي بتجميع الجيش الفرنسي في قواعد معينة في المدن الكبرى والحد من تحركاته.

ومع ذلك فإن أزمة الأحزاب ظلت تشتد وتتفاقم فقد نادى الملك بضرورة إقامة مؤسسات سياسية ودستورية تتيح للشعب أن يشارك مباشرة في تسيير الشؤون العامة ليكون للاستقلال نظام حزبي سياسي ثابت في نطاق الديمقراطية، فوعد باصدار ظهير تحدد بموجبه سلطة رئيس الحكومة وسلطة كل وزير واختصاصات مجلس الوزراء على أن يكون جميع الوزراء

مسؤولين أمام الملك.

ثم عرض للسلطة التشريعية وكانت ما تزال بيد الملك وحده منذ الاستقلال، فأكد بأنه سيشرك فيها المؤسسات الدستورية ووعد باصدار تشريعات تكفل الحريات الأساسية للمواطنين.

ثم أعلن جلالته أنه سعيا وراء تحقيق الأنظمة الجديدة سيجري انتخابات للمجالس البلدية والقروية تمهيداً لانشاء مجلس وطني تقريري يحل محل المجلس الوطني الاستشاري، ومن اختصاصاته مناقشة ميزانية الدولة والاقتراع عليها، كما أنه سيكون مجلساً يضم بعض الأعضاء من المجالس البلدية والقروية المنتخبة والبعض الآخر ينتخبهم الشعب.

الملك يكلف أحمد بلفريج تشكيل الحكومة الثالثة

وفي ضوء هذه الاصلاحات الدستورية والديمقراطية عهد الملك إلى السيد أحمد بلفريج الأمين العام لحزب الاستقلال بتشكيل الحكومة الثالثة، فشكلها في ١٢ أيار/ مايو سنة ١٩٥٨. من رجال حزب الاستقلال البارزين وفاء لهم وتضامناً معهم فجلالته لم ينس السنين الماضية، التي كان فيها المقيم العام يهدده قائلاً: «أما أن تندد بحزب الاستقلال أو الخلع. .» وقد جرت هذه المحاولات مرارا وكان أعنفها تهديدات الجنرال جوان والجنرال غيوم. ولكن الملك كان يرفض في كل مرة. . حتى خلع عن عرشه ونفي إلى مدغشقر.

كما لم ينس الملك أن معظم أعضاء حزب الاستقلال قبض عليهم وزجوا في السجون والمعتقلات الفرنسية، وبعضهم اضطر إلى مغادرة البلاد في عملية نفي اضطرارية وكان السيد أحمد بلفريج قد هرب في حوادث اغسطس المشؤومة إلى الولايات المتحدة.

على أي حال فإن حكومة بلفريج لم تتمكن من انجاز برنامجها الاقتصادي ولكنها انجزت قانون الاستثمارات في سبعة أشهر، وقانون الجنسية كما وفّقت في تبديل نظام التعليم تبديلاً ثورياً.

ولكن حكومة بلفريج واجهت اضرابات عمالية في شهر يوليو أي بعد حوالي أقل من شهرين على تأليفها تدخلت فيها قوات الشرطة المغربية في الرباط والدار البيضاء، فعز على العمال الذين اضربوا أن يقمعوا بأوامر من حزب الاستقلال الذي يناصروه ويؤيدوه فتخلوا عن الحزب وقاطعوا صحافته.

حزب الاستقلال ينقسم مجدداً

في هذا الوقت نشر «ابن بركة» في جريدة الحزب لعبدالله ابراهيم الناطق بلسان الحركة العمالية شهّر فيه «بالارستقراطية الفكرية» التي يعيش افرادها مع أنفسهم منفصلين انفصالاً كلياً عن الشعب وبعيدين عن تفهمه».

وأدرك بلفريج أنه هو المقصود من ذلك الهجوم، فأوعز إلى اثنين من قادة الحزب باحتلال مكاتب جريدة الحزب، لاقصاء مهدي بن بركة عن توجيهها.

ثم تفاقم الوضع عندما احتجز البوليس عبدالله ابراهيم الناطق بلسان الحركة العمالية بأمر من الحكومة، بينما توقفت جريدة حزب الاستقلال عن الصدور بعد أن أقصي مهدي بن بركة عن تحريرها. ووجدها «بن بركة» فرصة مناسبة ليقوم بجولة زار خلالها يوغسلافيا والصين الشعبية.

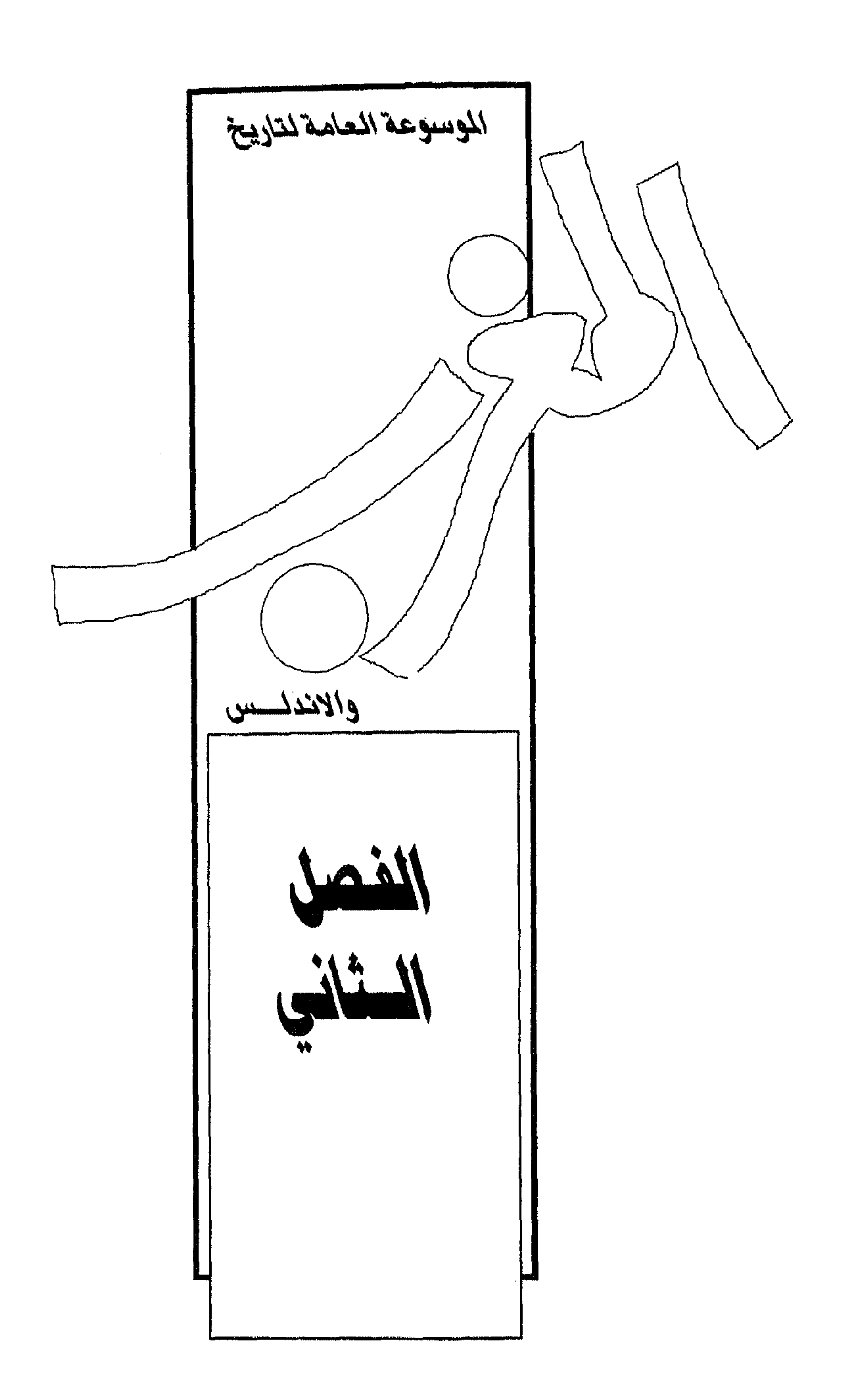
وفي أثناء ذلك وقع صدام مؤسف في البادية داخل جيش التحرير بين جماعة موالية لعلال الفاسي وأخرى موالية لمبعوث المقاومة صديق ـ عبدالله

ابراهيم .

وهكذا وقع الانقسام الخطير في حزب الاستقلال . وقد حاول عبد الرحيم أبو عبيد بعد عودته من رحلة طويلة إلى الخارج أن يتدارك الصدع والانشقاق ، فزار الملكي مع زعماء الجناح المنشق ، وعمل على اقناع بلفريج لادخال تعديل في وزارته المتضعضعة ولكن الوساطة أخفقت لأن القلوب كانت ملأى بالأحقاد والكراهية .

ثم وردت أنباء من البادية بأن ثورة مسلحة اندلعت في منطقة الريف وامتدت إلى جبال الأطلس الأوسط ، وأن بعض من اشتركوا في الثورة كانوا يطالبون باقصاء حزب الاستقلال عن الحكم ، ثم استقال عبد الرحيم بو عبيد من حكومة بلفريج في نوفمبر ١٩٥٨ وبعد عشرة أيام نشر الاستقالة في الصحف ، فتصدى للرد عليه رئيس الحكومة بلفريج . . واتسع الخرق وزادت الهوة اتساعاً بين جناحي حزب الاستقلال .

وعندئذٍ ، تدخل الملك لاصلاح ما أفسده تطاحن جناحي حزب الاستقلال فكلف علال الفاسي زعيم الحزب والبعيد عن الشبهات والمنازعات والميل نحو أيٍّ من الجناحين المتصارعين ليتدخل بنفوذه لاصلاح ذات البين ، ولكن علال الفاسي لم يوفق في مسعاه لأن بلفريج رفض اقتراحه الرامي إلى تعيين عبدالله ابراهيم وزيراً للداخلية . . وهو الذي اعتقل بأوامر من حكومة بلفريج ، وابن بركة وزيراً للتعليم والمحمدي وزيراً للعدل ولأن عبد الرحيم بو عبيد ظل مصراً على أن يكون المحمدي وزيراً للداخلية لخبرته بشؤون القبائل واتقانه اللغة البربرية .



الفصل الثاني

الحكومة المغربية الرابعة

عندئذٍ، قرر جلالة الملك أن يتقدم لانقاذ المغرب من «دوامات» العنف والمتاعب المستقبلية فاستقال بلفريج في كانون الأول سنة ١٩٥٨. وفي ٢٤ من الشهر نفسه شكلت الحكومة الرابعة برئاسة عبدالله ابراهيم، ولكن جلالته احتفظ برئاسة الجيش والشرطة خارج دائرة النزاع السياسي، فبقي ولي العهد الأمير الحسن رئيساً للأركان في الجيش والسيد محمد الغزاوي رئيساً للشرطة، وقد احتفظ رئيس الحكومة لنفسه بوزارة الخارجية وأسند منصب نيابة الرئاسة إلى عبد الرحيم بو عبيد ووزارة الاقتصاد، ووزارة الداخلية إلى ادريس المحمدي، ووزارة الزراعة إلى التهامي عمار، ووزارة الشبيبة والرياضة إلى عبد الكريم بن جلون وكلهم من حزب الاستقلال أما وزارة الدفاع فقد اسندت إلى محمد عواد الذي كان سابقاً يشرف على تعليم ولي العهد الأمير الحسن، واسندت الوزارات الباقية إلى مستقلين وفي عدادهم ضابط عسكري اسندت إليه وزارة البرق والبريد وكان السيد مهدي بن بركة ما يزال خارج البلاد وكان يمهد في السر لانشاء حزبه الجديد الذي ما لبث أن أذاع نبأه في ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٥٩ وقد اطلق

عليه اسم «الاتحاد الوطني لحزب الاستقلال».

وقد راعى الملك في اختياره لأركان الحكومة الجديدة أن يكون افرادها من ذوي المؤهلات العلمية والمواهب.

أما المنهاج الذي رسمه جلالته لها فإنه يتلخص بالاصلاحات التالية:

- متابعة البرامج السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي وضعها الملك لتعزيز استقلال البلاد، واستكمال سيادتها وضمان رفاهية الشعب وتقدمه.
- تشغيل اليد العاملة.
- الوفاء بالعهد الذي قطعه الملك بالاعداء لاجراء الانتخابات البلدية والقروية قبل نهاية عام ١٩٥٩ لمعرفة اتجاهات الرأي العام وتياراته. لذلك كانت مهمات الحكومة الجديدة الاعداد لأول انتخابات محلية في البلاد، ثم تشكل بعدها حكومة جديدة.

وقد جرت الانتخابات فعلاً في أيار ـ مايو ـ عام ١٩٥٩.

فرنسا تثير الاضطرابات في الريف

ولكن قبل أن تجري تلك الانتخابات واجه المغرب اضطرابات مسلحة ظهرت في منطقة الريف الحصينة، وامتدت إلى اقليم تازة حتى بلغت شمالي مدينة فاس، وإلى مكان قريب من نهر الملوية، مما هدد بقطع المواصلات بين شرقي البلاد وغربها.

وكما هي العادة وقعت الأعباء الجديدة على عاتق الملك وولي عهده فعاجلا الاضطرابات بحكمة بالغة جمعت بين السياسة المرنة واستخدام الجيش استخداما محدوداً.

وقد صرح رئيس الوزراء عبدالله ابراهيم بعد إعادة الأمن إلى نصابه بأن الفضل في ذلك يعود لجلالة الملك وولي عهده، فهما اللذان انقذا المغرب من تلك الاضطرابات التي كانت تحركها الأيادي الفرنسية من وراء الستار.

وفي أثناء ذلك نجحت الحكومة بفصل النقد المغربي عن الفرنك الفرنسي، وأنشىء بنك المغرب المركزي، الذي صار من أهم واجباته اصدار النقد المغربي الجديد، وأصبح الدرهم الوحدة النقدية المغربية الجديدة، وقيمته مئة فرنك أي نحو ٢٠ سنتا أميركيا، وبذلك كانت نهاية «البنك المخزني» الذي كان مؤسسة فرنسية.

فرنسا تضم أراضٍ مغربية للجزائر

وفيما كانت سفينة الاستقلال تمخر عباب أليم المضرب داخليا، بكل ما أوتي ربانها الأول من قوة وعزيمة وإذا بالجيش الفرنسي الموجود في الجزائر يمدد حدوده ويرسل وحداته إلى داخل الأراضي المغربية ليساوم المغرب على وقف معوناته للثورة الجزائرية، فبسط سيطرته على القرى: أيّش وفكيك وحاسي الزرزور، وحاسي البيضاء وقمقم آيت خباش. فلما لم يستجب المغرب ملكاً وحكومة وشعباً للمساومة الفرنسية قدم الجيش الفرنسي في الجزائر خط حدوده إلى الأمام داخل الأراضي المغربية فضم إلى الجزائر المقاطعات المغربية التالية: تندوف وجورارا وتوات وتيديكلت الواقعة في جنوبي شرقي المغرب، وأنه لمن المؤسف أن نرى أن الجزائر بعد أن نالت استقلالها لم ترد تلك المقاطعات إلى المغرب، كما تقضي بذلك الحقوق والواجبات الأخوية العربية، ولو من قبيل الوفاء لما قدمه المغرب من مساعدات إليها وهو الذي ساعدها على الاستمرار في المقاومة إلى أن نالت استقلالها. فعسى المانع خيراً وعسى أن يأتي اليوم الذي تزال فيه

الحدود والسدود بين أقطار المغرب العربي كافة في ظل وحدة شاملة.

كان الملك في ذلك الحين يستشفى في سويسرا من آلام أحس بها في أذنيه وحلقومه، فتوجه صاحب السمو الملكي الأمير الحسن لزيارته وبصحبته رئيس الحكومة وقد اسفرت تلك الزيارة عن تكليف جلالة الملك لولي عهده القيام بزيارة فرنسا والاجتماع بالرئيس ديغول الذي كان يومها رئيساً للجمهورية الفرنسية، كما كلف ولي العهد أيضاً أن يمهد لزيارة والده إلى فرنسا للاجتماع بالرئيس الفرنسي العتيد.

وبعد عودة الملك إلى وطنه كانت الحالة قد ازدادت سوءاً: فحرب الجزائر في تصاعد مستمر، وتحرشات الجيش الفرنسي بالمغرب لم تقف عند حد وفرنسا تختار صحراء المغرب الشرقية التي اغتصبتها لاجراء تجاربها النووية. ويبدو أن احتلال تلك المناطق من قبل الجيش الفرنسي في الجزائر كان لهذه الغاية بالذات ثم لمنع ادخال الأسلحة إلى المحاربين الجزائريين.

وهكذا.. راحت فرنسا وجيوشها تخلق الصعوبات وتبتدع التحرشات بالمغاربة لتعيق تقدم البلاد، ولتعمل في الوقت نفسه على اقتطاع مساحاتٍ جديدةٍ من أراضي المغرب لتكون منها فيما بعد ما عرف بجمهورية موريتانيا.

اشتداد الصراع بين جناحي حزب الاستقلال

وكان مما زاد الأمور تعقيداً هو اشتداد الصراع بين الجناحين المتنافسين في حزب الاستقلال وانغماس المنظمات الطلابية والعمالية والرياضية في ذلك الصراع المدمر.

وفوق هذا وذاك راحت صحف حزب الاستقلال تهاجم الحكومة

القائمة مع أن معظم الوزراء من حزب الاستقلال وقد وصلوا إلى الحكم بصفاتهم الشخصية. ثم تفاقمت الأحوال عندما عقد الطلاب المنتمون لحزب الاستقلال مؤتمرهم في «أغادير» المدينة الشاطئية ثغر اقليم السوس المزدهر. فهاجموا جيش المغرب ونعتوه بأنه «جيش الاستعراضات والسهرات» ورجَّعت الصحف الاستقلالية تلك الاصداء المستهجنة، ولكن المسألة كلها كانت عملية مدبرة وكان ابطالها بعض أعضاء حزب الاستقلال المنشقين على أنفسهم وقد تستروا بالطلاب بعد أن أوهموهم ولقنوهم ما يجب أن يقولوه في مؤتمر أغادير من تعرض للجيش وتهجم على الشخصيات المرموقة والمعروفة بوطنيتها الصادقة واخلاصها للوطن. والذي يجب أن يقال هو أن ما حدث لم يكن واجباً أن يحدث وأن ذلك المؤتمر الذي ارادوه بالون اختبار جاء في غير أوانه مستبقاً الأحداث ولم يكن الذين دبروه وخططوه وَهَّيأوا له على مستوى الأحداث علماً بأن أرض المغرب كانت لا تزال تعج بجيوش المستعمرين العسكريين في المدن والولايات. هذا بالاضافة إلى القوات الفرنسية التي كانت قد زحفت من الجزائر وعسكرت في شريط حدودي اقتطعته من الأراضي المغربية وضمته للجزائر المحتلة في ذلك الوقت تماماً كما فعلت اسرائيل في جنوب لبنان اليوم والقوات الفرنسية الأخرى المعسكرة في موريتانيا لحمايتها.

الأمير الحسن ولي العهد يتدخل لايقاف الحملة ضد الجيش

أدرك الأمير الحسن أن بعض أعضاء حزب الاستقلال المنشق على نفسه يلعبون لعبة خطرة، تحركها من الخلف اصابع التآمر الأجنبية وهي اصابع فرنسية، وأميركية، وانكليزية وسوفياتية أيضاً، فجاء إلى القصر لعيادة والده الذي كان يومها على فراش المرض، فحثه على التدخل لايقاف الحملة ضد الجيش الفتي المؤلف في معظمه من جنود وضباط كانوا لوقت

غير بعيد منخرطين في سلك الجيش الفرنسي في «الفرقة الأجنبية».

واستنكر الملك محاولات التعرض للجيش خصوصاً بعد أن عمد وزير البرق والبريد وكان ضابطاً في الجيش إلى تقديم استقالته.. احتجاجاً على التعرض للجيش الوطني. وأمر جلالته باحالة المتهجمين على الجيش إلى القضاء، وفي الوقت نفسه راح يتبادل الرأي مع الأحزاب السياسية للاهتمام بمصالح البلاد ووجوب التفاني في سبيلها وتقديمها على المصالح الخاصة والابتعاد عن التناحر والتنابذ والأنانية.

الأمير الحسن ولي العهد ينوب عن والده

وبما أن الملك كان مريضاً وكان من الواجب أن تلتف حوله الأحزاب في ذلك الوقت العصيب وحول ولي عهده الأمير الحسن المكلف رسمياً بالنيابة عن والده بحضور الاحتفالات.. واستقبال السيد أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا الذي كان يقوم في ذلك الوقت بزيارة ودية للمغرب، هذا بالاضافة إلى المهام الثقال التي كان ينوب فيها الأمير عن والده كالتفاوض مع الجنرال ديغول بشأن حرب الجزائر وتحرشات القوات الفرنسية بحدود المغرب الشرقية، ووضع خطة تنظيم جلاء القوات الفرنسية عن المغرب، بالاضافة إلى الاستقبال الضخم الذي كان قد أقيم للرئيس ايزنهاور عند زيارته للمغرب، بعد أن تم الاتفاق مع الأميركيين على الجلاء عن قاعدة «بن سليمان» قبل حلول شهر مارس سنة ١٩٦٠، وهو الجلاء الجزئي الذي أعقبه جلاء كل القوات الأميركية عن القواعد المغربية في السنوات الثلاث التي تلتها.

دول الغرب تدعم فرنسا في حربها في الجزائر

وتجدر الاشارة هنا إلى أن فرنسا المتضعضعة مالياً واقتصادياً ما كان

بوسعها أن تتحمل اعباء الحرب في الجزائر، لولا المساعدات التي كانت تتلقاها من الدول الغربية وبصورة خاصة من الولايات المتحدة. . هذا بالرغم من أن علاقات باريس مع واشنطن، ثم مع لندن، لم تكن على ما يرام وكانت الولايات المتحدة بسبب موقفها العدائي من المغرب، قد فقدت رصيدها السابق في المغرب، لا بل وفي تونس وجميع أنحاء البلاد العربية. إذ كانت السياسة الأميركية ذات الوجهين، قد ساعدت على انشاء دولة الصهاينة في فلسطين، وتثبيت اركانها كما قطعت مفاوضاتها مع مصر على أثر بناء السد العالي، فتحولت مصر نتيجة ذلك بقيادة زعيمها الكبير الرئيس جمال عبد الناصر نحو الاتحاد السوفياتي الذي أبدى استعداداً كبيراً بتعهداته الصادقة لبناء السد العالي، وتنظيم الجيش المصري ومده بالأسلحة والطائرات السوفياتية. والحقيقة أن حركة التحول هذه عن السياسة الأميركية المتضاربة، واتجاه بعض الدول العربية نحو الاتحاد السوفياتي قد أوجدت في المنطقة العربية حالة غليان واستنكار للتدخلات الأميركية في شؤون منطقة الشرق الأوسط بعد زرع الكيان الاسرائيلي في فلسطين.

اندلاع الثورة في العراق

في عام ١٩٥٨ اندلعت الثورة الدموية في العراق وأطاحت بالعائلة الهاشمية وقضت غليها كما قضت على كافة الرجال الذين حكموا العراق بالحديد والنار وقبل ذلك توحدت مصر مع سوريا تحت علم واحد باسم الجمهورية العربية المتحدة. ومن قبل أيضاً نزلت القوات الأميركية في لبنان بناء على طلب من رئيس جمهوريته كميل شمعون. وقبل ذلك أيضاً في العام ١٩٥٦ خاض الشعب المصري معركة ضارية مع الجيوش البريطانية والفرنسية والصهيونية، التي حاولت انتزاع قناة السويس من يد الحكومة المصرية، بعد أن أممها جمال عبد الناصر واستردها من مخالب

المستعمرين.

لهذا كله كانت منطقة الشرق الأوسط كلها تغلي بالمظاهرات والاضطرابات والعداء السافر ضد الفرنسيين والأميركيين والانكليز، وقد أسفرت هذه «اليقظة العربية» الجديدة بعد كل تلك المعارك مع المستعمرين عن اسقاط النفوذ الغربي وتدخلاته في منطقة الشرق الأوسط. فسقط ايدن رئيس حكومة بريطانيا إلى الأبد، وأصبح من نزلاء المصحات العقلية، وسقط بلوم رئيس الوزاءة الفرنسية، وعاد الجنرال ديغول إلى مسرح الأحداث ففاز الحزب الديغولي بالانتخابات وأصبح ديغول رئيساً للجمهورية.

الملك يوثق علاقات المغرب بالدول العربية

في أعقاب هذه الانتصارات الشرق أوسطية على المستعمرين والامبرياليين، قام جلالة الملك بعد أن أبلّ من مرضه برحلة ودية استغرقت شهراً، زار خلالها القاهرة ودمشق والمملكة العربية السعودية، والعراق، والكويت، والأردن، ولبنان، لتوثيق علاقات المغرب بالأشقاء العرب، بعد أن زار الولايات المتحدة زيارة رسمية وصفت بأنها كانت ناجحة.

تعهد الملك باعادة اعمار أغادير بعد الزلزال المدمر

ولكن بعد رجوعه بشهر من زيارته للمشرق العربي حدث زلزال عنيف في ٢٩ فبراير ـ شباط ـ سنة ١٩٦٠ أدى إلى تدمير مدينة أغادير ثغر السوس على المحيط الأطلنطي فأضيفت هذه الكارثة إلى حساب «الكوارث المغربية» خصوصاً وأن الزلزال كان قد وقع بعد التجارب النووية التي أجرتها فرنسا الديغولية في صحراء المغرب، وفي وقت كان المغرب فيه يعاني من الضائقة المالية وانقسام حزب الاستقلال وو.. الخ.

ومرة أخرى نزلت الأعباء الجديدة على كاهل الأمير الشاب ولي عهد المملكة المغربية مولاي الحسن. فقام بها على أحسن ما ينبغي وكان جلالة الملك الخامس قد زار اغادير وهو ما يزال يشكو من علة يخفيها، ففاضت الدموع في عينيه حزناً على المدينة الجميلة، وأمام الجموع التي احتشدت لاستقباله فيها قطع جلالته على نفسه عهداً باعادة تلك المدينة الغالية إلى أحسن مما كانت عليه.

وقد قال بالحرف الواحد: «سنعيد أغادير إلى أفضل مما كانت عليه» وقد برّ جلالته بوعده فأعيد بناء أغادير في خلال عشر سنوات وعادت إلى أحسن مما كانت عليه فشيدت على طراز الأبنية الأميركية، فكانت أول مدينة ـ مغربية خرجت عن طراز البناء المغربي ـ الأندلسي التقليدي.

حل الحكومة المغربية الرابعة

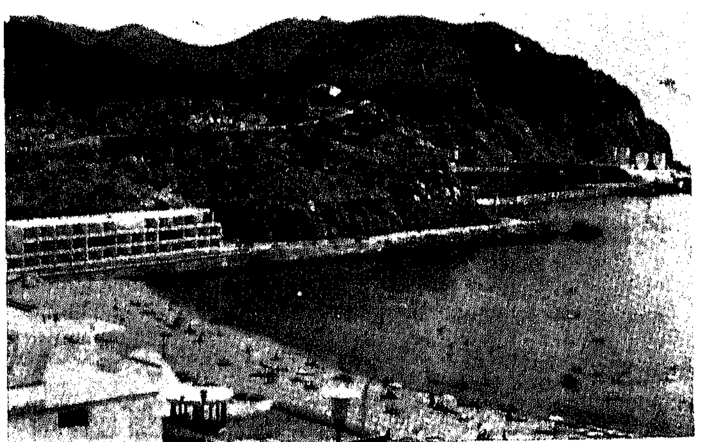
وفي ١٩ مايو سنة ١٩٦٠، استدعى جلالة الملك محمد الخامس، رئيس وزرائه السيد عبدالله ابراهيم وأخبره أن مدة حكمه قد انتهت، فانتخابات المجالس البلدية والقروية التي أعدتها حكومته ينبغي أن تحققها حكومة جديدة حيادية تأخذ على عاتقها تطوير الأنظمة والحياة المغربية ومؤسسات المغرب الدستورية.

ومن المعلوم أن حكومة عبدالله ابراهيم إنما شكلت للاعداد للانتخابات البلدية والقروية ثم تستقيل بعدها وفق الأعراف الديبلوماسية وعلى هذا الشرط كان الاتفاق مع عبدالله ابراهيم قبل سنة ونصف عندما كلفه الملك بتشكيل الوزارة ـ التي كان ينظر إليها على أنها وزارة يسارية.

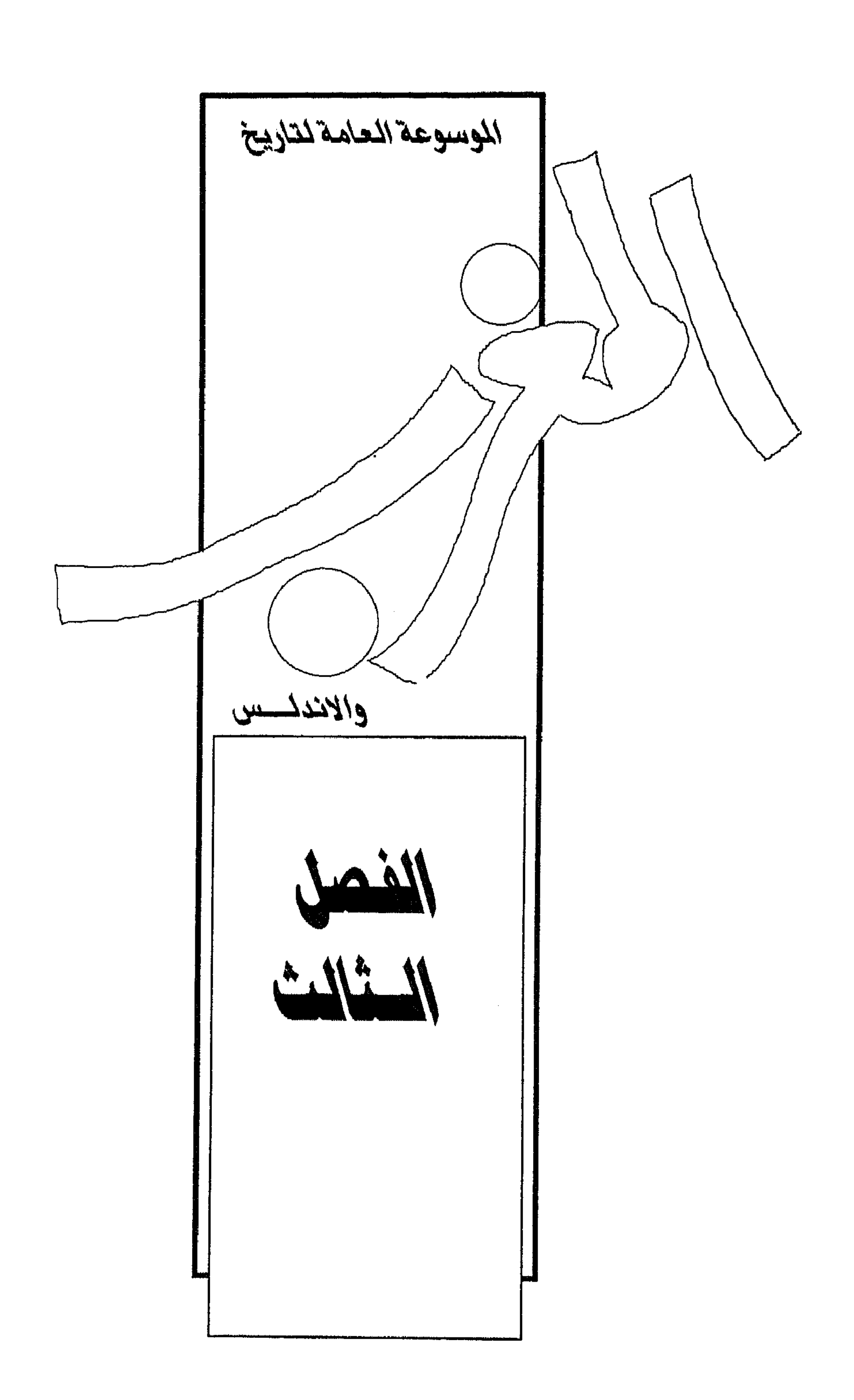
فلما استقال السيد عبدالله ابراهيم حملت الأحزاب والصحف الفرنسية اليسارية على الملك واعتبرت عمله خرقاً للدستور.

ولكـن الأميـر الحسـن رد عـن والـده مفنـداً ادعـاءات صحـف اليسـار الفرنسي حين صرح لوفد جريدة لوموند الفرنسية: «أن المسألة بسيطة جداً لأن جـلالـة الملـك كلـف السيـد عبـدالله ابـراهيـم منـذ سنـة ونصـف تشكيـل الحكومة، على أن يقوم باعداد الانتخابات البلدية وأن يتخلى عن الحكم قبل اجرائها، وقـد سنحـت لـه عـدة فرص لكي يستقيل ولكنـه اختـار البقـاء في الحكم، فعمد الملك إلى تنفيذ الاتفاق وأنهى مهمته في الموعد المحدد لها».

وتحـاشيـاً لكـل لبـس أو إبهـام فـإن الملـك محمـد الخـامـس أذاع علـى الشعب المغربي عهده المعروف باسم «العهد الملكي» في ٨ مايو ـ أيار ـ ١٩٥٨ وهو العهد الذين شكلت وزارة بلفريج على أساسه وجاء فيه: «أن سياسة المغرب تتجسم في الملك وهو الأمين عليها والحفيظ لها» ومعنى ذلـك أن الملـك وحـده هـو الـذي يستمـد سلطتـه مـن الشعـب بصفتـه مسؤولاً أمامه، في حين أن الوزراء يستمدون سلطاتهم من الملك ويُسْأَلون أمامه، وقد ظل عهد الملك قائماً إلى أن تطور نظام الحكم وتطورت معه الأساليب والمفاهيم الدستورية في عهد الملك الحسن الثاني ـ كما سنوضح كل ذلك في فصل آت.



المركب السياحي لنادي البحر المتوسط بمدينة الحسيمة



الفصل الثالث

تشكيل الحكومة المغربية الخامسة

في ٢٤ مايو ـ أيار ـ سنة ١٩٦٠ شكل الملك شخصيا حكومته الخامسة منذ عهد الاستقلال، وعهد إلى صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ـ ولي العهد بمهمة النيابة في تسييرها.

وكان الملك على حق في ذلك، بعد أن اختبر وجرب أساليب الأحزاب وخلافاتهم على توزيع الحقائب الوزارية وانقساماتهم إلى يمينيين ويساريين بدلاً من أن يكون الانقسام قائماً على حكومة تمارس اعمال الدولة «ومعارضة» بناءة لمراقبة سير الأمور.

ومع ذلك فان جلالته خص حزب الاستقلال بستة مقاعد في الوزارة الجديدة، فأسند اليهم وزارات العدل، والاقتصاد الوطني، والتعليم والشباب والرياضة، والبريد والبرق والوظيفة العمومية في حين اسندت نيابة الرئاسة والدفاع إلى ولي العهد الأمير الحسن ووزارة الشؤون الاجتماعية إلى الحركة الشعبية وأعطى المستقلين ست وزارات هي: الداخلية، والزراعة والأشغال العامة، والصحة والأنباء والسياحة.

وأدلى الملك بتصريح على الأثر جاء فيه: «وفي انتظار وضع دستور يعين المقاييس التي سنعتمد عليها في اسناد الحكم إلى هيئة معينة، آثرنا أن نأخذ الأمر بأيدينا مباشرة، وأن نمارس تسيير شؤون الدولة بواسطة ولي عهدنا، رغبة في استقرار الحكم، وجمع كلمة الأمة على أساس الاخلاص والنزاهة والكفاءة.

وكرس الملك اهتمامه باعطاء أولوية الانجازات لجلاء جميع القوات الأجنبية عن المغرب، واسترجاع المناطق المغتصبة من الوطن، واستكمال التحرر الاقتصادي ومتابعة الاصلاح الزراعي، ومحاربة البطالة ومساعدة الصناعة الوطنية، وتكوين الأُطُر الكفيلة بجعل كل الادارات مغربية خالصة، وتحقيق التقدم الاجتاعي والثقافي والسياسي في الوطن.

ولما قدم جلالته الحكومة الجديدة للشعب قال: «عزمنا اليوم على تتويج انجازاتنا الداخلية بانشاء نظام الحكم الدستوري، ولن تمضي سنة ١٩٦٢ حتى نكون قد وفينا بوعدنا ووضعنا بمشاركة شعبنا دستوراً جديداً يحدد السلطات وينظمها، ويمكن جميع أفراد الأمة من أن يشاركوا ممثليهم - في تسيير الشؤون الوطنية، ويراقبوا أعمال الحكومة التي ستشكل إذ ذاك طبقاً لمقتضيات الدستور».

جلالة الملك محمد الخامس
في أيامه الأخيرة

ولعل من أهم الأشياء التي لفتت الأنظار عندما شكل جلالته الوزارة الجديدة، وأناب عنه ولي عهده، صاحب السمو الملكي الأمير الحسن وأسند إليه مهام نيابة الرئاسة ووزارة الدفاع هو أن جلالته كان يشعر بشعور داخلي عميق بأن حياته قد أصبحت تجتاز مرحلتها النهائية، فجلالته لم

يستشف ذلك ولكنه شعر بدنو الأجل من الحاح المرض عليه . . أو بالحري على جسمه الواهن النحيل الذي استطاع أن يتحمل كل المتاعب والمضايقات، وأعباء النضال والصمود، ضد المقيمين العامين الذين كانت فرنسا ترسلهم واحداً بعد الآخر لمضايقته، وفرض الاستعمار الفرنسي على الشعب المغربي. كما تحمل جلالته الكثير من خيبة الأمل ومن انقسام الأحزاب على بعضها، وتنكرها للأماني الوطنية مفضلة عليها أنانيتها واستئثارها بالحكم والانشقاق المستمر لتأليف أحزاب جديدة، وما رافق ذلك من تهجم وادعاءات وحملات صحفية مغرضة، كانت تزيد في آلام وحساسية الملك المناضل الوفي لشعبه ورسالته التحررية .

لذلك أخذ الملك على عاتقه مسؤولية تأليف الحكومة الجديدة وأناط ادارة مهامها الكبيرة والكثيرة المتشعبة بولي عهده فوضعه على رأس الحكم ـ أمام ناظريه ـ لكي يرى كيف سيقود سفينة الحكم . . حتى يطمئن ويزداد وثوقاً بأن ولي عهده ـ ملك المغرب القادم ـ سيكون قادراً على تحمل اعباء الملك واتمام رسالة والده التحررية .

وقد استطاع سموه اتمام الانجازات التي أعدها والده في تسعة أشهر وكانت كما يلي :

● الاشراف على اجراء أول انتخابات للمجالس البلدية والقروية .

● الوصول إلى اتفاق مع فرنسا لكي تجلو قواتها عن المغرب قبل نهاية عام ١٩٦٣ .

● الاتفاق مع اسبانيا على سحب قواتها من المغرب .

● السعي لايجاد مخرج في الجزائر على أساس أن يأخذ الشعب الجزائري حقوقه بالسيادة والاستقلال .

● الاحتجاج المتواصل على فرنسا لاجرائها تجاربها النووية في الصحراء المغربية السلبية، واثارة الشعور الانساني لدى حكومات العالم وشعوبها ولفت انظارها إلى الأخطار الناشئة عن تلك التجارب والتدخل لايقافها.

● تمثيل المغرب في الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة، وإثارة حق المغرب في موريتانيا التي فصلها الفرنسيون عن الوطن المغربي، وحق الجزائر بالاستقلال، وحق الشعب الفلسطيني بوطنه السليب وحق الدول النامية بمساعدات من الدول المتقدمة، والمناداة باقامة صندوق خاص يمول مشاريع التنمية في دول القارة الأفريقية.

● وعلى هامش اجتماعات الأمم المتحدة تمت لقاءات وتبادل آراء مع عبد الناصر، ونهرو، وايزنهاور، وخروشوف، وتيتو وسوكارنو وسيكوتوري، وقد أفادت كل تلك اللقاءات والاجتماعات بتوطيد وتدعيم مكانة المغرب على الصعيد الدولي.

● عودة إلى الولايات المتحدة لحثها على ازالة قواعدها عن الأراضي المغربية.

● لقاء مع السيد الحبيب بوزقيبة الرئيس التونسي لتنسيق سياسة التعاون المغربي ـ التونسي الخاصة بمستقبل الجزائر.

● غداء في لندن مع الملكة اليزابيت وعشاء مع رئيس الوزارة البريطانية وحديث مع وزير خارجيتها وتبادل الرأي مع تشرشل العجوز لتوثيق العلاقات بين المغرب وبريطانيا.

● زيارة للرئيس نكروما لتوثيق علاقات المغرب وغانا واخراج ميثاق

الدار البيضاء.

● مرافقة الزعيم السوفياتي خروتشوف اثناء زيارته الرسمية للمغرب، واطلاعه على انجازات المغرب في عهد الاستقلال، وتبادل الرأي حول مستقبل العلاقات المغربية ـ السوفياتية.

وقد أبدى خروتشوف اعجابه الشديد بذكاء الأمير الحسن ولي العهد وسعة اطلاعه فألح عليه بأن يقوم بزيارة إلى الاتحاد والسوفياتي بمناسبة الاحتفال بعيد العمال في موسكو.

وفاة الملك محمد الخامس

في ٢٦ فبراير ـ شباط ـ سنة ١٩٦١ توفي الملك محمد الخامس أثناء اجراء عملية جراحية في أنفه لاستئصال جدار الأنف، فكانت فاجعة عظيمة انقضت على المغرب حكومة وشعباً وتوقف القلب الكبير عن الخفقان، بعد كفاح عظيم ونضال مستمر استغرق أكثر من نصف قرن، كانت اعباء المغرب كلها تحط بثقلها على عاتق الملك النبيل، ومع ذلك فلم يحن ظهره للاستعمار، ولا توقف عن منازلته ومجالدته في جميع الظروف والأحوال إلى أن أخذ استقلال وطنه بيده عنوة وعلى رؤوس الأشهاد.

فأي مفخرة اعظم من هذه المفخرة لملك عربي مغربي قاد جماهير شعبه في صراع بطولي عملاق كافح فيه فرنسا واسبانيا كفاح الندللند في حين كان الاستعمار الفرنسي مسنوداً بالقوى الأوروبية الاستعمارية والامبريالية الأميركية.

أما الملك فلم يكن يسنده سوى شعبه المكافح المناضل الوفي.

وما أن أعلن ولي العهد نبأ وفاة والده إلى الشعب المغربي بواسطة

الاذاعة حتى أقام المغرب مناحته الكبرى في السهول وفوق الجبال، وعلى امتداد صحاريه وفي مدنه وقراه التي اتشحت بالسواد.

لقد اختار الله تعالى جلالة الملك محمد الخامس في اليوم الذي كان فيه العلم الفرنسي ينزل عن مقر القيادة العامة للجيش الفرنسي في الرباط ليعلو علم المغرب مكانه مرفرفاً فوق تراب وطنه وسط هتاف الجماهير الخالد الله أكبر. . الله أكبر ولله الحمد.

في يوم ارتفاع العلم المغربي على سارية القيادة الفرنسية العامة في الرباط، توفي محمد الخامس بطل الاستقلال الكبير وحامي حمى المغرب العظيم والمدافع عنه والذائد عن ربوعه. . توفي الأسد في عرينه وبين ابناء شعبه فلبس المغرب ثوب الحداد، ونكست اعلامه خاشعة أمام عظمة الرجل الذي قدّس العلم المغربي وجعله رمزاً لاستقلال البلاد فنكّست اعلام المغرب وانحنت الرؤوس والهامات أمام جثمان سيد المغرب وهي تودعه الوداع الأخير. لقد غرق المغرب بدموع الحزن فالكل بكى بحسرة ومرارة ولوعة. وأكثر ما بكاه النساء. لأنه هو الذي حمى حماهن وصانهنّ من السبي ووفر لهن العزة والحصانة والكرامة وساعدهن على تربية ابناء الجيل الجديد الذي سيواصل مع نجله الملك الحسن الثاني السير على خطاه ليؤدي الأمانة ويتم الرسالة، رسالة جعل المغرب دولة عصرية متطورة وبانجاز الاستقلال وانتهاء عهد الحماية والاستعمار يكون المغرب قد استعاد هويته المغربية العربية والاسلامية وأخذ مكانه اللائق بين دول العالم المتحررة. ويكون الشعب المغربي البطل قد حطم قيود الذل والعبودية وحطم بالتالي أسطورة التفوق العسكري الأوروبي بعد أن هزم جيوش اسبانيا وفرنسا ومن ناصرهما في حروبهما الظالمة عليه منذ بدء عهد الحماية عام ١٩١٢ وحتى عام ١٩٥٦ عام الاستقلال المجيد.

لقد دفعت فرنسا على الخصوص بأعظم جنرالاتها إلى المغرب وعينتهم مقيمين عامين فيه ليقضوا على الثورات المشتعلة فيه باستمرار فلم يفلحوا وسقط الواحد منهم بعد الآخر على صخرة المقاومة المغربية الصلدة.

وقد توالى على الاقامة العامة في المغرب من الفرنسيين كل من:

١ ـ هوبير ليوتي	١٩١٢
٢ ـ تيودور ستيغ	١٩٢٥
٣ ـ لوسيان سانت	١٩٢٩
٤ ـ هنري بونسو	١٩٣٣
٥ ـ مارسيل بيغروتون	١٩٣٦
٦ ـ شارل نوغيس	١٩٣٦
٧ ـ غابريل بيو	١٩٤٣
٨ ـ أريك لابون	١٩٤٥
٩ ـ الفونس جوان	١٩٤٧
١٠ ـ أوغسطين غيوم	١٩٥١
١١ ـ فرنسيس لاكوست	١٩٥٤
١٢ ـ جيلبير غرانفال	١٩٥٥
١٣ ـ بوايِّيه دي لاتور	١٩٥٥
١٤ ـ بريفيت أندريه دي بوا	١٩٥٥.

من مآثر محمد الخامس

في ميدان التعليم:

لقد كان اصلاح حقل التعليم من أروع انجازات الملك الراحل محمد الخامس فمنذ أن تقلد مهام الحكم الوطني عام ١٩٥٦ ارتفع عدد طلاب المدارس المغربية إلى ٢٢٠ ألف طالب أي بنسبة ١٢،٥ بالمئة من أبناء المغرب الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والرابعة عشرة يضاف إليهم ٣٠ ألف طالب في المدارس الثانوية و٢٠ ألفاً في المدارس الفنية، وقد خصص

للتعليم ربع الميزانية القومية أي أكثر من ستين مليون دولار أميركي.

في ميدان التعريب:

وأشرف جلالته على مهام تعريب العلم الوطني، رغم الصعوبات الكثيرة الناشئة بسبب النقص في كتب الدراسة والمعلمين في آن واحد، ثم حقق مجانية التعليم وجعله الزامياً كي يتيح لأبناء الفقراء أن يتعلموا على حساب المملكة، واستقدمت الحكومات المغربية معلمين من مصر والعراق وفلسطين ولبنان[1]، وأنشئت كليات عديدة لتدريب المعلمين، كما قدمت حكومات المغرب في عهد جلالته ٢٠ ألف منحة دراسية كاملة في المدارس الابتدائية والثانوية والفنية والجامعة.

المنح الدراسية:

وأعطت الحكومة المغربية ٨٠٠ منحة دراسية لأبناء المغاربة لكي يتلقوا العلم في الجامعات الأجنبية خارج البلاد، كان منها ٥٠٠ منحة للدراسة في فرنسا و١٠٠ منحة للدراسة في اسبانيا و٦٦ منحة في مصر، و٦٥ منحة في سوريا و٢٤ منحة في العراق ومنح أخرى في أوروبا.

وفي أواخر عام ١٩٥٧ وحدت أربعة معاهد، فصارت جامعة جديدة في الرباط معهد العلوم العالية، ومعهد الآداب ومركز الدراسات الشرعية. ومركز الدراسات العلمية العليا.

التعليم الجامعي:

أما الجامعة القديمة الملحقة بمسجد القرويين في فاس فقد تحوَّلت شيئاً فشيئاً إلى جامعة عصرية وفي عام ١٩٦٠ أقيم الفناء الجامعي الحديث

---

(١) المصدر نفسه الآنف الذكر.

في المعسكر الفرنسي السابق في قلب قصبة شراردة الواسعة في فاس ولم يعد الطلاب يتلقون دروسهم في مسجد القرويين نفسه. أما مدرسة «المدارسة» درّة «الفن المريني» التي كانت غير صحية رغم جمالها فقد تحولت إلى منامة للطلاب ولكنها هجرت بعد نقل الطلاب إلى منامتهم الحديثة في الفناء الجامعي الجديد.

في الميدان القضائي والاجتماعي:

وبعد فترة قصيرة صار للمغرب قضاؤه المغربي بعد أن كان القانون الفرنسي قد حوله إلى قضاء شرعي صرف أما في قوانين الطلاق فقد منحت المرأة حقوقاً أكثر جدية وحماية أكبر: ولم يعد زواج الفتيات يتم بالاكراه دون موافقتهن، وتم اعداد القانون المدني والقانون الجنائي، ومنحت المرأة حق الانتخاب، وأجريت اصلاحات مهمة في حقل الخدمات الاجتماعية، كما اتخذت خطوة أولية نحو انشاء الضمان الجماعي، وقد وضعت هذه المنظمة تحت اشراف الأميرة (لالا عائشة)، التي شرعت في تنظيم النشاطات الاجتماعية والخيرية، مثل اسداء العون للاجئين الجزائريين وتوزيع الأطعمة على الفقراء، واعداد مخيمات الترفيه للأطفال الفقراء، وتدريب النساء على الأساليب الحديثة في التوليد والعناية بالأطفال وعلم الصحة.

استعادة بعض المناطق المغتصبة من أرض الوطن

كان استرداد مدينة طنجة من انتصارات الملك محمد الخامس البارزة في حقل نشاطه الديبلوماسي بعد أن بقيت أعواماً طويلة وهي أسيرة مقيدة بنظام دولي تديره إحدى عشرة دولة أجنبية. فصارت طنجة في عهده عام ١٩٥٧ واحدة من المدن المغربية.

وقد فاز الملك الراحل أثناء حياته الحافلة بجلائل الأعمال بنجاح مماثل في اقناع اسبانيا بالتنازل عن مقاطعة طرفاية في التجويف الشمال من وادي الذهب التي بشّر فيها المبشرون بوجود مستودعات جوفية للنفط، فصارت طرفاية المقاطعة السادسة عشرة في المغرب.

المقاطعات المغربيّة	عدد السكان (أرقام تقريبية لعام ١٩٦١)
١ ـ مراكش	مليونان
٢ ـ الدار البيضاء	٥ر١ مليون
٣ ـ الرباط	٣ر١ مليون
٤ ـ أغادير	٩٠٠ ألف
٥ ـ فاس	٩٠٠ ألف
٦ ـ تطوان	٧٠٠ ألف
٧ ـ مكناس	٦٠٠ ألف
٨ ـ وجده	٦٠٠ ألف
٩ ـ بني ملال	٥٠٠ ألف
١٠ ـ تازة	٥٠٠ ألف
١١ ـ ورزازات	٥٠٠ ألف
١٢ ـ قصر السوق	٤٠٠ ألف
١٣ ـ الناضور	٤٠٠ ألف
١٤ ـ الحسيمة	٢٠٠ ألف
١٥ ـ طنجة	٢٠٠ ألف
١٦ ـ طرفاية	٢٠٠ ألف

وبقيت في حوزة الاسبان مقاطعة أفني والساقية الحمراء ووادي الذهب في الجنوب، وسبتة ومليلة في الشمال بعد استرداد طرفاية عام

١٩٥٨ في حياة جلال الملك محمد الخامس.

في المجالين الاقتصادي والزراعي

وقد أعدت الحكومة المغربية سنة ١٩٦٠ مشروعاً اقتصادياً لخمس سنوات يستهدف زيادة الانتاج بمعدل ٥ في المئة كل عام مع رفع جميع الاستثمارات إلى ٣٤٠ مليون دولار كل عام بمعدل مليون و٧٠٠ ألف دولار على مدى خمسة أعوام، وشدد المشروع على وجوب تنمية الصناعات الخفيفة التي تستطيع الانتفاع من الخامات المحلية، مع زيادة الانتاج الزراعي، وأقيمت إدارة مركزية للريّ، وأخرى للرهنيات الزراعية، كما تقرر - ضمن مشروع الخمس سنوات - زيادة المراعي، واصلاح الأراضي، وتصنيف أراضي الدولة، ووضع بعض الأراضي تحت اشراف النظام الجماعي، وزيادة انشاء الغابات، واضافة مليون ونصف مليون فدان من الأراضي الصالحة للزراعة على مدى أربع أو خمس سنوات وربما أكثر . .

تحرير الجمارك

وكان تحرير الجمارك من الخطوات الأولية بعد أن تحرر الاقتصاد الوطني والنقد من التبعية الفرنسية.

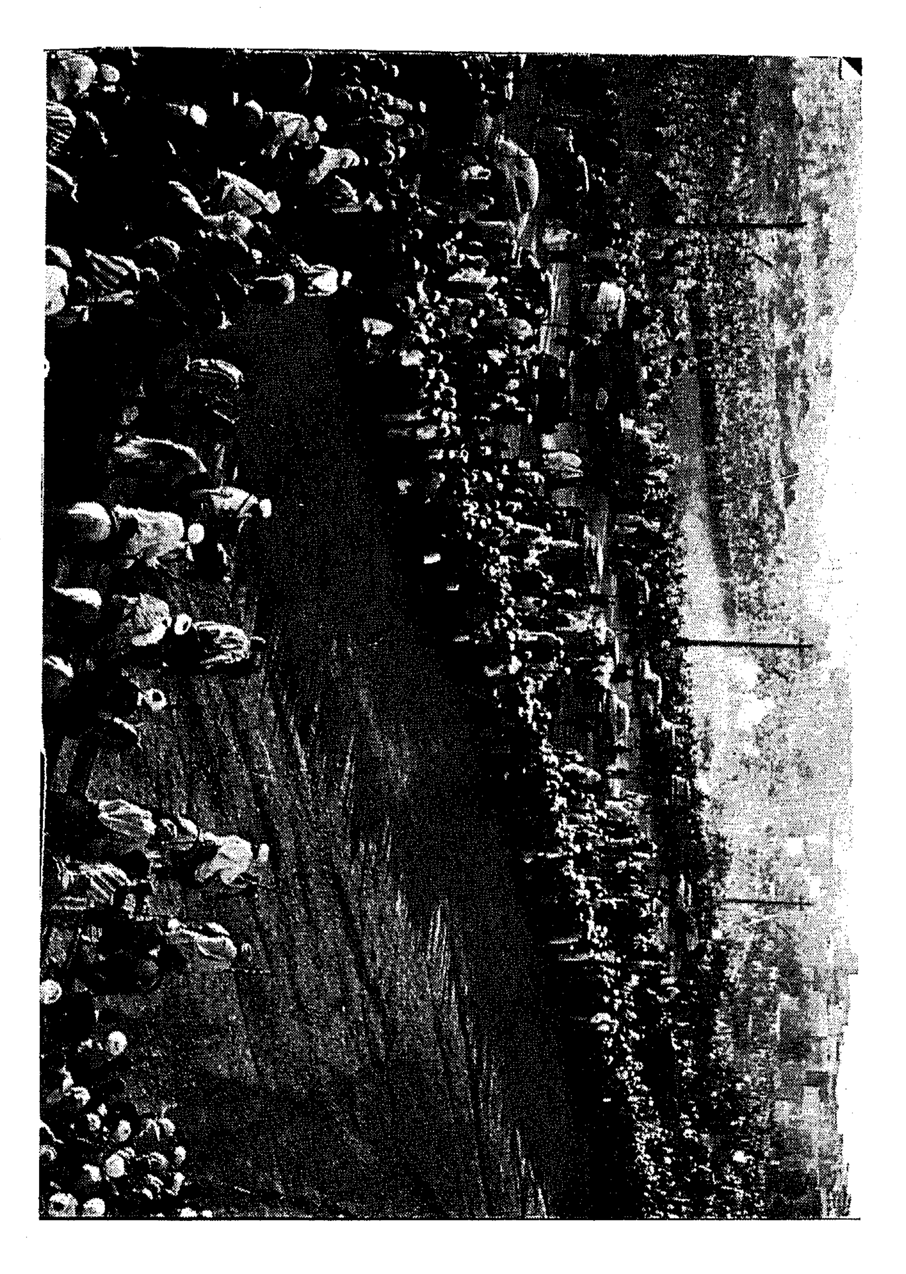
وحتى العام ١٩٥٧ كان الاقتصاد الوطني ضحية معاهدة الجزيرة الخضراء التي أبرمت سنة ١٩٠٦ والتي كانت تفرض رسوماً جمركية على جميع البضائع المستوردة بمعدل ١٢ في المئة من ثمنها. وهكذا لم يكن في المستطاع حماية الصناعة المحلية.

وفي العام ١٩٥٧ نجحت الحكومة في حمل فرنسا وبريطانيا واسبانيا على التخلي عن حقوقها الجمركية التي كانت اكتسبتها قبل ١٠٠ عام، فاستعاد المغرب حريته الاقتصادية، وأصدر تعرفة جمركية جديدة في ٢٤

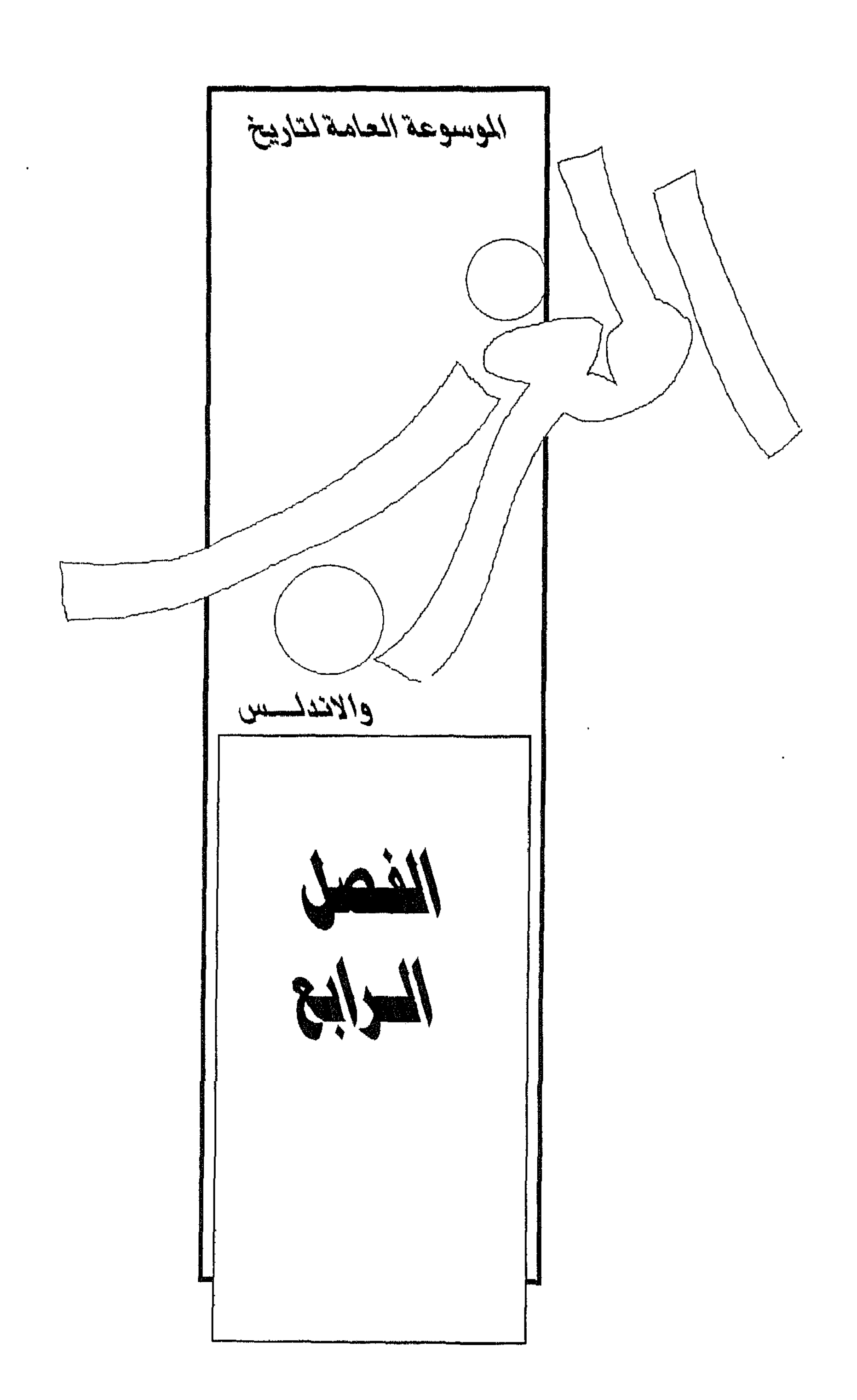
أيار سنة ١٩٥٧ . ولم يكن في الامكان فرض ضريبة أكثر من ١٠ في المئة على الخامات اللازمة للصناعة والزراعة ومن ٥ في المئة إلى ٢٠ في المئة على المنتجات التي لم يتم صنعها ومن ١٥ في المئة إلى ٣٥ في المئة على المواد الاستهلاكية الأخرى.

قال روم لاندو في كتابه معدداً أفضال الملك الراحل وسجاياه: أن الصعاب التي عالجت بها البلاد تحولها من الحماية إلى الحكم الوطني إنما كانت بفضل الملك محمد الخامس في المقام الأول فإن حكمته واعتداله، واهتمامه الخاص برفاهية شعبية، وانعدام المطمع الشخصي في طبيعته، كل ذلك أتاح له من المهابة والتقدير ما لم يتم ـ على الأرجح ـ لأي حاكم مغربي «من قبله» فقد عبده الشعب المغربي عبادة وحتى أولئك الذين لم يوافقوا على بعض آرائه السياسية، إنما كانوا يعترفون أنه لولاه لكان محتملاً أن تغرق البلاد في الشقاق وحتماً في الفوضى، وبعد خمسة أعوام من قيامه بحكم المغرب بلا معين في أكثر الأحوال وجد الملك نفسه أثيراً محبوباً بمقدار ما كان في ذلك اليوم من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ عام ١٩٥٥ عندما عاد من منفاه إلى الرباط»[1] .

(١) كنت يومها أحد اعضاء البعثة اللبنانية في المغرب ـ (المؤلف).



مهرجانات فولكلورية في المغرب


الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
الفصل
الرابع

جلالة الملك الحسن الثاني ١٩٦١

« مات الملك يحيا الملك! » كان الملك الذي مات هو جلالة محمد الخامس سليل الدوحة العلوية الشريفة الباسقة التي أظلت غصونها الخضراء المغرب الكبير منذ أكثر من ثلاثماية عام ابتداء من سنة ١٦٥٩ . وكان الملك الجديد هو صاحب الجلالة الحسن الثاني نجل الملك الراحل ـ الأكبر ـ وولي عهده، فكان خير خلف لخير سلف.

ولد الملك الحسن الثاني في اليوم التاسع من شهر يوليو عام ١٩٢٩، وارتقى عرش المغرب في اليوم الثالث من شهر مارس سنة ١٩٦١ أي بعد انقضاء الأسبوع الأول على وفاة والده الكبير وكان له من العمر ثلاثة وثلاثون عاماً، قضى السنوات الأخيرة منها يعمل مع أبيه كساعده الأيمن وفي جميع المهام الجسام التي يكلفه بها.

كان جلالته عند ارتقائه عرش المملكة في مقتبل العمر وريعان الشباب يتوقد ذكاء ونبوغاً ويتأجج اخلاصاً وحماسة مترسماً خطى والده لانقاذ المغرب من الرواسب الاستعمارية الباقية. وكان من حيث النضج واعياً

ومتفهماً للمهام الجديدة المنوطة به والرسالة التي عليه أن يؤديها لمتابعة مسيرة الاستقلال، واستئناف الكفاح لتطهير البلاد من الجيوش الفرنسية والاسبانية، والسير قدماً في بلاده نحو الحضارة السليمة الصحيحة، ليجعل من وطنه المغرب بلداً عصرياً متطوراً ومتقدماً في جميع المجالات والميادين وهو سليل الدوحة العلوية الشريفة نسباً وحسباً وعروبة وأمّه « أم الشرفاء » وهو اللقب الموروث الذي كانت تتقلده «عقيلة الملك المغربي» وهي وأن كانت من حرائر البربر الا أن نسبها يرقى إلى ذلك النسب الكنعاني النبيل الذي حمل رسالة الحضارة من المشرق إلى القارة الأوروبية وشمالي أفريقيا منذ عهد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام هذا التزاوج الحضاري بين العرب والكنعانيين في المغرب وسائر أقطار المغرب الكبير الذي جزّأه المستعمرون كان له أبلغ الأثر في خلود الوحدة المغربية وانتصاراتها الحاسمة على كافة مشاريع التجزئة الاستعمارية البغيضة.



الملك الحسن الثاني في اللباس التقليدي

وقد ورث جلالته عن والده الراحل الملك محمد الخامس كل الصفات الحميدة، والسجايا النبيلة، من خلق كريم وبطولة رائعة وجرأة مشهودة عند التجارب، وسياسة الحزم التي تتجلى عند الشدائد وسياسة المرونة عندما يكون لا بد منها.

كما ورث عن والده أعظم سلاح خلقي في مواجهة مكائد المستعمرين ومؤامراتهم الا وهو الصبر..

ولعل أول من تحلى بفضيلة الصبر في صدر الاسلام كان جده الأعلى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام القائل: «العجز آفة والصبر شجاعة» والقائل: «ينزل الصبر على قدر المصيبة» والقائل: «آلة الرياسة سعة الصدر»، فهي لا تتم الا به.

وكان المغفور له والده قد حقق في جملة ما حقق في العامين الأولين بعد الاستقلال، ثلاثة انجازات مهمة هي: قبول المغرب عضواً في هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٦، وانتساب المغرب إلى جامعة الدول العربية، ومعاهدة شعبه على اقرار النظام الملكي الدستوري. أما على الصعيد الأفريقي فقد كان له الفضل الأول في وضع اللبنة الأولى في ميثاق منظمة الوحدة الأفريقية بدءاً من «مؤتمر الدار البيضاء» الذي اشتركت فيه ست دول أفريقية، على اعتبار أن المغرب كان في طليعة الدول المنادية بالحياد الايجابي والتحرر من الاستعمار في قارة أفريقيا، وقد صبّ كل اهتمامه على تأكيد وجود ميثاق يمهد لقيام منظمة «الوحدة الأفريقية» بغية جمع صفوف الدول المتحررة في المنظمة المذكورة بما ستقدمه دول منظمة الوحدة الأفريقية من دعم ونضال وتأييد.

وعلى هذه الأسس وضع ميثاق الدار البيضاء الذي وقعته الدول

الأفريقية المشتركة في مؤتمرها المشار إليه وهي: المملكة المغربية، ومصر والجزائر وغانا ومالي، وظلت المملكة المغربية توالي جهودها الحثيثة حتى أصبح للدول الأفريقية منظمة تنطق باسمها.

ولما انتقل الملك محمد الخامس إلى جوار ربه أصبح ولي العهد الأمير الحسن ـ المثبت على ولاية العهد بموجب ظهير ملكي صدر في السنة الأولى من الاستقلال ـ ملكاً على المغرب، وقد أكدت إرادة الشعب المغربي ملكيته عندما وقعت صكوك البيعة وشارك الشعب في حفلة تنصيبه على العرش في اليوم الثالث من مارس سنة ١٩٦١ [1].

وقد أصغى الشعب المغربي بفرح ممزوج بالحزن على الملك الراحل إلى الملك الجديد وهو يتعهد لشعبه بأن يسير على خطى والده المغفور له وأن يضطلع بمسؤولياته الكاملة طبق مبادىء الاسلام، وتقاليد المغرب العريقة، والواجبات التي تقتضيها المصلحة الوطنية، والدفاع عن أراضي الوطن وترابه المقدس، واستقلاله وسيادته ووحدته، وتوطيد عزه وسؤدده بين سائر الدول وأن يحذو حذو والده في خدمة الشعب ورعاية حقوق المواطنين وحرياتهم ومصالحهم، ويبذل أقصى الجهود لتحقيق تقدم الأمة المغربية وتطورها وأن يعد مشاريع النهوض والسعادة والرخاء لجميع أبناء الوطن.

من انجازات الملك الحسن الثاني في مطلع عهده

وما أن تسلم الحسن الثاني عرش بلاده حتى وضع نصب عينيه قضية جلاء الجيوش الفرنسية والاسبانية والأميركية عن بلاده، فألح على فرنسا بسحب قواتها ـ التي كانت قد تحولت من قوات احتلال إلى قوات التدريب ـ

(١) روم لاندو في كتابه السابق ص ٥٠٧.

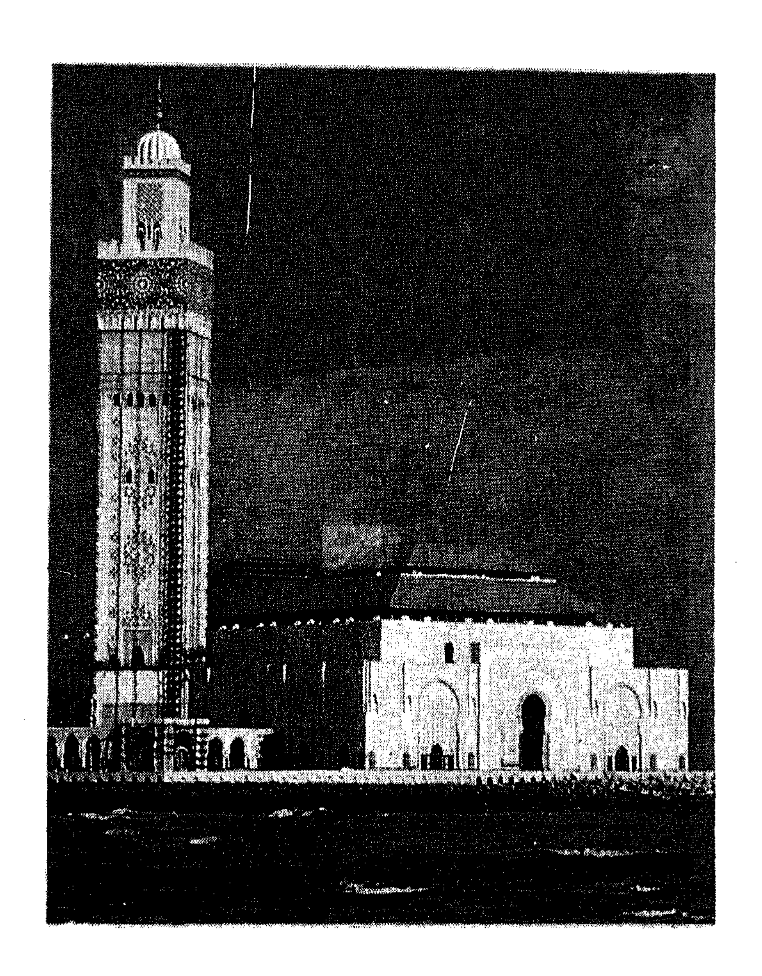
وتحولت معها قواعدها من مراكز للسيطرة، إلى معاهد تعليم بالظاهر ووجدت فرنسا أنه من الخير لها أن تغادر البلاد وهي صديقة بدلاً من أن تغادرها مطرودة وهي عدوة، لذلك تعهدت بانجاز كامل جلائها عن الأراضي المغربيّة في مهلة أقصاها نهاية العام ١٩٦١، مقدمة موعد الجلاء سنتين بعد أن كانت بناء على اتفاق سابق، قد تعهدت بالجلاء لمدة أقصاها نهاية العام ١٩٦٣.

وما أن أصبح هذا التعهد بين يدي جلالته حتى استغله عندما أقنع اسبانيا بأن تقتدي بفرنسا، فأسفرت مساعيه عن جلاء القوات الاسبانية عن مناطق الحماية القديمة جلاء تاماً في نهاية العام الأول لجلوسه على العرش، ولم يبق لاسبانيا من قوات الا تلك التي كانت ما تزال تحتل مدينتي سبتة ومليلة والجزر الجعفرية في الشمال، والصحراء المغربية في الجنوب، ومع ذلك فقد ظل الملك الحسن الثاني يلح على اسبانيا بالجلاء عن تلك القواعد.

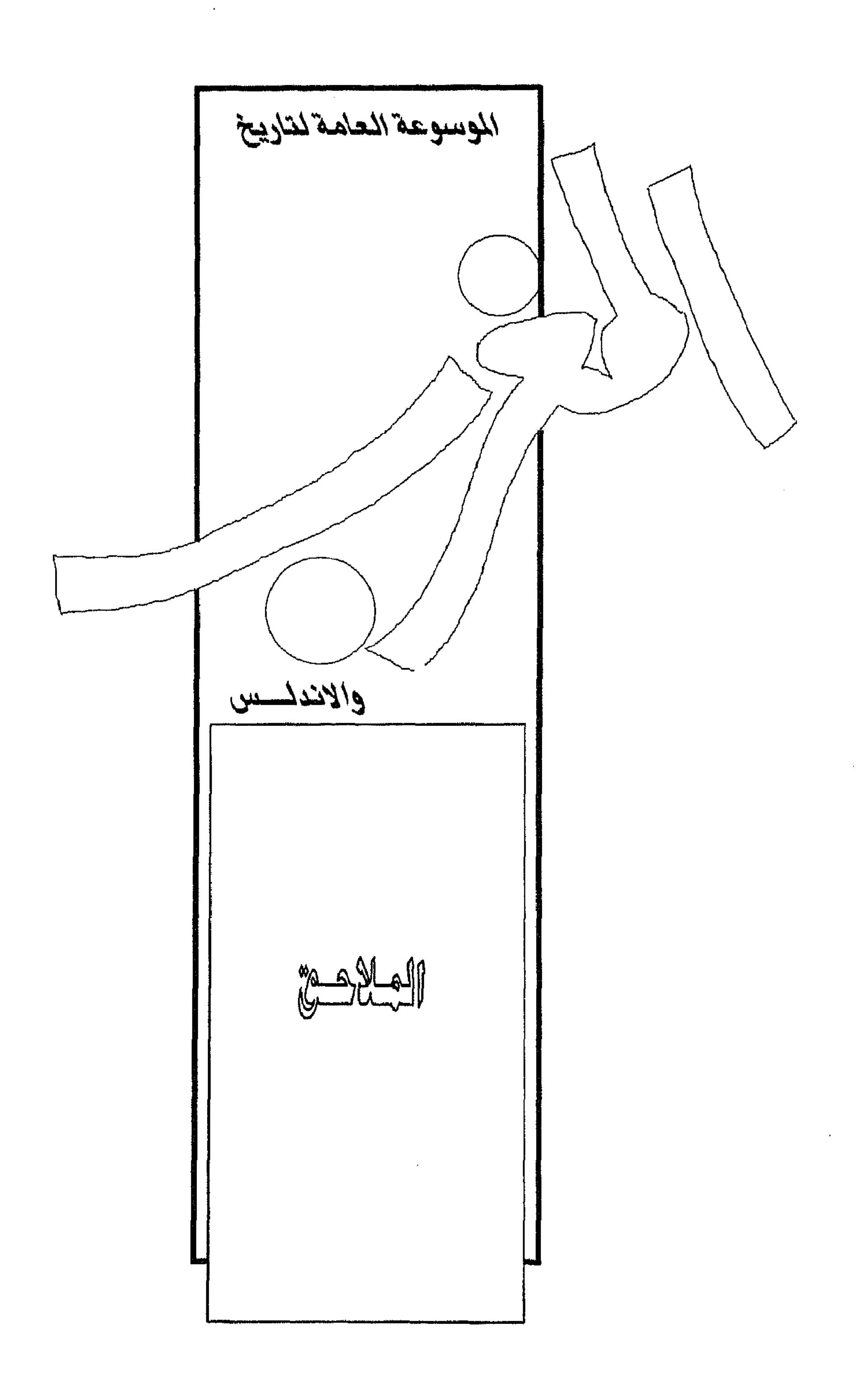
أما القوات الأميركية فقد جلت في نهالة عام ١٩٦٣، عن جميع القواعد التي كانت تحتلها ـ بالاتفاق مع فرنسا ودون موافقة الملك والشعب.

ومع ذلك فقد بقيت المناطق المغربية التي فصلت عن المغرب قبل عهد الحماية وفي أثنائه وألحقت بكيانات أخرى، أو أنشئت فيها كيانات مستقلة وهي التي كان الملك ولا يزال يعمل ويواصل جهوده من أجل استعادتها وإلحاقها بالوطن الأم.

انتهى الجزء الخامس من الموسوعة ويليه الملاحق



جامع الحسن الثاني ـ الدار البيضاء


الموسوعة العامة لتاريخ
والاندلـــس
المــلاحــق

الملحق الاول

الاتفاق الفرنسي ـ البريطاني

بتاريخ ٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٤
التصريحات الخاصة بمصر والمغرب

المادة الأولى

تعلن حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها لا تنوي تغيير وضعية مصر السياسية وتعلن حكومة الجمهورية الفرنسية، من جانبها، أنها لن تعرقل مساعي بريطانية العظمى في مصر بطلب تحديد وقت معين لانهاء الاحتلال البريطاني أو أي طلب آخر وبأنها توافق على مسودة مشروع الارادة الخديوية، المتضمنة الضمانات المعتبرة ضرورية لحماية حامل السندات المصرية، المرفقة بهذه الاتفاقية وذلك منذ صدورها رسمياً فقط. لا يمكن تعديل هذه الارادة بأي شكل من الأشكال بدون موافقة الدول الموقعة على ميثاق لندن في سنة ١٨٨٥.

أن وظيفة مدير الآثار العام في مصر متفق عليها أن تستمر كما كانت

عليه في الماضي بأن تعهد إلى خبير فرنسي وبأن تبقى المدارس الفرنسية متمتعة بالحريات نفسها التي كانت تتمتع بها في الماضي.

المادة الثانية

تعلن الحكومة الفرنسية أنها لا تنوي تغيير وضعية المغرب السياسية. وتعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها تعلق آمالاً على فرنسة، نظراً لتجاور ممتلكاتها للأراضي المغربية مسافة طويلة، أن تسهر على أمن البلاد وأن تقدم لها كامل مساعدتها فيما تحتاج إليه من اصلاحات ادارية واقتصادية وعسكرية وتعلن أنها لن تعرقل الاجراءات الفرنسية التي تهدف إلى تحقيق هذه الغاية على شرط أن تدع حقوق بريطانيا العظمى المستمدة من المعاهدات والمواثيق والأعراف الدولية على حالها بما في ذلك حق التجارة البحرية في المرافىء المغربية الممنوحة للسفن البريطانية منذ سنة ١٩٠١.

المادة الثالثة

ستحترم حكومة صاحب الجلالة البريطانية، من جانبها، الحقوق التي تتمتع بها فرنسا في مصر بفضل المعاهدات والمواثيق والأعراف الدولية بما في ذلك حق التجارة البحرية في الموانىء المصرية الممنوحة للسفن الفرنسية.

المادة الرابعة

أن الحكومتين، نظراً لارتباطهما المتكافىء بمبدأ التجارة الحرة في كلا البلدين، مصر والمغرب، تعلنان أنهما لن تؤيدا أي تمييز في فرض الضرائب الجمركية أو الضرائب الأخرى أو في فرض رسوم النقل بالسكك الحديدية.

ستتمتع تجارة المرور الحر (الترانزيت) لكلا الدولتين مع المغرب ومصر بنفس المعاملة التي تعامل بها في الممتلكات الفرنسية والبريطانية في أفريقيا.

أن اتفاقاً بين الحكومتين سيسوي أوضاع مثل هذا المرور الحر (الترانزيت) وسيعين نقاط الدخول.

ستكون هذه الاتفاقية المتبادلة نافذة المفعول لمدة ثلاثين سنة الا إذا عبر علناً عن عدم الرضى عن أي بند قبل سنة على أَقلّ تقدير فانها ستمدد في كل مرة لفترة خمس سنوات.

على كل تحتفظ حكومة الجمهورية الفرنسية بحقها في المغرب كما تحتفظ حكومة صاحب الجلالة البريطانية بحقها في مصر بمراقبة عدم منح امتيازات تعبيد الطرق وانشاء السكك الحديدية وبناء الموانىء البحرية الا على أساس الاحتفاظ بسلطة الدولة كاملة غير منقوصة على هذه المرافق الحيوية الكبيرة ذات المنفعة العامة.

المادة الخامسة

تعلن حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها ستستغل نفوذها كي لا يعامل الموظفون الفرنسيون العاملون في المصالح المصرية معاملة أقل ملائمة من المعاملة المطبقة على الموظفين البريطانيين العاملين في ذات المصلحة.

لن تمانع حكومة الجمهورية الفرنسية، من جانبها، في تطبيق نفس الشروط على الموظفين البريطانيين العاملين حالياً في المصالح المغربية.

المادة السادسة

تعلن حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها تتمسك بالبنود التي تنص عليها معاهدة ٢٩ تشرين الأول سنة ١٨٨٨ وتوافق على وضعها قيد التنفيذ كي تؤمن حرية الملاحة في قناة السويس. ونظراً لكون حرية الملاحة قد أمنت هكذا فيبقى تطبيق الجملة الأخيرة من الفقرة الأولى والفقرة الثانية من المادة الثامنة لتلك المعاهدة معلقاً.

المادة السابعة

لتأمين حرية الملاحة في مضيق جبل طارق توافق الحكومتان على عدم السماح بإقامة أية تحصينات ومعاقل استراتيجية على ذلك الجزء من الشاطىء المغربي الواقع بين مليلة والهضاب المشرفة على الضفة اليمنى لنهر سبو مع عدم شمولهم.

على أية حال لا تطبق هذه الشروط على الأماكن التي تحتلها اسبانيا حالياً على الشاطىء المغربي من البحر الأبيض المتوسط.

المادة الثامنة

أن الحكومتين، مدفوعتين بشعور صداقتهما العميقة نحو اسبانيا، تأخذان بعين الاعتبار المصالح التي تستمدها اسبانيا من وضعها الجغرافي ومن وضع ممتلكاتها على الشاطىء المغربي للبحر الأبيض المتوسط. وبالنسبة لهذه المصالح ستتوصل الحكومة الفرنسية إلى تفاهم مع الحكومة الإسبانية ويبلغ أي اتفاق يتوصل إليه بين فرنسا واسبانيا على هذا الموضوع إلى حكومة صاحب الجلالة البريطانية.

المادة التاسعة

لتأمين تطبيق مواد هذا البيان الحالي المتعلق بمصر والمغرب توافق الحكومتان على تقديم المؤازرة الديبلوماسية بعضهما لبعض.

الملحق الثاني

مواد سرية أضيفت إلى البيان الفرنسي البريطاني

الصادر بتاريخ ٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٤

المادة الأولى

في حال تجد احدى الحكومتين نفسها مضطرة بدافع الظروف لتعديل سياستها المتعلقة بمصر والمغرب تبقى التعهدات التي أخذتاها على عاتقهما بعضهما لبعض في المواد الرابعة والسادسة والسابعة من البيان الحالي على حالها.

المادة الثانية

لا تنوي حكومة صاحب الجلالة البريطانية حالياً تقديم عروض إلى الدول الكبرى بأية تغييرات على نظام الامتياز أو على جهاز القضاء المصري. في حال اعتبارها أن تقديم اصلاحات في مصر أمر مرغوب فيه لوضع نظام التشريع المصري في مصاف الأنظمة المطبقة في البلدان المتمدنة فإن الحكومة الفرنسية لا تمانع في قبول مثل هذه الاقتراحات على

أساس أن توافق حكومة صاحب الجلالة البريطانية على قبول الاقتراحات التي قد تنوي الحكومة الفرنسية اقتراحها بقصد تقديم اصلاحات مماثلة في المغرب.

المادة الثالثة

توافق الحكومتان على أن بعض مناطق الحدود المغربية المجاورة لمليلة وسبتة ومناطق أخرى يجب أن تدخل، عندما يكف السلطان عن ممارسة سلطاته عليها، ضمن منطقة النفوذ الاسبانية، وأن ادارة الشاطىء الممتد من مليلة إلى هضاب الضفة اليمنى لنهر سبو، مع عدم شمولهما، ستوضع تحت الوصاية الاسبانية.

على كل حال يجب أن توافق اسبانية رسمياً مسبقاً على محتويات المادتين الرابعة والسابعة وتتعهد بتنفيذهما.

وعليها أن تتعهد بعدم نقل ملكية الحدود أو بعض هذه الحدود الموضوعة تحت سيطرتها أو الواقعة ضمن منطقة نفوذها.

المادة الرابعة

إذا ما تمنعت اسبانيا عند دعوتها للموافقة على مضمون المادة السابقة ستبقى الاتفاقية المعقودة بين فرنسا وبريطانيا كما ينص عليها الاتفاق الحالي نافذة المفعول.

المادة الخامسة

في حال عدم حصول موافقة الدول الأخرى على مشروع الادارة الوارد في المادة الأولى من الاتفاق الحالي فإن الحكومة الفرنسية لا تمانع في اعادة دفع حصتها من ضمانات الديون المميزة والموحدة بعد الخامس عشر من شهر تموز سنة ١٩١٠.

الملحق الثالث

الاتفاق الفرنسي الاسباني

المعلن في ٣ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٠٤

الموقعان: عن فرنسا دلكاسه وعن اسبانيا ليون يي كاستلو (سفير اسبانيا في فرنسا).

نظراً لتوصل حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالة ملك اسبانيا إلى اتفاق حول ضمانة المصالح الفرنسية وحقوقها المستمدة من ممتلكاتها في الجزائر وحول ضمانة المصالح الاسبانية وحقوقها المستمدة من ممتلكاتها على الشاطىء المغربي، ونظراً لاعلان حكومة جلالة ملك اسبانيا موافقتها على البيان الفرنسي البريطاني الصادر بتاريخ ٨ نيسان سنة ١٩٠٤ المتعلق بمصر والمغرب الذي أبلغ لجلالته بواسطة حكومة الجمهورية الفرنسية، تعلم الحكومة الاسبانية أنها متعلقة تعلقاً تاماً بمبدأ وحدة الكيان للمملكة المغربية.

الملحق الرابع

الاتفاق الفرنسي الاسباني

المعلن في ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٠٤ (المواد السرية)

لم تعرف فقرات البيان السابق السرية (الملحق الثالث) الا عندما نشرتها جريدة الماتان الصادرة بتاريخ ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١١ .

توجز الفقرات السرية الاحدى عشرة التي تضمنها البيان بما يلي :

تقسم منطقة النفوذ الاسبانية إلى شقين : تمتد في الشمال من مرفأ مولوية على البحر الأبيض المتوسط إلى خط يمتد بين مجاري نهري اناون وسبو ومجاري نهري ورقة وكرت ثم ينعطف شمالاً حتى لكوس بطريق جبل مولاي بوشتا ماراً بعدئذٍ على الشاطىء الأطلسي بالقرب من الزرقا (المادة الثانية) .

حددت المنطقة الاسبانية في الجنوب، بالاضافة إلى ممتلكات ريودي أُورو الموصوفة في معاهدة ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٠ ، بواسطة خط في

اتجاه دراع والسوس حتى يصل إلى البحر عند مصب ميزا (المادتان الرابعة والخامسة).

تعهدت اسبانيا أن لا تتخلى، جزئياً أو كلياً، عن سيطرتها على أي من هذه المناطق (المادة السابعة).

وافقت اسبانيا الا تقوم منفردة باجراءات في المنطقة الشمالية بدون استشارة فرنسا أولاً على أن يكون هذا الشرط نافذاً لمدة أقصاها خمس عشرة سنة. تبطل مفعول هذا التعهد الشروط التالية فقط:

١ ـ إذا ما انهارت سلطة السلطان وتلاشى النظام السياسي في المغرب.

٢ ـ إذا ما أصبحت صيانة الوضع الراهن مستحيلة نتيجة عدم قدرة الحكومة الشريفية على حفظ الأمن العام.

٣ ـ إذا ما برهن، لأي سبب آخر خاضع بطبيعته إلى الاتفاقية الفرنسية الاسبانية، أن صيانة الوضع الراهن متعذرة.

يبقى وضع طنجة الدولي على حاله.

كانت هناك أيضاً فقرات تعالج النظام الاجتماعي والاقتصادي مشابهة للفقرات السياسية السرية. أباحت المادتان العاشرة والحادية عشرة التعاون الفرنسي الاسباني في بعض المشاريع التجارية وحرية تداول العملة الاسبانية وبناء المدارس الاسبانية.

الملحق الخامس

أهم نقاط اتفاقية الجزيرة

الموقعة بتاريخ ٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٦

عالج الفصل الأول موضوع الشرطة ونص على:

١ ـ يجب أن توضع الشرطة تحت سلطة السلطان ويعبأ افرادها من سكان ابناء البلاد وتتمركز في «مرافىء التجارة» الثمانية.

٢ ـ يستخدم الضباط الفرنسيون والاسبانيون غير المنتدبين رسمياً، لمساعدة السلطان في تنظيم القوة لمدة خمس سنوات. تخضع التدابير المفصلة لمصادقة السلك الديبلوماسي في طنجة.

٣ ـ على ألا يزيد عدد أفراد الشرطة عن ٥٠٠٠ شخص وألا يقل عن ٢٠٠٠.

٤ ـ أن يؤمن بنك الدولة المخصصات المالية.

٥ ـ أن يكون المفتش العام مواطناً سويسرياً.

٦ ـ سترسل نسخات من تقرير المفتش العام إلى طنجة التي لها صلاحية طلب تقارير منه عند الاقتضاء.

٧ ـ على أن يناقش موضوع معاش المفتش العام.

٨ ـ أن يوقع عقد عمله في طنجة.

٩ ـ أن يكون المفتشون اسبانيين في تطوان والعريش وفرنسيين في الرباط ومختلطين في طنجة والدار البيضاء وفرنسيين في المرافىء الثلاثة الباقية.

عالج الفصل الثاني موضوع تجارة الأسلحة واضعاً انظمة مفصلة. وعلى فرنسا تطبيق هذه الأنظمة على الحدود الجزائرية، وعلى اسبانيا أن تطبقها على حدود المنطقة الاسبانية.

عالج الفصل الثالث موضوع بنك الدولة ـ بنك الدولة المغربية ـ له صلاحية اصدار الأوراق المالية ويعمل بمثابة خزينة للدولة. علاوة على ذلك:

١ ـ له الحق المطلق في القروض القصيرة المدى والأفضلية فيما يتعلق بالشؤون العامة.

٢ ـ قد يقدم، بشروط، قروضاً إلى الحكومة المغربية.

٣ ـ سيأخذ لنفسه صفة بنك الاصدار.

٤ ـ سيحتفظ بحساب منفصل لضريبة خاصة، ٢,٥ بالمئة، توضع على سعر الواردات الأجنبية الأصل.

سيكون البنك خاضعاً للأنظمة الفرنسية وستحدد اتفاقيات لاحقة العلاقة الصحيحة بين البنك والحكومة المغربية. سيكون مركز البنك الاداري في طنجة.

عالج الفصل الرابع بفقرات ثمانٍ موضوع المداخيل والضرائب.

ورد في احدى الفقرات أن على المواطنين الأجانب ضريبة تعرف بـ«ترتيب» وأعطتهم فقرة أخرى حق شراء الأراضي لتشييد الأبنية. عالجت الفقرات الثانوية المشاريع المالية والضرائب، الخ..

وسمحت الفقرة ٦٦ المهمة للحكومة المغربية أن تفرض ضريبة موقتة، ٢,٥ بالمئة، على سعر الواردات الأجنبية الأصل، ويخصص ريع هذا المدخول للأشغال العامة (تخضع العقود لمراقبة السلك الديبلوماسي).

عالجت فقرات الفصل الخامس (٧٧ حتى ١٠٤) شؤون الجمارك عالج الفصل السادس الخدمات والأشغال العامة وقرر:

١ ـ الا تلزم هذه الأمور للمنافع الخاصة.

٢ ـ تحتفظ الدول الموقعة لنفسها بحق السهر على الا تكون الامتيازات الممنوحة لرؤوس الأموال الأجنبية مضعفة لسيطرة الحكومة المغربية على الخدمات العامة الحيوية.

٣ ـ على الحكومة المغربية أن تسلم جميع العقود إلى السلك الديبلوماسي.

٤ ـ للسلك الديبلوماسي حق مراقبة امتيازات التعدين وقلع الحجارة والتحريج وجميع الأمور المتعلقة بنزع الملكية.

عالج الفصل السابع والأخير التدابير العامة المتعلقة بابرام الاتفاقية.

الملحق السادس

معاهدة الحماية الفرنسية في المملكة الشريفية

الموقع عليها في فاس في ٣٠ آذار (مارس) ١٩١٢

بناء على اهتمام حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالته الشريفية بتأسيس حكم منظم في المغرب قائم على السكينة الداخلية والأمن العام والذي من شأنه أن يساعد على ادخال الاصلاحات وضمان نمو البلاد الاقتصادي اتفقت الحكومتان على المواد التالية :

المادة الأولى

اتفقت حكومة الجمهورية الفرنسية مع جلالة السلطان على انشاء نظام جديد في المغرب يسمح بالاصلاحات الادارية والقضائية والتربوية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي ترى الحكومة الفرنسية فائدة في ادخالها إلى المغرب .

وهذا النظام سيحترم الأنظمة الفرنسية ويحافظ على مقام السلطان

ومكانته المعتادة، وتطبيق الدين الاسلامي، وسيصون المؤسسات الاسلامية خصوصاً مؤسسات الأحباس. كما أنه سيتضمن تنظيم «مخزن شريفي» على أساس اصلاحي.

ستتفاوض حكومة الجمهورية الفرنسية مع الحكومة الاسبانية فيما يتعلق بمصالحها المستمدة من موقعها الجغرافي وممتلكاتها المتاخمة على الشاطىء المغربي. كما أن مدينة طنجة ستحتفظ بطابعها المميز المعترف لها به والذي سيحدد نظامها البلدي.

المادة الثانية

يقبل جلالة السلطان، منذ الآن، أن تشرع الحكومة الفرنسية، بعد اعلان المخزن مسبقاً، في الاحتلالات العسكرية التي تراها ضرورية لاستتباب السكينة وتأمين المعاملات التجارية في الأراضي المغربية كما أنه يقبل أن تمارس الحكومة الفرنسية كل إشراف تقوم به الشرطة براً وضمن المياه الاقليمية المغربية.

المادة الثالثة

تتعهد حكومة الجمهورية الفرنسية أن تبذل لجلالته الشريفية تأييداً دائماً ضد جميع الأخطار التي قد تهدد شخصه أو عرشه أو تقلق راحة ولاياته وسيمنح وريث العرش وخلفاؤه من بعده التأييد ذاته.

المادة الرابعة

سيصدر جلالته الشريفية القرارات بالاجراءات التي يتطلبها النظام أو من السلطات التي قد ينيبها عنه، طبقاً لاقتراح الحكومة الفرنسية. ستراعى نفس الطريقة في مسألة القوانين الجديدة وفي تعديل القوانين المعمول بها.

المادة الخامسة

ستمثل الحكومة الفرنسية عند جلالة السلطان بواسطة مندوب مقيم عام، مخول جميع سلطات الحكومة الفرنسية في المغرب، حيث سيسهر على تنفيذ هذا الاتفاق الحالي.

وسيكون المندوب المقيم العام الوسيط الوحيد بين السلطان والممثلين الديبلوماسيين الأجانب وبينهم وبين الحكومة المغربية في العلاقات التي لهم معها. وسيكلف، على الأخص، بجميع الشؤون المتعلقة بالأجانب في المملكة الشريفية. سيخول، باسم الحكومة الفرنسية، سلطة المصادقة ونشر القرارات الصادرة عن جلالته الشريفية.

المادة السادسة

سيكلف ممثلو فرنسا الديبلوماسيون والقنصليون بتمثيل الرعايا المغربيين وحماية مصالحهم في الخارج. ويتعهد جلالة السلطان الا يوقع أي اتفاق ذي صبغة دولية دون موافقة مسبقة من الحكومة الفرنسية.

المادة السابعة

تحتفظ حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالته الشريفية لنفسها بحق تحديد؛ باتفاق متبادل؛ أُسس تنظيم مالي بمضان التزامات الخزينة الشريفيّة وجباية مداخيل المملكة بانتظام مع رعاية الحقوق المخولة لحاملي سندات الديون المغربية العمومية.

المادة الثامنة

يصرح جلالته الشريفية أنه سيمتنع، في المستقبل، أن يعقد، مباشرة أو مداورة، أي قرض، عام أو خاص، أو أن يمنح، بأي شكل من الأشكال،

أي امتياز دون ترخيص من الحكومة الفرنسية .

المادة التاسعة

سيقدم هذا الاتفاق الحالي إلى حكومة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليه وستسلم وثيقة المصادقة المذكورة إلى جلالة السلطان بدون تأخير .

واقراراً بما جاء اعلاه حرر الموقّعان الاتفاق الحالي ووقعاه بختميهما .

فاس ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠ .

الموافق ٣٠ آذار سنة ١٩١٢

توقيع

رينو سفير فرنسا

مولاي عبد الحفيظ سلطان مراكش .

الملحق السابع

قرار الأمم المتحدة المتعلق بالمغرب

الصادر بتاريخ ١٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٢

«نظراً لمناقشة الجمعية العمومية مسألة المغرب المقترحة من قبل الدول الأعضاء الثلاث عشرة في المستند A\12175 .

«ومراعاة لضرورة تنشئة العلاقات الودية بين الدول المرتكزة على مبدئي تساوي الحقوق وحق تقرير مصير الشعوب .

«وباعتبار أنه من واجب الأمم المتحدة، لكونها مركزاً لتنسيق أعمال الدول للوصول إلى الغايات المشتركة ضمن ميثاقها، السعي لازالة جميع أسباب وعوامل عدم التفاهم بين الدول الأعضاء مثبتة بذلك مبادىء التعاون العامة لحفظ السلام الدولي واستقرار الأمن .

«تعبر عن ثقتها بأن الحكومة الفرنسية، تنفيذاً لسياستها المعلنة، ستسعى جاهدة لتأمين حريات الشعب المغربي الأساسية وفقاً لأهداف ميثاق

الأمم المتحدة ومبادئه .

«وتعبِّر عن أملها بأن يتابع الفريقان مفاوضاتهما بصورة مستعجلة نحو تطوير مؤسسات الشعب المغربي السياسية الحرة آخذين بعين الاعتبار الحقوق والمصالح الشرعية المقررة ضمن قوانين الأمم وأعرافها .

«وتناشد الفريقين معالجة علاقاتهما في جو ودي يسوده احترام وثقة متبادلان لتسوية خلافاتهما وفقاً لروح ميثاق الأمم المتحدة متجنبين بذلك القيام بأية أعمال أو اتخاذ أية تدابير من شأنها زيادة حدة التوتر الحالي» .

(الجمعية العمومية، الاجتماع الأربعمئة والسابع، كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٥٢).

الملحق الثامن

قرار الأمم المتحدة المتعلق بالمغرب

الصادر بتاريخ ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٥٣

«نظراً لمناقشة الجمعية العمومية مسألة المغرب المقترحة من قبل الدول الأعضاء الخمس عشرة في المستند A\2406 .

«وباستعادة تذكر قرار الجمعية العمومية رقم ٦١٢ (الملحق السابع) الصادر بتاريخ ١٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٢ .

«وباعتبار أنه كان ولا يزال لدوافع ذلك القرار وأهدافه فضل الاعتراف بضرورة تطوير مؤسسات الشعب المغربي السياسية ،

«وباعتبار أن إضافة هذه الفقرة على محضر جلسة الجمعية العمومية الثامنة تشير بأن تلك الأهداف لم تحقق بعد ،

«واعترافاً بحق تقرير مصير الشعب المغربي وفقاً لميثاق الأمم

المتحدة،

«تجدد الجمعية العمومية مناشدتها لتخفيف حدة التوتر في المغرب وتحثُّ على تأمين حق الشعب المغربي بأن ينال مؤسسات ديمقراطية سياسية حرة».

الملحق التاسع

بيان سيل ـ سان ـ كلود المشترك

المعلن بتاريخ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٥٥

لقد اجتمع جلالة سلطان مراكش، سيدي محمد بن يوسف، والسيد انطوان بينيه، وزير الشؤون الخارجية الفرنسية، في السادس من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٥ في قصر سيل ـ سان ـ كلود.

أوجز السيد بينيه المبادىء العمومية لسياسة الحكومة الفرنسية، كما أشار إليها البلاغ الصادر عن مجلس الوزراء بتاريخ ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥.

لقد وافق جلالة سلطان مراكش على هذه المبادىء وأبلغ، بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية، مجلس العرش، الذي أنشىء بتاريخ ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٥٥ وقدمت استقالته بتاريخ ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥، أن يثابر على ادارة شؤون المملكة حتى عودته إلى الرباط.

أكد جلالة سلطان مراكش رغبته في تأليف حكومة مغربية، تمثل مختلف تيارات الرأي العام المغربي، لادارة شؤون البلاد ولاجراء مفاوضات. ستكلف هذه الحكومة، من بين الأشياء الأخرى، بتقديم اصلاحات قانونية تجعل من المغرب دولة ديمقراطية يحكمها ملك دستوري، وستجري مفاوضات مع فرنسا غايتها تمكين المغرب من تحقيق مركزه كدولة مستقلة مرتبطة مع فرنسا بروابط دائمة محددة ومقبولة بحرية.

وافق جلالة سلطان مراكش والسيد بينيه على التأكيد بأن على فرنسا والمغرب معا بناء، وبدون تدخل فريق ثالث، مستقبلهما معتمدين بعضهما على البعض الآخر بدون انقاص سيادتهما وضامنين حقوقهما وحقوق مواطنيهما ومتمسكين باحترام الالتزامات الممنوحة للدول الأجنبية بواسطة المعاهدات المعمول بها حالياً.

الملحق العاشر

نداء من سان جرمان أن لي

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٣٧٥ ـ ٧ نوفمبر ١٩٥٥

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله .

شعبنا الوفي النبيل ؛

نوجه لك هذا النداء لنعبر لك عما يخالجنا من فرح عظيم بمناسبة رجوعنا القريب لوطننا العزيز بعدما قضينا أكثر من عامين في المنفى . وقد كنا وإياك في المحنة سواء طيلة هذه الغربة نشاطرك آلامك . ونقاسمك آمالك . وكانت الروابط التي تجمعنا بك متينة فلا الأيام ولا بعد المسافات استطاعت أن تنال من ذلك الاتحاد الروحي الذي كان عونا لنا على تحمل آلام الغربة والحنين إلى الأوطان . والذي جعلنا لم نيأس قط من حسن العاقبة والمصير . واستخلصنا من هذه الشدائد عبراً جمة سنسير على ضوئها في عملنا في الحاضر والمستقبل . وها نحن نتأهب للعودة إلى عزيز الأوطان

وقد انقشعت السحب وقويت الآمال. وتلقت الأمة هذا الحادث الميمون بحماس عظيم أعربت عنه آلاف البرقيات والوفود العديدة التي تتوارد علينا بباريس من جميع الأنحاء.

وسنعود إليك أيها الشعب النبيل إن شاء الله ونحن على ما تعهد منا من ايمان قوي وثبات على المبدأ وسهر على مصالح الأمة وعمل على ما فيه خيرها وسعادتها.

ولنا في تأييدك والتفافك حولنا وفي الوعي القومي الذي عم سائر طبقات الشعب بالحواضر والبوادي أعظم مشجع لمتابعة المهمة المقدسة الملقاة على عاتقنا جميعاً. وللوصول إلى الغاية المنشودة الا وهي عهد جديد نتعاون على بناء صرحه وفق مطامحك التي ما فتئنا نذود عنها، ونسعى في تحقيقها.

وفي هذا العهد الجديد الذي سنبين أصوله في خطاب العرش نأمل أن ترفرف راية التسامح والوفاء عالية، وترفل البلاد في ثوب الحرية والاستقلال. وبذلك يزداد الفرد اطمئناناً على نفسه ومصالحه وحرياته كيفما كانت عقيدته وجنسيته.

وعسى أن يكون رجوعنا فرصة لرعايانا وللفرنسيين القاطنين بالمغرب تتيح لهم أن يساهموا في إعادة الثقة إلى النفوس تلك الثقة التي لا بد منها لتوطيد روابط الصداقة بينهم جميعاً.

هذا وقد سرنا ما أبديتموه من أنواع الفرح والابتهاج بنبأ عودتنا، وسيتم سرورنا إن أنتم حافظتم يوم استقبالنا على النظام، وسلكتم سبيل الرزانة والهدوء، كيلا تشوب مظاهر الأفراح شائبة، وينتهي الأمر على أحسن ما يرام.

نسأل الله جل جلاله أن يسدد خطانا ويجعل أعمالنا لصالح الأمة ويجزي العاملين بأحسن ما عملوا.

الملحق الحادي عشر

الحمدلله . . .

بلاغ من سان جرمان أن لي :

لقد أجرينا قبل مغادرتنا العاصمة الفرنسية محادثات مع سعادة روني كوتي رئيس الجمهورية وجناب إيدكار فور رئيس المجلس الوزاري فيما يرجع لمسألة العفو عن المسجونين فأعاراها اهتماماً كبيراً ووعدا ببذل الجهد للحصول على أكثر ما يمكن في هذا الشأن .

ونأمل أن تدابير كهذه سيكون لها وقع حسن وستعين على إعادة الاطمئنان إلى النفوس مما ييسر للحكومة المغربية اجراء المفاوضات لصالح البلاد في دائرة الهدوء والاطمئنان .

الملحق الثاني عشر

الحمد لله . . .

بلاغ من سان جرمان أن لي :

قبل أن نغادر الديار الفرنسية للعودة إلى المغرب نأبى الا أن نصرح بأن مقامنا القصير بها يسَّر أن نقوم بأعمال مفيدة للمغرب ولمستقبل القطرين. وقد اتصلنا بشخصيات فرنسية وضحنا لهم وجهة نظرنا فيما يرجع للعلائق الفرنسية في المستقبل فلاحظنا عندهم حسن تفهم للقضية، وفي ذلك ضمان لتوطيد الصداقة المغربية الفرنسية ونأبى الا أن نوجه للحكومة والشعب الفرنسي جميل شكرنا لاستقبالهم لنا بحرارة وقلب خالص.

الملحق الثالث عشر

ألقي بالرباط
أول خطاب لصاحب الجلالة بعد عودته من فرنسا

الأربعاء ١ ربيع الثاني ١٣٧٥ ـ ١٦ نوفبر ١٩٥٥

الحمد لله وحده

أيها الشعب العزيز . .

حمداً لله على أن جمع شملنا وأذهب حزننا ولم يضع جهودنا .

أيها الشعب الوفي

مهما تمسكتم بالعروة الوثقى ما كان شيء ليضركم كيفما كانت شرته ، إذ لا شرة تدوم في الحياة الدنيا .

أيها الشعب العزيز

وعدت بالاخلاص ووفيت أحسن الوفاء، وكنت من الصابرين فكان

لك ما وعد الله به إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

أيها الشعب العزيز

قد أخلصت الوفاء كما أخلصت ، وأديت الواجب أحسن اداء كما اديت ، وها أنا بينكم كما تعهدوننا ، حب البلاد رائدنا ، وخدمتها غايتنا ،

الحمدلله الذي أذهب عنا الحزن أن ربنا لغفور شكور .

أيها الناس ، أرجوكم أن تنصرفوا في هدوء ونظام صاحبتكم السلامة .

الملحق الرابع عشر

القي بالرباط جوابا على خطاب المقيم

الخميس ٢ ربيع الثاني ١٣٧٥ ـ ١٧ نوفمبر ١٩٥٥

الحمدلله وحده

أننا نهنيكم بالثقة التي وضعتها فيكم حكومة الجمهورية الفرنسية إذ اختارتكم مقيماً عاماً لها بالمغرب، ولا ريب عندنا أن هذه الثقة صادفت محلها لما اتصفتم به من صدق ووطنية مستنيرة وفكر منظم.

ها أنتم تقدمون إلى بلاد فخورة بماضيها متعطشة للحرية والتجديد قد خرجت من أزمة لها صبغة سياسية جديرة بالذكر.

ولتتأكدوا بأنكم ستحظون دائماً لدينا بما تتوقفون عليه من التأييد لازالة أسباب هذه الأزمة وما نتج عنها وللقيام بمأموريتكم السامية أحسن قيام لمصلحة البلدين العليا.

ونؤكد لكم من جانبنا أننا نريد أن نكون ملكاً دستورياً لدولة عصرية ديمقراطية مستقلة.

ومما سيعهد به إلى الحكومة المغربية التمثيلية التي ستشكل في القريب مهمة التفاوض بكامل الحرية مع الحكومة الفرنسية في شأن ماهية علاقة الارتباط والأوفاق الجديدة التي ستبنى عليها العلائق المغربية الفرنسية.

وبصفتكم ممثل فرنسا نرجوكم يا مجادة المقيم العام أن تطمئنوا الفرنسيين القاطنين بالمغرب، وتؤكدوا لهم اهتمامنا بهم وعزمنا على أن نراهم يعيشون في المغرب الجديد الكريم لضيوفه ويسعدون في ظل تعاون مجد مع رعايانا وفي جو من السلم والوئام والسلام.

الملحق الخامس عشر

خطاب العرش
ألقي بالرباط بمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لجلوس العاهل المعظم على عرش اسلافه الكرام

الجمعة ٣ ربيع الثاني ١٣٧٥ ـ ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله.

شعبنا الوفي العزيز،

في هذا اليوم السعيد الذي منَّ الله علينا بنعمتين، نعمة العودة إلى أعز الأوطان بعد طول غيبة وشدة حنين، ونعمة الاجتماع بشعب طالما اشتقنا إليه واشتاق الينا، ووفينا له ووفى لنا بغير حساب. امتحنتنا واياه الشدائد، فلم تنل من عزيمتنا بل خرجنا منها ونحن أقوى ايماناً بحسن مصيرنا، وأكثر وعياً لحقوقنا وواجباتنا.

وفي هذا العيد الميمون، عيد الذكرى الثامنة والعشرين لجلوسنا على

العرش المغربي الأصيل، نوجه إليك ـ أيها الشعب النبيل ـ جرياً على عادتنا المسنونة، خطاب العرش مشيرين فيه إلى بعض مساعينا فيما مضى، باسطين أهدافنا فيما يستقبل.

أنكم على بصيرة من جهودنا المتوالية، للنهوض بالبلاد إلى المستوى اللائق بماضيها المجيد وموقعها الهام خصوصاً في العصر الجديد، فما زعزعتنا العراقل، ولا صدتنا الحوائل، ولا نتردد في المجاهرة بالحق والدعوة إلى تغيير النظام القائم ليتأتى ارضاء المطامح وتلبية الرغائب ثم عاقتنا عوائق ولاقينا خطوباً وأهوالاً، ولكن أبى الله إلا أن تنفرج الأزمة بعد الامتحان وترتفع الموانع وتعود المآذن بذكر الله وحمده تملأ الآفاق، والمساجد بالمؤمنين غاصة والمنابر بالدعاء لنا ولك صادعة.

وهكذا انقلب الكدر الذي صاحبنا يوم الفراق، إلى صفاء واغتباط يوم التلاق، الحمدلله الذي أذهب عنا الحزن أن ربنا لغفور شكور.

فلم نلبث أن استأنفنا عملنا تأدية للمهمة الملقاة على عاتقنا مستنيرين بسديد الآراء، سالكين نهج الحكمة والرشاد.

وقد جرت ونحن في ضيافة فرنسا مذاكرات بيننا وبين حكومتنا حول القضية المغربية في جو من الورد والتفاهم وحسن الاستعداد أفضت إلى اتفاق على المبادىء العليا.

وإلى الحكومة المغربية المقبلة سنسند مهمة التفاوض مع الحكومة الفرنسية، وتلك بشرى يطيب لنا أن نزفها إليك في هذا اليوم الميمون، بشرى انتهاء عهد الحجر والحماية، وبزوغ فجر الاستقلال والحرية.

فهذا أوان تضافر الجهود، لبناء صرح العهد الجديد الذي نحن عليه مقبلون، عهد يتطلب التجديد في العوائد والمؤسسات والحكم وأساليبه كما

يتطلب تحرير الفرد ليتمكن من التعبير عن آرائه آمنا مطمئناً.

وبذلك كله ترتقي البلاد إلى درجة الاستقلال الذي نشدناه لا لكونه فحسب حقاً طبيعياً للشعوب صغيرها وكبيرها، ضعيفها وقويها، بل أيضاً لأنه الوسيلة التي تمكن الشعب من التمتع بأطيب الثمرات التي انتجتها الحضارة العصرية والتطورات العالمية من تحرير قومي، وتعميم الحريات الديمقراطية، واعتراف بحقوق الانسان طبقاً للتصريح العالمي الشهير وقضاء على كل ميز عنصري.

وينبغي أن لا يفهم من الاستقلال الذي ينشده شعبنا أننا نقصد الانفصال عن فرنسا، فالصداقة بين بلدينا متأصلة قديمة العهد، ولم يغب عن ذهننا أنه بفضل تلك الصداقة والمنجزات الفرنسية في مختلف الميادين أمكن المغرب أن يقطع مراحل مهمة في طريق التقدم.

ونحن نعتمد على معونة فرنسا لبناء عهد جديد يكون الارتباط معها عنصراً من عناصره الأساسية وستكون الخطوة الأولى بحول الله تأسيس حكومة عصرية مسؤولة تعبر تعبيراً حقيقياً عن ارادة الشعب سنقلدها ثلاث مهمات تباشرها في آن واحد.

مهمة تدبير شؤون البلاد.

ومهمة وضع أنظمة ديمقراطية على أساس الانتخاب وفصل السلطة في اطار ملكية دستورية قوامها الاعتراف لجميع المغاربة على اختلاف عقائدهم بحقوق المواطن وبالحريات العامة والنقابية.

ومن البديهي أن يهود المغرب هم كجميع المواطنين المغاربة متساوون في الحقوق والواجبات وهذا النظام الديمقراطي ينبغي أن يحقق للجميع حياة رفاهية وسعادة، ويقي المواطنين غائلة الخوف وعادية الظلم

الفرنسيين ساهموا في تطور المغرب على وجه العموم وفي تنمية اقتصاده على وجه الخصوص الشيء الذي يتعين اعتباره.

ويسرنا ما لاحظنا في جلهم من حسن التفهم لما أحدثته تطورات العالم فيما بعد الحرب، فاقتنعوا بضرورة تلبية رغبة شعبنا في التمتع بالحرية والاستقلال، ونريد أن يطمئنوا جميعاً على مستقبلهم بهذه الديار، فقد كنا وما زلنا نؤكد استعدادنا لضمانته ضماناً يطمئنون به على حقوقهم ومصالحهم وأحوالهم الشخصية دون أن يكون في ذلك مساس بالسيادة المغربية.

ولنا الأمل في أن يسيروا يداً في يد مع رعايانا لتتميم نهضة المغرب على وجهها الأكمل في صالح الجميع، وبذلك ستتوثق أواصر الود بين المغاربة والفرنسيين وتتمكن الصداقة بين البلدين.

والآن وقد تجلت أهدافنا، يجب عليكم أن تتمسكوا بحبل الآخاء، وتجتنبوا ما يؤدي إلى التفرقة والبغضاء، إذ لا نجاح يرجى الا بصفاء القلوب، وتوحيد الصفوف حتى نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

وليكن رائدكم خدمة الصالح العام، والذود عن المبادىء الوطنية العليا، وانا ننتهز فرصة هذا الحفل العظيم لنشيد بذكر كل من أمدنا بعطفه وحسن مؤازرته فله منا جزيل الشكر وجميل الثناء.

ابقانا الله لشمل الأمة جامعين، ولمصالحها حافظين ولخيرها ساعين.

الفرنسيين ساهموا في تطور المغرب على وجه العموم وفي تنمية اقتصاده على وجه الخصوص الشيء الذي يتعين اعتباره.

ويسرنا ما لاحظنا في جلهم من حسن التفهم لما أحدثته تطورات العالم فيما بعد الحرب، فاقتنعوا بضرورة تلبية رغبة شعبنا في التمتع بالحرية والاستقلال، ونريد أن يطمئنوا جميعاً على مستقبلهم بهذه الديار، فقد كنا وما زلنا نؤكد استعدادنا لضمانته ضماناً يطمئنون به على حقوقهم ومصالحهم وأحوالهم الشخصية دون أن يكون في ذلك مساس بالسيادة المغربية.

ولنا الأمل في أن يسيروا يداً في يد مع رعايانا لتتميم نهضة المغرب على وجهها الأكمل في صالح الجميع، وبذلك ستتوثق أواصر الود بين المغاربة والفرنسيين وتتمكن الصداقة بين البلدين.

والآن وقد تجلت أهدافنا، يجب عليكم أن تتمسكوا بحبل الآخاء، وتجتنبوا ما يؤدي إلى التفرقة والبغضاء، إذ لا نجاح يرجى الا بصفاء القلوب، وتوحيد الصفوف حتى نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

وليكن رائدكم خدمة الصالح العام، والذود عن المبادىء الوطنية العليا، واننا ننتهز فرصة هذا الحفل العظيم لنشيد بذكر كل من أمدنا بعطفه وحسن مؤازرته فله منا جزيل الشكر وجميل الثناء.

ابقانا الله لشمل الأمة جامعين، ولمصالحها حافظين ولخيرها ساعين.

الملحق السادس عشر

اعلان استقلال المغرب نص التصريح المشترك

بتاريخ ٢ آذار (مارس) سنة ١٩٥٦

أن حكومة الجمهورية الفرنسية، وصاحب الجلالة محمد الخامس سلطان المغرب، يؤكدان عزمهما على تنفيذ تصريح سيل ـ سان ـ كلود الصادر بتاريخ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٥٥. أنهما يلاحظان، بالنظر للتقدم الذي أحرزه المغرب في طريق التطوّر، أن معاهدة «فاس» الموقعة بتاريخ ٣٠ آذار (مارس) سنة ١٩١٢، لم تعد ملائمة لضرورات الحياة العصرية وغير كافية لتحديد العلاقات الفرنسية المغربية. ومن ثم فإن حكومة الجمهوريّة الفرنسية تؤكد علناً اعترافها باستقلال المغرب الذي يقتضي ايجاد جيش وسلك دبلوماسي، كما تؤكد عزمها على احترام، والسعي لجعل الغير يحترم، سلامة الأراضي المغربية التي تضمنها الاتفاقات الدولية.

أن حكومة الجمهورية الفرنسية، وصاحب الجلالة محمد الخامس سلطان المغرب، يعلنان أن المفاوضات التي افتتحت في باريس بين فرنسا والمغرب، الدولتين المستقلتين المتساويتين، تهدف إلى اتفاقات جديدة تحدد علاقات البلدين المتشابكة في ميادين مصالحهما المشتركة، وستنظم هكذا تعاونهما على أساس من الحرية والمساواة، وخاصة فيما يتعلق بشؤون الدفاع والعلاقات الخارجية والمسائل الاقتصادية والثقافية، وستضمن حقوق وحريات الفرنسيين المقيمين في مراكش والمراكشيين المقيمين في فرنسا، مع احترام سيادة الدولتين في هذا الشأن.

أن حكومة الجمهورية الفرنسية وصاحب الجلالة محمد الخامس سلطان المغرب يوافقان على أن العلاقات الجديدة بين فرنسا والمغرب، حتى وضع هذه الاتفاقية قيد التنفيذ، ستعتمد على تدابير البروتوكول المرفق لهذه الاتفاقية الحالية.

وضع هذا التصريح في باريس في نسختين أصليتين في الثاني من آذار سنة ١٩٥٦.

الامضاء

كريستيان بينيه، المبارك بكاي

الملحق السابع عشر

البروتوكول المرفق

١ ـ أن السلطة التشريعية يمارسها كاملة، صاحب الجلالة السلطان. ويأخذ ممثل فرنسا في مراكش علماً بالقرارات والمراسيم. ثم يبدي ملاحظات عندما تكون هذه القرارات والمراسيم ذات علاقة بمصالح فرنسا والفرنسيين والأجانب أثناء المرحلة الانتقالية.

٢ ـ لصاحب الجلالة محمد الخامس سلطان المغرب أن ينشيء جيشاً وطنياً وتقدم فرنسا مساعدتها للمغرب لانشاء هذا الجيش. يبقى وضع الجيش الفرنسي في المغرب على حاله أثناء المرحلة الانتقالية.

٣ ـ أن السلطات المحتفظ بها حتى الآن ستكون موضوع انتقال تنشر تفاصيله في بيان مشترك. تمثل الحكومة المغربية بصوت نافذ في لجنة منطقة الفرنك، الهيئة الادارية المركزية للسياسة المالية في منطقة الفرنك، ومن جهة ثانية، أبقي على الضمانات التي يتمتع بها الموظفون والوكلاء الفرنسيون العاملون في المغرب.

٤ ـ أن ممثل الجمهورية الفرنسية في المغرب يحمل لقب «المفوض السامي» .

وضع هذا البروتوكول في باريس في نسختين أصليتين في الثاني من آذار سنة ١٩٥٦ .

الامضاء

كريستيان بينيه

المبارك بكاي

الملحق الثامن عشر

ألقي بباريس
على العملة المغاربة القاطنين بفرنسا

الأحد ٢١ رجب ١٣٧٥ ـ ٤ مارس ١٩٥٦

الحمدلله وحده

أيها العملة الأعزاء،

نحن سعداء باقتبالكم. كما نحن سعداء بزيارتكم في هذه الظروف السعيدة التي تحصل فيها بلادنا العزيزة على حريتها واستقلالها مع بقائها محافظة على صداقتها لفرنسا التي اعترفت لها بسيادتها.

ويسرنا أن نزف هذه البشرى العظيمة للمغاربة المقيمين هنا قبل أن نزفها لاخوانهم بالمغرب.

وأن المغرب الجديد في حاجة إلى العمل في جميع ميادين الحياة

فاعملوا بجد واجتهاد. واتحدوا وحافظوا على النظام في حياتكم واعمالكم ليكون المغرب ان شاء الله مفتخراً برجاله.

أعانكم الله وأرشدكم والسلام.

الملحق التاسع عشر

ألقي بمطار أورلي قبل مغادرة صاحب الجلالة التراب الفرنسي عند رجوعه إلى عاصمة ملكه

الاثنين ٢٢ رجب ١٣٧٥ ـ ٥ مارس ١٩٥٦

الحمدلله وحده

يسرنا قبل مغادرة التراب الفرنسي، أن نعبر لفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية، وللحكومة الفرنسية ولكافة شعب فرنسا عن تشكراتنا على حسن اقتبالهم لنا وكرم ضيافتهم. ويلذ لنا كذلك أن نبدي ابتهاجنا للنتائج العظيمة التي حصلنا عليها بفضل تفهم الدولة الفرنسية حكومةً وشعباً لمطامحنا حتى تـم الاتفـاق بيننـا واعتـرف بـاستقلالنـا وذلـك شـأن هـذا الشعـب الكـريـم الـذي يتلخص تاريخه في نشر فكرة الحرية والدفاع عنها، وما هذه المرحلة الا مرحلة أولى في المفاوضات ستتلوها مرحلة درس نقط الترابط بين بلدينا، ولنـا اليقيـن أن سير المفـاوضـات فـي المـرحلـة الثـانيـة سيكـون مشبعـاً بنفس

التفهم الذي ساد المرحلة الأولى حتى نبني مستقبل علائقنا كدولتين حرتين متساويتين على أسس متينة مرتكزة على الصداقة والمحبة مما سيجعل كل العناصر المتساكنة بالمغرب تعيش في أمن وهناء متمتعة بكل حقوقها مطمئنة على مصالحها المادية والمعنوية.

الملحق العشرون

ألقي بالرباط بمناسبة اعلان استقلال المغرب

الأربعاء ٢٤ رجب ١٣٧٥ موافق ٧ مارس ١٩٥٦

الحمدلله .

رعايانا الأوفياء،

قبل أن نوجه إليكم الخطاب في شأن ما رحلنا من أجله إلى ديار فرنسا ينطلق لساننا بالحمد الكثير، والشكر الجزيل، للواحد العلي القدير، الذي حبانا عنايته، ورعايته، وأولانا توفيقه وتسديده، فكلَّل تضحياتنا وجهودنا جميعاً بالنجاح، وأفاء علينا ما كنا نتوق له من حرية وسيادة واستقلال.

أنكم تعلمون آننا سافرنا إلى فرنسا ومن ورائنا دولة محجورة، تتساءل عن مصيرها، ومتى يتحقق ذلك الوعد الذي قطع لها بشأن حريتها واستقلالها عقب عودتنا من منفانا والآن قد رجعنا من تلك الرحلة الميمونة إلى الوطن العزيز، وإلى شعبنا المتلهف المنتظر، وقد اعترفت فرنسا

للمغرب باستقلاله والتزمت بضمان وحدة ترابه والعمل على احترام هذه الوحدة كما اعترفت بحقه في التمتع بسيادته الكاملة، وها قد دخلنا في طور التنفيذ والتحقيق وتسلمنا مقاليد تسيير الأمور بأنفسنا، ومن مظاهر ذلك تحرر السلطة التشريعية مما كانت مقيدة به، كما أن تكوين جيش وطني أصبح في قبضتنا والتمثيل الديبلوماسي في يدنا ومعقوداً بعزمنا، وبتحصيلنا على ذلك تبددت الشكوك ووضح ما كان غامضاً، وخرجنا من طور التساؤل والرجاء إلى مرحلة اليقين في شخصية بلادنا والاطمئنان على مصيرها. فنحمده ونشكره جلت قدرته على هذا التوفيق في المساعي والنجاح في بلوغ الأماني.

وازاء هذا يتحتم أن لا يغيب عن اذهاننا جميعا أن ما احرزنا عليه من مقومات السيادة والاستقلال يكلفنا اعباء ثقيلة، ومسؤوليات جسيمة.

يكلفنا الاتزان والتبصر في شؤوننا صغيرها وكبيرها ويقتضينا أن لا نُخِلّ بما لنا من حقوق أو بما علينا من واجبات ويتطلب منا أكثر من ذلك كله العزم الذي لا يكل، والارادة التي لا تلين في حفظ كيان الدولة سواء بالسهر على سلامة ترابها ووحدته، إو بالسعي لتبوؤها المقام اللائق بها بين دول العالم وأممه. ولن يتحقق لنا هذا الا إذا كان رائدنا في جميع حركاتنا وسكناتنا خدمة الوطن، وهدفنا السعي وراء مصالحه.

ويتطلب منا هذا الاستقلال إلى ذلك مسؤوليات كبرى فنحن مستهدفون لحكم العالم في كل عمل صدر منا. ولذلك يجب أن تترعرع هذه الدولة الفتية وتشب وروح العمل المشترك روحها والنظام طريقتها والأمن والركون إلى الهدوء ومجانبة الفتن. كل ذلك شميتها وطابعها فسنصبح مسؤولين عن الأمن في ربوع المغرب، وعلى حكومتنا سيقع واجب الدفاع عن أمن ومصالح جميع من بين ظهرانينا من السكان، على مختلف العقائد

والأجناس. وأن الدولة المغربية لا تسمح بانتهاك حرمتها أو النيل من نفوذها وسلطتها.

لا سيما وللبلاد نظام حكم شرعي هو منبع كل سلطة وتشريع فكل اخلال بالأمن يعد خروجاً على ذلك النظام وسلطته لأنه ليس في مصلحة البلاد ومهدد لدوام كيانها وبغير هذه الأركان الضرورية والدعائم الأساسية التي لا تقوم لأي دولة قائمة دون الارتكاز عليها. لا يسوغ لنا أن ندعي أننا نستطيع تحمل أية مسؤولية أمام أنفسنا فضلا عن أن نتطلع إلى تحمل مسؤوليات أمام غيرنا من الدول.

رعايانا الأوفياء،

تعلمون أن فرنسا قد اعترفت لنا بالاستقلال، وأن المفاوضات ما زالت جارية بين حكومتها وحكومتنا في تحديد الترابط بين دولتينا، وليس في هذا الترابط تنقيص من استقلالنا أو مس بكرامتنا. بل هو عنوان من عناوينه، والدول ـ وحتى الكبرى منها لا غنى لها عن الترابط فيما بينها. والتساند في ميادين شتى من أمورها وتلك ميزة من ميزات العلائق بين الدول في عهدنا. والعلاقات الانسانية الآن سائرة إلى التضامن والتكافل لأن ذلك وسيلة لتبادل المنافع والمصالح ولتثبيت دعائم السلم في العالم. أما الترابط بين المغرب وفرنسا فسيتم على قدم المساواة بين دولتين حرتين مستقلتين. وذلك في دائرة المحافظة على سيادة الدولتين ومصالح الأمتين.

ونحن إذ نؤكد هذا الفوز لا نجازف بالكلام لأننا لمسنا تفهما من الحكومة الفرنسية لرغائب المغرب المشروعة واقتناعا بضرورة تحقيق مطامحه وما كنا في الحقيقة ننتظر غير ذلك من أمة عرفت الحرية. وبشرت بها. وناضلت عنها ولقد كانت جميع المظاهر التي حفت بنا ونحن في تراب

فرنسا ألسنة ناطقة بما نعرفه عن كرم الشعب الفرنسي. وهذا يجعلنا لا نرتاب في أن نفس هذه الروح هي التي ستسود فيما سنستقبله في مفاوضاتنا. ونأمل أن تصطبغ بذلك علاقات فرنسا المغرب مع رعايانا. وما نسينا في يوم من الأيام أن هؤلاء شاركوا في ازدهار المغرب وتطوره فلن ننسى اليوم أن لهم علينا حق ضمان مصالحهم وحرياتهم ومستقبلهم فيه. ونود أن يتابعوا معهود نشاطهم في جو من الصداقة والوئام مع أهله. وهو الجو الذي يتعين أن يسود بين جميع عناصر سكان المغرب مواطنين وغير مواطنين.

رعايانا الأوفياء،

أننا لنشعر بعد هذا البيان أن كل ما قمنا به وحققناه سواء في هذه الرحلة أو قبلها سيظل عملاً ناقصاً. وجهداً فاشلاً ما دام تراب وطننا مفكك الأوصال مبعثر الأجزاء. مختلف الأنظمة والأوضاع. لا تجمعه وحدة سياسة أو انسجام في الاتجاه. وذلك بالرغم عن وعي أهله ونضج سكانه وتطلعهم إلى جمع شتاته. وهم الموحدون تحت ظل راية واحدة. وعرش واحد. واحساس واحد. ومغربية يعضون عليها بالنواجذ، وأن هذا ليحدونا أن نجعل في طليعة ما سنقوم به. العمل على توحيد هذا التراب المقدس ورد الأشياء إلى نصابها. والمياه إلى مجراها. واعتمادنا في ذلك انما هو على الله أولا، ثم على معونة الشعب المغربي، وحسن استعداد الدول الصديقة.

وقد فوجئنا بخبر وقوع حوادث دامية بالمنطقة الشمالية ذهب ضحيتها عشرات من الأبرياء وذلك من جراء التدابير التي اتخذتها الشرطة الاسبانية لقمع مظاهرات سلمية أقامها السكان ابتهاجاً باعلان استقلال المغرب وبمجرد ورود هذه الأنباء التي كان لها وقع سيء في مختلف الأوساط المغربية أمرنا باجراء اتصالات مع القنصلية الاسبانية بالرباط وتنبيهها إلى خطورة الحالة والاستياء الذي يسود الرأي العام هنا ولنا اليقين أن يتغلب

التبصر والحكمة ويعمل المسؤولون هناك على تلافي ما قد ارتكب من الأخطاء حتى يعود الاستقرار إلى تلك المنطقة العزيزة لدينا وتستمر العلائق الودية بيننا وبين جارتنا على أحسن حال.

ونأمل أن تكون معونتكم لنا بالمحافظة على الأمن والتزام النظام. فالأمن الأمن والنظام النظام.

فبدونهما لن يكون لعلمنا أو عمل حكومتنا المتمتعة بثقتنا ثمرة ملحوظة أو جدوى.

ولطالما نبهناكم إلى الاتحاد فيما بينكم. فإلى هذه الفضيلة ندعوكم. لأن خير البلاد في الاتحاد. والعدول عن كل ما من شأنه أن يفرق بين الجماعات أو الأفراد. فاعتصموا بحبل الله. والتفوا حول عرشكم. وحول ملك جعل غايته من الحياة الذب عن مصالحكم. وتوفير كرامتكم حتى يعصمكم بحول الله من الفقر والجهل. ومن المرض والخوف وحتى يرى منكم المثل السامي لمجتمع سليم سعيد وأمن قوي عزيز.

ولقد عودتمونا أيها الرعايا الأوفياء من ثقتكم ومحبتكم ما كان لنا عونا في السراء والضراء فلنعد لشكركم على هذه الثقة وهذه المحبة ـ وهما عمدتنا فيما نقوم به من جهود لتحقيق مصالحكم.

وليكن مسك الختام. شكر الله العظيم الذي نستمد منه التوفيق والتأييد والسلام.

الملحق الواحد والعشرون

ألقي بالرباط
قبيل سفر صاحب الجلالة إلى مدريد لفتح المفاوضات المغربية الاسبانية

الثلاثاء ٢١ شعبان ١٣٧٥ ـ ٣ ابريل ١٩٥٦

الحمدلله

رعايانا الأوفياء

أن الاستقلال الذي احرزناه بعد كفاح طويل مرير يجعلنا الآن أمام واجب مقدس لا يقبل منا أي تقصير ولا أي تباطؤ في القيام بأعبائه. وهذا الواجب هو السعي لتوحيد الأراضي المغربية وإزاحة الفواصل والحدود المصطنعة بينها حتى يكون الوطن واحداً والسيادة واحدة وحتى يقوم بيننا وبين سائر رعايانا اتصال وثيق متين لا يشوبه أي ميز في الوضعية ولا أي شذوذ في النظام.

وكيف لا نحرص على وحدة الأمة والوطن ونجعل منها شغلنا الشاغل

ونحن نعلم أن المغرب لم يعرف خلال تاريخه العريق الطويل أي تجزئة في أراضيه وأن ما مني به من ذلك في هذا القرن لم يقبله الشعب المغربي عن طواعيةٍ واختيار. وانما جاء نتيجة لسياسة دولية تغاضت عن حقوقه ولم تراع عدلا في معاملته. وغير خاف ما جرته هذه التجزئة على الوطن المغربي من عواقب كان لها أسوأ الأثر في حياة الأمة المادية والمعنوية ولقد كنا نؤمن دائماً وثيق الايمان أن الاستقلال لن تكون له قيمة الا يوم يسترد المغرب وحدته الطبيعية الأصيلة ويستطيع ابناؤه التنقل في ربوعه دون أن يقف في طريقهم حاجز ويكون لحريتهم قيد. بل ان الاستقلال كان دائما مقترنا في فهمنا بالوحدة. تلك الوحدة التي جعلتنا نولي نفس الاهتمام بجميع اجزاء الوطن ومصيرها دون اي تمييز بينها. ولقد عبرنا عن ايماننا هذا غير ما مرة وأفصحنا عنه بوضوح كامل في الخطاب الذي ألقيناه بمناسبة افتتاح المفاوضات مع حكومة فرنسا.

وها نحن أولاء نتأهب اليوم للقيام برحلة إلى اسبانيا للاتصال بحكومتها من أجل الاعتراف باستقلال المغرب ووحدة ترابه والتفاوض معها على قدم المساواة فيما سيكون عليه التعاون بين دولتينا المستقلتين. فلا يغب عن اذهانكم ما لهذا السفر من أهمية وما سيكون له من الأثر العميق في مغرب الغد. وأنه لمرحلة من المراحل الحاسمة في تاريخنا.

وإذا كان لنا أمل قوي في نجاح مساعينا. فما ذلك الا لأننا مؤمنون بصداقة الشعب الاسباني. تلك الصداقة التي تجلت طوال السنين الأخيرة في الموقف النبيل الذي وقفته حكومة اسبانيا دفاعاً عن العرش المغربي والسيادة. فنحن لا ننسى تضامن رجالها المسؤولين سواء في اسبانيا أو في المغرب خلال تلك الأزمة الكبرى التي عاناها الشعب المغربي.

وليس هذا ببدع من شعب تربطنا به أواصر التاريخ والجوار وتجمعنا

معه حضارة مشتركة كانت وما زالت مفخرة من مفاخر الأجيال وطوراً اساسياً من أطوار تقدم بني الانسان. ولقد شاءت حكمة العزيز القدير أن تحفظ بعض مآثر هذه المدنيَّة الزاهرة لتدل على ما كان لأسلافنا من أعالي الهمة ورفيع الشأن ولتكون في متانتها وعظمتها كرمز للصداقة بين البلدين.

وأن اعتزاز اصدقائنا الاسبان بهذا الماضي المشترك ـ وهو لا يقل عن اعتزازنا به ـ ليبعث في نفوسنا ثقة قوية في مستقبل العلاقات الاسبانية المغربية.

رعايانا الأوفياء،

تلك هي أهدافنا. وهذه الآن هي وجهتنا. ولا يسعنا الا أن نشكر الله تعالى على ما ألهمنا من حسن التوفيق ونستمد منه العون والسداد لبلوغ المرام في جو يسود فيه الهدوء والاستقرار فنهيب بك أيها الشعب الوفي أن تكون خير عون على تثبيت هذا الهدوء وتمكينه. وبذلك سيتسنى لنا أن نواصل ما نقوم به من مجهودات لتتويج مهمتنا التحريرية بتوحيد أراضي الوطن ونحن مطمئنون على أحوالك. شاعرون منك بأن عهد القلق والحيرة قد ولى وأن عهد الأمل والعدل قد أتى.

فتمسك باتحادك إذ به ستبني مستقبلك على خير أساس واجتنب دواعي التفرقة عملا بقول الكبير المتعال. ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾. وفقنا الله لما فيه رضاه وصلاحنا وصلاح الأمة جمعاء والسلام.

الملحق الثاني والعشرون

ألقي بالرباط قبل امتطاء جلالة الملك الطائرة التي أقلته إلى اسبانيا لتدشين المفاوضات المغربية الاسبانية

الأربعاء ٢٢ شعبان ١٣٧٥ ـ ٤ ابريل ١٩٥٦

الحمدلله

يسرنا ونحن على أهبة السفر لتتميم استقلال بلادنا بتحرير شطرها الشمالي، وتوحيد تراب الوطن، ورفع الحواجز المصطنعة بين أطراف مملكتنا، أن نعرب عن أملنا في النجاح في هذه المهمة، وان تتوج مفاوضاتنا مع اسبانيا التي تربطنا وإياها روابط متينة، بمثل النجاح الذي كللت به مفاوضاتنا مع فرنسا، التي أظهرت من حسن الاستعداد، ومن سعة الفكر، ما استحقت من أجله كل ثناء وتقدير، حتى صارت الصداقة المغربية الفرنسية، أمراً واقعياً محسوسا، وذلك بفضل تفهم الشعب الفرنسي وحكومته، وبفضل المجهودات الحميدة، التي بذلها. وما زال يبذلها

صديقنا المندوب السامي المسيو دبوا، ومما يُقوّي أملنا في الحصول على النتيجة المرغوبة مع الدولة الاسبانية، ما كان لحكومتها ولرئيسها الجنرال فرانكو، من مواقف شريفة في قضيتنا، لا ينساها التاريخ.

الملحق الثالث والعشرون

ألقي بمدريد بمناسبة افتتاح المفاوضات المغربية الاسبانية

الخميس ٢٣ شعبان ١٣٧٥ الموافق ٥ ـ ابريل ١٩٥٦

الحمدلله وحده

فخامة رئيس الدولة الاسبانية

أن هذه اللحظة السعيدة التي نعيشها معاً لتعد من الأحداث التي سيكون لها شأن في تاريخ علاقات بلدينا. ولا غرو فقد كنا دائماً نأمل أن يقع هذا اللقاء لما نتوسم فيه من الخير العميم للأمتين. ولا يسعنا هنا الا أن نشكر لكم عواطفكم النبيلة التي أوعزت لكم باتاحة هذه الفرصة التاريخية النادرة والتي سبق لها أن تجلت في مواقف صريحة ما زلنا نذكرها ونعترف بجميلها. ونحن نقوم بهذه الزيارة نود أن تكون فاتحة عهد جديد للعلاقات بين دولتينا. ونأبى الا أن نؤكد مرة أخرى ما نعلقه من أهمية على صداقة اسبانيا وحسن جوارها. فالمغرب في عهده الجديد يرى كل خير وفائدة في التعاون معها وتبادل المنافع والمصالح التي ستجني من ورائها الامتان أحسن

الثمار. ولذلك فنحن راغبون في اجراء مفاوضات معكم لتنظيم هذا التعاون على أساس من احترام سيادة البلدين واستقلالهما. وغني عن البيان أن علاقتنا الجديدة ستبنى على أمتن الأسس وأثبتها إذا ما تحققت مطامح الأمة المغربية في الوحدة تلك الوحدة. التي تضمنها المعاهدات ضماناً صريحاً. وغير خاف ما خلفته تجزئة الأرض المغربية إلى مناطق من المصاعب والمشاكل المادية والمعنوية في حياتنا السياسية والاقتصادية ونحن متيقنون بأن اسبانيا التي وقفت بجانب المغرب في أحرج الأوقات ستلبي هذه الرغبة لما عهدناه فيها من أريحية وشمم. وأن المغاربة لينتظرون بتلهف من هذا الاجتماع التاريخي أن يزيل من داخل أرضهم تلك الحدود والفواصل التي هي رمز لعهد قد تصرَّم. عهد الحجر والحماية. وأن الاعتراف بوحدة التراب المغربي في دائرة الاستقلال لا يتنافى مطلقاً مع احترام مصالح اسبانيا والاسبانيين المستوطنين بالمغرب. فنحن حريصون على رعايتها مستعدون لتقديم الضمانات اللازمة للاسبانيين القاطنين ببلادنا وعلى صيانة أرواحهم وأموالهم وحرياتهم مستهدفين من وراء ذلك إلى اقرار تساكن ودي لا يمس بسيادتنا الوطنية. وخير ما تبنى عليه علاقتنا المقبلة هو الثقة المتبادلة بين بلدينا. ونحن عندما نلقي نظرة على الماضي نجد عوامل كثيرة لهذه الثقة ولا بد أن نعتبر قبل كل شيء ما بين البلدين من روابط تاريخية عريقة في القدم وما يعتزان به من تراث حضاري مشترك له أثره الفعال في التقارب بين شعبينا والتمازج بين عقليتيهما. ولقد تجلى هذا التقارب في عدة مناسبات ولنا فيه أقوى الدلائل على ما سيؤدي إليه التعاون الحر بين الدولتين من النتائج السارة المرضية. وليس ببعيد ذلك اليوم الذي ستحف فيه بحوض البحر الأبيض المتوسط دول قوية بتعاونها وتضامنها متناصحة فيما بينها ساعية لبناء حضارة تستند على التوازن بين القيم الروحية والأسس المادية وبين

احترام تراث الأجداد والتفكير في التجديد والانشاء. فما علينا الا أن نعمل بجد واخلاص في سبيل تحقيق هذه الأهداف السامية والسلام.

الملحق الرابع والعشرون

ألقي بمدريد
نص التصريح المشترك المغربي الاسباني

السبت ٢٥ شعبان عام ١٣٧٥ الموافق ٧ ابريل سنة ١٩٥٦

الحمدلله . .

أن جلالة محمد الخامس ملك المغرب والحكومة الاسبانية رغبة في أن يعامل كل منهما الآخر معاملة ودية خاصة على أساس التبادل، وسعياً في تقوية روابط صداقتهما القديمة وتدعيم السلام في الناحية التي تقع فيها بلداهما، اتفقا على اعلان التصريح التالي :

أولاً : أن جلالة محمد الخامس ملك المغرب والحكومة الاسبانية نظراً لكون النظام الذي أسس في المغرب سنة ١٩١٢ لم يبق ملائماً لحقيقة الواقع صرحاً : أن الاتفاقية الممضاة بمدريد بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩١٢ لم تعد صالحة لضبط العلاقات بين اسبانيا والمغرب .

ثانياً: وبناء على ذلك فان الحكومة الاسبانية تعترف باستقلال المغرب الذي أعلنه صاحب الجلالة محمد الخامس وسيادته التامة مع كل لوازمها وفي ضمنها ديبلوماسية وجيش خاصان، كما تجدد عزمها على احترام وحدة تراب المملكة المغربية التي تضمنها المعاهدات الدولية وتتعهد أيضاً باتخاذ التدابير اللازمة لتحقيقها، كما أن الحكومة الاسبانية تلتزم بتقديمها لجلالة الملك الاعانة والمساعدة التي يتفقان على اعتبارها واجبة، وبالأخص فيما يهم العلاقات الخارجية والدفاع.

ثالثاً: أن الغاية من المفاوضات المفتتحة بمدريد بين الحكومة الاسبانية وجلالة محمد الخامس هي ابرام أوفاق جديدة بين دولتين متساويتين متمتعتين بسيادتيهما وذلك قصد تحديد تعاونهما تعاوناً حراً في الميادين التي لهما فيها مصالح مشتركة، ومن شأن هذه الاتفاقات ضمان حريات وحقوق الاسبانيين المقيمين بالمغرب والمغاربة القاطنين باسبانيا سواء في المسائل الشخصية أو الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وذلك وفق روح الصداقة الخاصة الآنفة الذكر وعلى أساس المبادلة واحترام سيادة كل منهما.

رابعاً: اتفق صاحب الجلالة محمد الخامس ملك المغرب والحكومة الاسبانية على أن تكون العلاقات بين اسبانيا والمغرب خاضعة لنصوص البروتوكول المضاف لهذا التصريح إلى أن يجري العمل بالأوفاق المذكورة.

الملحق الخامس والعشرون

ألقي بمدريد
نص البروتوكول الاضافي

السبت ٢٥ شعبان عام ١٣٧٥ الموافق ٧ ابريل سنة ١٩٥٦

الحمدلله . .

١ ـ أن صاحب الجلالة ملك المغرب يمارس السلطة التشريعية بكامل السيادة ولممثل اسبانيا أن يطلع بالرباط على مشاريع الظهائر والمقررات التي لها مساس بالمصالح الاسبانية وله أن يبدي في شأنها الملاحظات المناسبة .

٢ ـ تحال السلطة التي كان يمارسها الولاة الاسبانيون في المغرب إلى الحكومة المغربية وفقا للمسطرة التي يتفق عليها فيما بينهما ، وتبقى ضمانات الموظفين الاسبانيين بالمغرب قائمة ،

٣ ـ تساعد الحكومة الاسبانية الحكومة المغربية على تنظيم جيشها الخاص وأثناء المرحلة الانتقالية تبقى وضعية الجيش الاسباني بالمغرب

على ما هي عليه،

٤ ـ لا يقع تغيير في الوضعية الحالية للبسيطة[1] إلى أن يبرم اتفاق جديد في هذا الشأن،

٥ ـ ابتداءً من هذا التصريح تحذف التأشيرات وجميع الاجراءات الادارية التي كانت لازمة إلى الآن في تنقلات الأشخاص من منطقة إلى أخرى،

٦ ـ تواصل الحكومة الاسبانية السهر على مصالح المغاربة القاطنين بالبلاد الأجنبية إذا كان أصل هؤلاء المغاربة من المنطقة المحددة سابقا في معاهدة ٢٧ نوفمبر ١٩١٢ إلى أن تقوم بممارستها حكومة صاحب الجلالة.

(١) البسيطة هي وحدة العملة الاسبانية Peseta.

(٢) لقد أسعفني الحظ يومها إذ كنت في المغرب فشاركت أخوتي المغاربة أفراحهم بهذه المناسبة في مدينة تطوان أولاً ثم في المشور السعيد في الرباط ـ نجيب زبيب.

الملحق السادس والعشرون

الاتفاق على التمثيل الدبلوماسي الفرنسي المغربي

المعقود بتاريخ ٢٨ أيار (مايو) سنة ١٩٥٦

أن رئيس الجمهورية الفرنسية وصاحب الجلالة محمد الخامس سلطان المغرب رغبة منهما بوضع مبادىء، تنوي الدولتان، بالتساوي التام وباحترامهما لاستقلالهما، تنظيم روابط الصداقة والتعاون التي تخدم مصالح فرنسا والمغرب المشتركة بواسطتها.

ورغبة منهما في تحديد شروط تعاونهما المتبادل المعقود بحرية بين البلدين في ميدان العلاقات الخارجية وفقاً لبيان الثاني من آذار سنة ١٩٥٦، ورغبة منهما في توطيد وتقوية التضامن الذي يوحدهما:

عين رئيس الجمهورية الفرنسية معالي وزير شؤون خارجية حكومة الجمهورية الفرنسية، السيد كريستيان بينيه، مندوبا مفوضا فوق العادة: وعيّن صاحب الجلالة محمد الخامس سلطان المغرب معالي وزير شؤون

خارجية حكومة جلالته، السيد أحمد بلفريج، مندوباً مفوضاً فوق العادة.

وقد وجد أن أوراق الاعتماد، بعد تبادلهما، شرعية وحسب الأصول، ولذلك وافق الطرفان على التدابير التالية:

المادة الأولى

قرر الطرفان المتعاقدان إقامة علاقات صداقة دائمة بينهما وتبادل المساعدات. وسيحرصان على اعلام بعضهما البعض بجميع المسائل المتعلقة بمصلحتهما المشتركة وسيعقدان استشارات منتظمة للمسائل المتعلقة بالمصالح العامة.

المادة الثانية

إذا ما هددت مصالح الطرفين المعنيين المشتركة، بأية طريقة ما، فانهما سيتشاوران بعضهما مع بعض لمواجهة هذا التهديد إذا ما اقتضت الضرورة.

المادة الثالثة

أن وزيري خارجية الدولتين سيجتمعان دورياً، أو حسب طلب أحد الفرقاء، لتنسيق وحدة اعمالهما في ميدان السياسة الخارجية.

المادة الرابعة

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان، في كل ما يتعلق بهما، الا يتبعا سياسة لا تتفق مع مصالح احدهما بعد تدقيق مشترك.

المادة الخامسة

يتعهد كل من الفريقين الا يوقع اتفاقات دولية من شأنها ابطال مفعول

الحقوق التي اعترف بها، بالاتفاق بأنها تخص الفريق الآخر.

المادة السادسة

لا يمكن تأويل أي من التدابير الحالية بأنها تبطل الالتزامات الناشئة أما عن شرعة الأمم المتحدة أو التعهدات والمعاهدات والاتفاقيات المعمول بها بين أحد الطرفين المتعاقدين وبين دولة ثالثة. يجب الا يؤوَّل أي من التدابير الحالية بأنه يحد من سلطة أحد الطرفين المتعاقدين ليفاوض ويوقع معاهدات واتفاقيات وصكوك دولية أخرى.

المادة السابعة

يوافق الطرفان المتعاقدان أن يتفاوضا مباشرة فيما بينهما على أي اختلاف في تطبيق أو تأويل المعاهدة الحالية. وفي حال عجزهما عن حله بالتفاوض يرسل هذا الاختلاف، بناء على اقتراح أحد الطرفين، لينظر فيه أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي.

المادة الثامنة

توافق فرنسا على عضوية المغرب في منظمة الأمم المتحدة. أن مندوبي كلا البلدين في منظمة الأمم المتحدة سيحرصان على اعلام بعضهما البعض بشأن نشاطهما وسيتشاوران ويناقشان قراراتهما على ضوء هذه الاتفاقية الحالية.

المادة التاسعة

ترغب حكومة الجمهورية الفرنسية في تمثيل وحماية المواطنين المغربيين ومصالحهم، إذا ما طلبت حكومة المغرب ذلك، في البلدان التي لم تقرر حكومة المغرب ارسال بعثات سياسية اليها بعد. ستعمل، في هذه

الحال، البعثات الدبلوماسية والقنصلية الفرنسية بتوجيهات حكومة المغرب.

المادة العاشرة

سيحمل الممثلون الدبلوماسيون المزودون بأوراق اعتماد من كل من الطرفين المتعاقدين الألقاب التالية: سفيراً فوق العادة ومندوب الجمهورية الفرنسية الخاص إلى جلالة السلطان: وسفيراً فوق العادة ومندوب جلالة السلطان الخاص إلى الجمهورية الفرنسية.

المادة الحادية عشر

تلتزم حكومة المغرب احترام التزاماتها الناشئة عن المعاهدات الدولية التي عقدتها فرنسا باسم المغرب كما تحترم الالتزامات الناشئة عن الاتفاقيات الدولية المتعلقة بها التي لم تبدأ اعتراضات عليها.

وعليه وقع ممثلا الدولتين على هذه الاتفاقية وختمها كل منهما بخاتمه وضعت في مدينة الرباط في ٢٠ أيار سنة ١٩٥٦ في نسختين أصليتين.

وقع عليها في باريس في ٢٨ أيار سنة ١٩٥٦.

التواقيع

عن فرنسا كريستيان بينيه

عن المغرب

احمد بلفريج

الملحق السابع والعشرون

ألقي بالرباط في يوم ذكرى عيد ثورة الملك والشعب

الاثنين ١٢ محرم عام ١٣٧٦ الموافق ٢٠ غشت سنة ١٩٥٦

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبنا الوفي.

في مثل هذا اليوم وفي نفس هذه الساعة من ثلاث سنوات خلت اقتحمت قصرنا العامر قوة ضالة وأرغمتنا على مغادرته، فكان ذلك انتهاكاً صريحاً لحرمة هذا القصر واعتداء على قداسة العرش رمز السيادة الوطنية وضمان استمرار الوجود المغربي. ولم يكن هذا العمل في الحقيقة سوى خاتمة مؤامرة كانت تدبر طيلة سنوات لهدم كيان الدولة. ولم يكن هناك من دافع لإتيانه كما تعلمون ـ الا تشبثنا بالمبدأ الذي عاهدنا الله عليه يوم أناط بنا مهمة قيادة هذه الأمة والاشراف على شؤونها الا وهو النضال المتواصل من أجل تحقيق المطامح الوطنية العليا تحقيقاً لا يخدشه نقصان ومعارضة كل

اصلاح لا يؤدي إلى تحقيق الاستقلال والسعي كل السعي لاسعاد شعبنا وتوفير أرغد العيش له.

وكان لا بد لثباتنا على هذا المبدأ وصمودنا في الكفاح من أجله أن يتسرب اليأس إلى نفوس أولئك الذين كانوا يؤملون ميلنا عن الطريق السوي، وكان لزاماً لذلك أن يطفح الكيل ويبلغ الصراع بين الحق والباطل أقصى مداه. وقضى منطق القوة أن نتخلى عن الاضطلاع باعبائنا وان نقصى عن الميدان لقاء عقيدة نعتنقها ومبدأ نتفانى في الاعتصام به، وقد كان ابعادنا عن شعبنا بهذه الصورة المنكرة وحرماننا من البقاء بين ظهرانيه جديراً أن يترك في نفس كل حر ـ بله كل مواطن ومواطنة ـ جرحاً غائراً وأثراً عميقاً لا يدرك له مدى كما كان أيضاً جديراً أن يخلق في كل صدر أزمة نفسية خانقة نتيجة ما صحبه من دعايات مرجفة وأضاليل لا نصيب للحق فيها.

كان الذين تولوا كبر هذا العمل يجهلون أو يتجاهلون ذلك الرباط الروحي الذي يشد الأمة المغربية إلى عاهلها ويجعل منهما كلا لا يتجزأ، ولعلهم لم يحسبوا أنه هو الذي سيجعل تلك الأمة بجميع هيئاتها وطبقاتها تنتفض انتفاضتها الرائعة التي تحدث عنها العالم أجمع بكل إعجاب وثناء مقيمة بذلك الدليل القاطع على قوة ايمانها وصلابة ارادتها واستصغارها للباطل مهما عظمت قوته واشتدت شوكته؛ ومبرهنة على أكيد تعلقها وخالص ولائها لراعيها وعلى استماتتها في الكفاح من أجل سيادة الوطن وتحرره. وهكذا استطاعت الأمة المغربية الأبية وفي مقدمتها حركة المقاومة الوطنية وجيش التحرير الباسل إن تسجل صفحة ذهبية تضيفها إلى سلسلة صفحاتنا التاريخية المفعمة بآيات البطولة والكفاح وان تخلدها قبسا للأجيال تستمد منه كل معاني الشرف والآباء والتضحية والوفاء. وهكذا شاءت الأقدار أن تبلونا وأمتنا في ايماننا وصدق عزيمتنا، فخرجنا جميعا ولله الحمد

من هذا الامتحان العسير أصلب عودا، وأقوى شكيمة ظافرين منتصرين. وكانت قصة كفاحنا درساً رائعاً اهتزت له كافة شعوب العالم.

شعبنا الوفيّ

إذا كنت ضحيت بالنفس والنفيس لتثبيت قدم الحق والذود عن الكرامة الوطنية والدينية المهضومة في شخص ممثلها الساهر عليها فها أنت اليوم ولله الحمد تبلغ المراد من تضحيتك، وعد الله، لا يخلف الله وعده ـ وها أولئك الذين تآمروا عليك ومكروا ما وسعهم المكر نكصوا على أعقابهم يجرون اذيال الفشل المرير مصداقاً لقوله جل من قائل: ﴿**ولا يحيق المكر السيء الا بأهله**﴾.

وها نحن نستقبل هذه الذكرى التي أطلقنا عليها اسم: ثورة الملك والشعب والتي تقرر احياؤها كل سنة مستبشرين فرحين وقد اسبغ الله علينا نعمة الرجوع إلى ديارنا كما أسبغ على الوطن نعمة استقلاله وتوحيد ترابه فعلينا أن نستمطر شئابيب الرحمة لأبطالنا الشهداء أمثال علال بن عبدالله، محمد الزرقطوني، أحمد الراشدي، حمان الفطواكي محمد السلاوي، عباس المسعدي، ابراهيم الروداني، الحسن ابن حموش الزكريطي أولئك الذين شادوا بأرواحهم صرح هذا العهد الزاهر وجاهدوا في الله حق جهاده: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين**﴾ أن في أعناقنا لهؤلاء الشهداء الأبرار أمانة يجب علينا تأديتها تأدية تنال رضاهم.

تلك هي تكتيل قوانا جميعا للوقوف في وجه كل خطر عدواني ولحماية استقلالنا الفتي: وذلك بالاتحاد والتعاون والامتثال وتطهير النفوس من ادران الضغائن والأحقاد وعدم التراخي في القيام بالواجب ولن ينسى الشعب المغربي الدور النبيل الذي قام به الأحرار من الفرنسيين والاسبانيين

القاطنين داخل البلاد وخارجها في قضيته مما ساعد على نشر ضياء الحق وان المغرب كدولة فتية لفي حاجة إلى الاستفادة من مواهب جميع العناصر المتساكنة به. فليعملوا جميعاً في جو من الود والاطمئنان على توفير أسباب الرفاهية والازدهار له، وليكونوا متآخين في بناء مستقبله، وجدير بنا في هذه المناسبة أن نشير إلى ما كان للدول العربية والاسلامية الشقيقة من اهتمام بقضيتنا ودفاع عنها الشيء الذي يقتضي منا تقديم أحر الشكر اليها وبالأخص مصر التي تجتاز اليوم شدائد، نرجو أن توقى شرها وان تخرج منها موفورة الكرامة كاملة السيادة.

والى الله نتوجه جميعا ضارعين أن يلهمنا سبيل العمل لما فيه خير امتنا ويوفقنا للسير بها إلى أوج العز والسؤدد وأن يعين اخواننا العرب والمسلمين قاطبة على كفاحهم العادل في سبيل مطامحهم المشروعة ونيل حريتهم واستقلالهم حتى يتبوأوا المكانة اللائقة بهم في حظيرة الأمم الحرة ويساهموا بدورهم في تشييد صرح الحضارة الانسانية واقرار السلام العالمي.

١ ـ فهرس الأعلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ غ ـ

- م -

ـ هـ ـ

ـ و ـ

- ي -

٢ ـ فهرس المدن والأماكن

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

- ز -

- س -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

٣ ـ فهرس البلدان والقبائل والشعوب والأمم

ـ أ ـ

- ت -

- ج -

- ح -

- ر -

- هـ -

- و -

- ي -

٤ ـ المصادر العربية

تاريخ المغرب في القرن العشرين ـ روم لاندو ـ ترجمة نقولا زيادة بيروت ١٩٨٠

عبد الكريم الخطابي ـ جلال يحيى .

تاريخ تطوان ـ محمد داوود ١٩٦٤ مجلد ٤ .

صحيفة الاستقلال المغربية ـ ١٩٥٢ .

نشرة الأنباء المغربية ـ مكتب الاستعلامات المغربي نيويورك ١٩٥٢

الجريدة الرسمية ١٩١١ ـ المغرب .

محمد المعمري ـ ترجمان الملك محمد الخامس ـ مذكرات لقاء الملك محمد الخامس بالرئيس روزفلت وحفلة العشاء التي حضرها ونستون تشرشل ـ مذكرات .

الاعلام ـ خير الدين الزركلي ـ بيروت .

الوثائق ـ مجموعات دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية المطبعة

الملكية ـ الرباط ١٩٩٢ .

الوكالة الحضرية للدار البيضاء ـ نشرة صادرة عن وزارة الداخلية في المملكة المغربية .

عدد خاص ممتاز عن السياحة في المغرب ـ١٩٧٣ .

صحيفة العلم .

صحيفة الاستقلال .

المصادر الاسبانية

La España de Franco (1936 - 1945) Madrid 1983 por Antonio Marqmina Barrio.

La España real, Julian Marias - 1975.

España: servicio infirmativo español Madrid 1963.

textos - seccion de documentación. ministro de informentación - Madrid.

المصادر الانكليزية

Parliamentary papers (cd 5969) 1911

Parliamentary papers (cd 2384) 1905

Elliott Roosevelt. As he saw it 1946.

Walter Harris. France - Spain and the Rif.

the times.

the Washington post.

the Middle East Journal.

Free Morocco.

Archives of the British legation at tangier.

Archives of the American legation at tangier 1930.
Hassan 11 king of Morocco - the chalenge translated by Antony Rhodes 1978.

المصادر الفرنسية

Lyautey.L.H.G. Paroles d'action - Paris 1927.
documents diplomatiqus (affaires du Maroc) (1910 - 1912).
Encyclopédie Noms propres de La langue francaise.
Maroc. Office National marocain du tourisme.
Sejours au Maroc.
Robert Barrat. Justice pour le Maroc paris 1953.
Paul Buttin, le drame du maroc.
Paul Buttin, in au Coeur du Problème marocain 1955.
André Julien, l' Afriqne du Nord en Marche 1952.
Benazet H. l'Afriqne francaise en danger 1947.
le témoignage chrétien 1953.
la Vigie marocaine 1950.
les temps modernes 1953.
le Petit marocain 1953.
le monde 1955.
l' esprit 1953.
le figaro 1954.

٥ ـ فهرس المحتويات


الدولية للثقافة والنشر
بيروت ـ لبنان ص. ب ٥١٩٦/١١٣ ـ الحمراء

Najib Zbib

GENERAL ENCYCLOPEDIA FOR HISTORY OF MOROCCO AND AL-ANDALUS

INTRODUCED BY
Ahmad Ebn Soda
CONSULTANT OF
KING HASSAN II

Vol 5

DAR EL-AMIR